



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



المركز الجامعي مغنية

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث ل م د

تخصص: لسانيات النص وتحليل الخطاب

الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء لسانيات النص

إشراف:

أ. د. عباس لعشريس

مساعد المشرف:

أ. د. عبد القادر بوشيبة

إعداد الطالبة :

ماجدة خالدي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
إبراهيم مناد	أستاذ التعليم العالي	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان	رئيسا
عباس لعشريس	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي مغنية	مُشرفاً ومُقرراً
عبد القادر بوشيبة	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي مغنية	مُشرفاً مُساعداً
مهدي بن عيسى	أستاذة محاضرة	وحدة البحث تلمسان	عضوً مُناقشاً
قادة غروسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس	عضوً مُناقشاً
سعيد بن عامر	أستاذ محاضر-أ-	المركز الجامعي مغنية	عضوً مُناقشاً

الموسم الجامعي: 1442هـ-1443هـ / 2021م-2022م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



المركز الجامعي مغنية

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث ل م د

تخصص: لسانيات النص وتحليل الخطاب

الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء لسانيات النص

إشراف:

أ. د. عباس لعشريس

مساعد المشرف:

أ. د. عبد القادر بوشيبة

إعداد الطالبة :

ماجدة خالدي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
إبراهيم مناد	أستاذ التعليم العالي	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان	رئيسا
عباس لعشريس	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي مغنية	مُشرفاً ومُقرراً
عبد القادر بوشيبة	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي مغنية	مُشرفاً مُساعداً
مهدي بن عيسى	أستاذة محاضرة	وحدة البحث تلمسان	عضوً مُناقشاً
قادة غروسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس	عضوً مُناقشاً
سعيد بن عامر	أستاذ محاضر-أ-	المركز الجامعي مغنية	عضوً مُناقشاً

الموسم الجامعي: 1442هـ-1443هـ / 2021م-2022م



الإهداء

إلى منبع العطاء والبذل... والديّ الكريمين.

إلى روح عمّتي الغاليّة حفيظة خالدي... رمز الكفاح

والإصرار... رمز الوفاء والإخلاص... منبع الحنان التي بثّت فيّ

روح العلم منذ نعومة أظفاري، وغرست فيّ حبّ التميّز والتّفوق

في دراستي؛ تاركة لي أمانة الحصول على شهادة الدكتوراه.

إلى كلّ من له في قلبه لي معزة.

أهدي عملي هذا

إسداء شكر

أحمد الله العلي القدير وأشكره على توفيقه

أمّا من كان إسداء الشكر في حقه قليل، فأستاذي الفاضلان عباس العشريس وعبد القادر بوشيبة اللذان كان لهما الفضل في تشجيعي لخوض غمار هذا البحث، وتخطي صعوباته وعلى ثقتهم التي أودعها فيّ. فلهما مني أسى عبارات الامتنان والعرفان.

كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري وامتناني إلى الأستاذ ابراهيم ابراهيمي الذي لم يخل علي منذ بداية مشواري الجامعي من الماستر إلى رحلة الدكتوراه بعلمه وجهده ونصائحه والتزامه نحو بحثي في كلّ كبيرة وصغيرة، وكان لي حظ وافر من أخلاقه الرفيعة الفاضلة التي جعلت مني طالبة لا تكذب ولا تملّ من الإصرار على النجاح؛ فلك ألف شكر أستاذي، كما لا أنسى الأستاذ محمد الأخضر الصبيحي فرغم كثرة انشغالاته تحمّلي طوال مدّة بحثي ولم يخل عليّ إلى هذه اللحظة؛ فكان خير سند وعون في إنجاز هذا العمل، منذ أن كانت الرسالة فكرة ثمّ خطة حتى استوت على حالها الأخير... وما في القلب لهما أكبر.

ولا يسعني وقد منّ الله علي بإتمام هذا البحث، إلا أن أتقدم بآيات الشكر الجزيل والعرفان العميق والشّاء الصادق لهما ولكلّ من ساعدني بالنصح والتوجيه في إخراج هذا البحث على ما هو عليه.

كما أشكر في هذا المقام أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشّموا قراءة هذا البحث وتقويمه.

فجزى الله الجميع عني وعن العلم الذي حملوا أمانته خير الجزاء.

المقدمة

تُعدّ لسانيّات النّص من العلوم حديثة النّشأة، التي لقيت اهتمام اللّغويين العرب بالدرّس والتحليل و التّطبيق؛ إذ يُعدّ اهتمامهم بهذا العلم من أبرز المباحث تداولاً في السّاحة اللّغويّة والأدبية والتّقديّة لاعتبار النّص كلّاً موحّداً شكلاً وموضوعاً تجاوزاً للسانيات الجملة، ومنه تجاوزاً لكلّ الأطر الضّيقة التي حالت دون فهم كثير من الظواهر اللّغويّة.

فالنّص كلّ مترابط بفعل العلاقات النّحوية التركيبيّة بين القضايا وداخلها، وكذلك باستعمال أساليب الإحالة والعائد المختلفة، و الرّوابط و المنظّمات العديدة، فلا تستقيم نصيّة النّص إلا بانسجام العلاقات بين الدوال المكوّنة له وسلامة الرّوابط المنطقيّة التي تحافظ على سيرورة بنيته الدّلالية، وربط تلك الدّوال بمستعملها و آثار هذا الاستعمال على البنى اللّغوية، على اعتبار أنّ دور المتكلمين و السياق و الكلام العادي (العرفي) في التّحليلات اللّغوية أمر في غاية الأهميّة؛ فكّلها عوامل تصرف النظر عن التوجهات الصورية للغة، التي أفرزتها البنوية.

ومنه أضحى من شروط النّص جملة معايير لا يكون النّص إلا بها كالانساق و الانسجام و المقبولية و الإعلامية و القصديّة والمقامية و التناص.

يُعدّ معيار (الانساق) أو ما يقصد به التّرابط على المستوى السطحي (الشكلي) للنّص من أهم هذه المعايير؛ إذ يتمثّل في مؤشرات لغوية، مثل علامات العطف و الوصل و الفصل وعلامات التّرقيم وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف والأسماء الموصولة وأبنية الحال و الزّمان والمكان، و غير ذلك من العناصر الرابطة التي تُعنى لسانيات النّص بتحديدّها، وتقوم بوظيفة إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكوّنة للنّص في مستواه الخطّي المباشر للقول؛ لأنّ رصف الكلمات ليس أبداً دليلاً على تلاحمها، فقد تجدّ الكلمات المترابطة التي تبدو أنّها في تناسق مقبول لكنّ فقدانها لصفة الرّبط أو التّرابط يجعل ذلك الرّصف للكلمات مجرد ألفاظ وضع بعضها جنب بعض، فلا يمكن للغة أن

تكون تراكيبيها متقطعة الأوصال، ولا متنافرة فيما بينها، ثم يطلب إليها بعد ذلك أن تؤدي الوظيفة التي من أجلها كانت.

ولما كان الاتساق بهذه الأهمية بحث كثير من علماء لسانيات النص المحدثين في تلك الإشارات التي وجدت في كتابات اللغويين القدماء.

وحتى يكون للموضوع متسع من البحث و الدراسة رغبتُ البحث فيه عند علم من أعلام الدراسات اللغوية العربية ألا وهو عبد القاهر الجرجاني. و عليه، فقد وُسم بحثي:

الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء لسانيات النص

ذلك من أجل معالجة إشكالية ترى أنه: على اعتبار الاتساق أحد المعايير الأساسية للتمييز بين النص و اللانص أن نقف على مظاهره عند عبد القاهر الجرجاني في كتبه و من خلال نظرية النظم.

و لهذا فإنَّ إشكالية البحث تتمحور حول سؤالين رئيسيين هما:

- كيف تجلّى الاتساق النصي عند عبد القاهر الجرجاني في كتاباته؟
- ما هي الآليات التي اعتمد عليها عبد القاهر الجرجاني في جعل النص كلاً متعالق الأجزاء بعضها ببعض؟ وفيما تختلف عن الآليات التي وضعها علماء لسانيات النص؟

لعلّ جملة الدوافع التي كانت مُحفزة لي للسير قُدماً في هذا البحث، و إجابة عن إشكاليته تمثلت في الآتي:

- قلة الدراسات في هذا الموضوع (موضوع الاتساق عند اللغويين القدماء).
- مواكبة المتغيرات والأبحاث العلمية المستجدة و التكيف معها و كيفية إسقاطها على التراث اللغوي القديم.

- أهمية الربط بين الدراسات اللغوية عند القدماء و الدراسات اللسانية النصية.

- الحاجة إلى إعادة النظر في مناهج اللغة العربية تعديلاً وتطويراً برؤية تجمع القديم بالحديث.
- لأهمية معيار الاتساق كان من المهم البحث فيه عند القدماء والمحدثين مصطلحا ومفهوماً.
- أما سبب اختياري لهذا الموضوع فهو محاولة ربط آراء المتقدمين بالمحدثين، و بسط القضايا والمفاهيم المتعلقة بالنص، وكذا المطالب الأساسية التي يتعين تحقيقها ليكون النص نصاً باختيار الاتساق كمطلب أساسي وتحديد صورته وآلياته عند علماء لسانيات النص، وما تحمله من بصمات تجمع بينها وبين ما اعتمده عبد القاهر الجرجاني.
- شملت الدراسة مجموعة من الأهداف سعى البحث لتحقيقها مثل:
- إبراز التوافق و الاختلاف بين المصطلحات والمفاهيم عند القدماء والمحدثين في لسانيات النص عامة و الاتساق خاصة.
- إثراء الدراسات اللسانية النصية العربية بمزيد من الدراسات ذات القيمة العلمية الكبيرة من خلال التراث اللغوي القديم.
- فهم مصطلح الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني و تمثلاته في كتاباته. بما يساعد على كيفية بناء المفاهيم اللغوية عنده.
- تبيان كيفية عمل أدوات الاتساق النصي الداخلي والخارجي ودورها في تحقيق الدلالة الكاملة للنص عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء لسانيات النص.
- نظراً لخصوصية الموضوع المطروح، والأهداف المسطرة له، فإن الدراسة استدعت منهجاً وصفيّاً لأدوات التحليل حيث عُني بتتبع تطوّر مفهوم الاتساق عند القدماء العرب ثمّ المحدثين العرب إلى علماء لسانيات النص مثل التلاحم، و التآخذ، و التعالق، ثمّ السبك، والحبك، فالإتساق والانسجام حسب الترجمات... وهلم جرا؛ مع وصف صور وآليات الاتساق ومثيلاها لدى عبد القاهر الجرجاني و الباحثين القدماء، وذلك من خلال نصوص كلّ منهما.

كما وقفنا على تحليل الوسائل البلاغية التي تحُصّ الاتّساق عند عبد القاهر الجرجاني من خلال الأمثلة التي وضعها في نصوصه؛ مع رصد جوانب الاتّفاق والاختلاف بين عبد القاهر الجرجاني وعلماء لسانيات النّص، والاهتمام بالسياق دون إغفال القارئ و المتلقّي أثناء الدّراسة.

أمّا الدّراسات السّابقة للموضوع، فلعلّه من المهمّ أن نشير إلى بعض الدّراسات الأكاديميّة التي عاجلت هذه الدّراسة، وقد بذلت فُصاري جهدي في البحث عن هذه الدّراسات التي لها علاقة بموضوع البحث قصد الاستفادة منها، تجنّباً للتكرار من جهة و إضافة ما يمكن أن يكون مفيداً للدّراسات اللّسانيّة في هذا المجال من جهة أخرى. ونذكر منها:

- أطروحة (دكتوراه الدّولة) التي قدّمها مفتاح بن عروس بعنوان (الاتّساق و الانسجام في القرآن) مطبوعة، قسم اللّغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر، سنة 2007م.

هذه الدّراسة قد تطرّق فيها الباحث في الفصل الثاني إلى مفهوم الاتّساق وخصّص له عرضاً لنظريّة هاليداي و رقيّة حسن من خلال مؤلّفهما الشّهير (Cohesion in English 1976)، إلّا أنّه في هذا الفصل لم يتطرّق إلى تعريفات بقيّة علماء النّص ونظرتهم لمصطلح الاتّساق، وكذا مفهومه وآلياته سواء عند علماء اللّغة المتقدّمين العرب أم المحدثين؛ لذلك جاءت هذه الدّراسة - الاتّساق عند عبد القاهر الجرجاني - متمّمة لهذه الجزئيّة. كما أنّ الباحث قد عرض مختلف الوسائل التي بها يتحقّق الاتّساق عند نفس العالمين، لكن افتقرت الدّراسة مرّة أخرى لذكر هذه الآليات عند علماء النّصيّة و علماء الإعجاز والنّحاة العرب بصفة عامة وكذا العرب المحدثين، واقتصرت فقط على هاليداي و رقيّة حسن.

- أطروحة (مقدّمة لنيل شهادة الماجستير) التي قدّمها محمود سليمان حسين الهواوشة بعنوان (أثر عناصر الاتّساق في تماسك النّص دراسة نصّية من خلال سورة يوسف)، قسم اللّغة العربيّة وآدابها جامعة مؤتة 2008م.

فقد خص الباحث دراسته هذه بعرض جانب من مفاهيم حول مصطلح الاتساق و عناصره وكيف يحقق للنص نصيبته، وبعد قراءة فاحصة لهذا العمل تبين أنّ الباحث لم يقدم الأمثلة الكافية لهذا المعيار المهم من معايير النصّية بل اكتفى بعرض المفاهيم فقط وأتبعها بآيات من سورة يوسف بحكم أنّها مدونة يرتكز عليها بحثه.

- أطروحة (مقدمة لنيل شهادة الماجستير)، التي قدّمها سمية يبرير بعنوان (مفاهيم لسانيات النصّ وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دراسة في ضوء علم المصطلح)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، سنة 2010م.

تطرقت الباحثة من خلال أطروحتها إلى تحديد بعض المفاهيم و ربطها بمصطلحاتها المتداولة بين الباحثين، وخاصة ما تُرجم منها، وقد بدأت بوصف علمي لكتاب عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز في علم المعاني، لكنّها قامت بدراسة عامّة لفصوله وأبوابه وحتى وإن ذكرت نظريّة النظم لكنّها لم تحدّد مصطلحا أو مفهوما بعينه، قد غفلت الباحثة على تحديد موضوع دقيق ومصطلح واحد للبحث فيه، و ما ركّزنا عليه في دراستنا هو مصطلح الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء لسانيات النصّ، فكانت هذه الزاوية كافية بأن تربط بين ما هو تراثي كمفهوم ومصطلح وبين ما هو حديث اليوم و ما جاءت به لسانيات النصّ وعلاقة كليهما ببعض.

أمّا فيما يخص المراجع الأكاديمية التي وجهتنا إلى ضبط المصطلحات و المفاهيم و الأفكار وتمثل الموضوع بشكل أكثر وضوحا، نذكر منها الآتي اختصارا.

- أطروحة (مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم) التي قدّمها عز الدين هبيرة بعنوان (التماسك النصّي في القصص القرآني- دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام-)، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، سنة 2016م.

- أطروحة (مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم) التي قدّمها إبراهيم إبراهيمي بعنوان (البعد النصّي التداولي في النصوص الأدبية في مرحلة التعليم الثانوي (مقرّر السنة الثالثة ثانوي آداب وفلسفة -

أمّودجا-)، كليتة اللّغة العربيّة وآدابها واللّغات الشّرقية، قسم علوم اللّسان، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، سنة 2020م.

أمّا المراجع التي أعانتنا أكثر من غيرها في بناء تصوّر حول الموضوع، و في بلورة أفكاره نذكر كتاب:

- لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطّابي.
- علم اللّغة النّصي، النّظرية والتّطبيق لمصطفى صلاح قطب.
- نسيج النّص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا، للأزهر الزّناد.
- نحو النّص، اتّجاه جديد في الدّرس النّحوي لأحمد عفيفي.

تشكّلت خطة البحث من المدخل و ثلاثة فصول:

كان لا بدّ من التّطرق في المدخل إلى مسوّغات الانتقال من الجملة إلى النّص، كما تناولنا حدّ الجملة والنّص، و في هذا المدخل أيضا بحث عن المفاهيم والمحدّدات لكلّ من النّص، وعلم النّص و نحو النّص، ولسانيات النّص، و الخطاب أيضا و الوقوف على محدّدات النّص ومحدّدات الخطاب و بيان أنّ الفرق بينهما يكمن في اختلاف تسمية المصطلحين فقط.

عرض البحث في الفصل الأوّل إلى: (مفهوم الاتّساق و آلياته في ضوء لسانيات النّص)، حيث تحدّثنا فيه عن الاتّساق بالوسائل النّحويّة، و الاتّساق بالوسائل المعجميّة، قسم إلى ثلاث مباحث حيث تناول المبحث الأوّل بعض تعريفات الاتّساق من النّاحية اللغويّة، ومفهوم الاتّساق من النّاحية الاصطلاحية، و اهتمّ المبحث الثّاني بمفهوم الاتّساق عند المحدثين و تمّ التّطرق إلى تعريف العرب والعرب للاتّساق، و الوقوف على المصطلح هل هو وافد من الحضارة الغربيّة أم له جذور في تراثنا العربي القديم، و هذا ما جعلنا نبحت عن مفهومه في آثار المتقدّمين العرب وإن كان بمصطلحات مختلفة و خاصة عند عبد القاهر الجرجاني بما أنّه موضوع دراستنا.

عُني المبحث الأخير من هذا الفصل بالآليات الاتّساقية حيث أنّ هذه الأخيرة دُرست حسب الأهمية التي يحتاجها بحثنا فهي: الإحالات بالدرجة الأولى باعتبارها أهمّ الآليات التي تحقّق اتّساق النّص و التحامه وتماسكه، و الإحالة على أنواع ثلاثة: مقاميّة و نصّية و مقارنة (مشتركة)، و أبرز ما درسنا في الإحالات: الضّمائر بنوعيتها، ثمّ أسماء الإشارة، تليها الظروف خاصة منها الزمانيّة، وفيما يخصّ عنصر الاتّساق الثاني: الاستبدال و يتفرّع بدوره إلى الاستبدال الاسمي والفعلي والاستبدال القولي أو الجملي، و الثالث فهو الحذف؛ وسيلة المنتج و مسار المتلقّي إلى فهم النّص وتأويله وإنتاجه مرّة أخرى والرّابع فهو الوصل: الذي يختلف عن كلّ أنواع الاتّساق السابقة فهو الطّريقة التي تربط بين الجمل النصّية اللاحقة بالسّابقة، أمّا العنصر الخامس فهو الاتّساق المعجمي: يتحلّى في التّكرير والتّضام.

أمّا الفصل الثّاني: فقد عالج (نظريّة النّظم النّشأة و المفهوم): قسّم بدوره إلى خمسة مباحث المبحث الأول اهتمّ بتعريف المصطلحات، و اهتمّ الثّاني بنشأة نظريّة النّظم و تطورها، و تناول الثالث مفاهيم متعلّقة بفكرة النّظم، و رابع عني بأركان النّظم، وانتهى المبحث الخامس بأسس النظريّة الجرجانية.

والفصل الثالث عُني: بتحليل (آليات الاتّساق عند عبد القاهر الجرجاني من خلال نظريّة النّظم) احتوى مبحثين، تناول الأول الاتّساق بالوسائل التّحوّية مع تطبيقات عند عبد القاهر الجرجاني ومدى اتصالها بعلماء لسانيات النّص، ومبحث آخر عُني بالاتّساق بالوسائل المعجميّة عند عبد القاهر الجرجاني مع النّماذج و التّحليل ومقارنتها باللّسانيات النصّية.

وانتهى الفصل بخاتمة عاجلت مجمل التّائج.

ككلّ بحث فقد اعترضني صعوبات حالت دون المبتغى؛ و اعتمد البحث على مصادر قليلة مثل دلائل الإعجاز عند عبد القاهر الجرجاني على اختلاف الطّبعة، وهذا راجع لعدم وجود مصنّفات قديمة في مجال نحو النّص، ممّا اضطرني للاعتماد على المراجع الحديثة، و أيضا المراجع التي تناولت

الجوانب التطبيقية في اللسانيات النصية و التطبيقات على نصوص عبد القاهر الجرجاني وإن كانت
فإنها محاولات مجترة راعت جوانب بعينها شابها اختلاف وتمايز.

أخيرا... إن حقق هذا البحث أهدافه، فلله المنّة والحمد، وما التوفيق إلا منه سبحانه وتعالى و إن
كان غير ذلك فعزائي من ذلك أجر المجتهدين.

والله من وراء القصد

ماجدة خالدي

في: 01 ديسمبر 2021م/قسنطينة.

المدخل

الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى النص

المدخل: مسوّغات الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى النصّ

تنبّه بعض اللّسانيين إلى ضرورة تجاوز الدّراسة اللّغويّة مستوى الجملة، واضعين حُججًا وبراهين على أنّ الجملة تقتصر دراستها في إطار محدّد بعيدا عمّا يُسمّى بالتّفاعل والتّواصل، إلّا إذا انتقلنا إلى مستوى أكبر وهو النصّ، هذا الأخير يربط بين اللّغة والموقف الاجتماعي ولذا فالجملة لا تُعدّ الوحدة القاعدية للمبادلات الكلامية والخطابية، ولكن النصّ هو الذي يكتسب دور الإبلاغ و التّبادل؛ ولذلك فالنصّ يأخذ انسجامه وحصافته من خلال هذا التّبادل والتّفاعل، حيث إذا أردنا أن ندرس النّشاط اللّغوي الحقيقي لدى الإنسان يجب أن نذهب لدراسة أنواع النّسيج النّصي التي يستعملها المتكلّمون أثناء ممارستهم الكلامية، وبالتالي نكون قد تجاوزنا إطار الجملة لنهتم بإطار النصّ.

ويعرّف أحد اللّسانيين قائلا: «ينبغي للّسانيات إذا لم تتلاش بسبب عزلتها من حيث هي حقل للبحث، أن تصبح علما محوريًا للخطاب والاتّصال، كما تنبأ كثير من الباحثين اللّامعين»¹. بهذا يكون توسيع مجال علم لغة الجملة التقليدي ودراسة اللّسانيات له إلى علم لغة النصّ، أو «ما فوق الجمالية في إطار فرضية التّوسع التي تتحدّد فيها النّصوص بكونها وحدة أعم من الجملة»². لاشك أنّ ما قدّمه هؤلاء اللّسانيون، قد أتى من بعد دعم رأيهم حول ضرورة تجاوز فضاء الجملة إلى النصّ، فنشير إلى ما يراه ميشل ماير Michel Mayer من أنّ الجملة لا وجود لها منعزلة في الاستعمال الفعلي للّغة، فهي دائما محتواة في سياق التّلفظ، وعليه فالجملة لا تتحقّق ولا تكتسب هويّتها الحقيقية إلّا في إطار الخطاب أو السّياق، كما أنّ عمليّة عزلها هي نتيجة، وهي

1-النصّ والخطاب والإجراء دي بوجراند، روبرت، تر، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ، 1998م ص71.

2- فولفجانج هانيه منه، وديترفيهيفجر، مدخل إلى علم اللّغة النّصي، تر، فالخ بن شيب العجمي، جامعة الملك سعود الرياض، 1999م، ص23.

ممارسة مقصودة وليس مُعطى طبيعيًا قائما بذاته، وعلى الرّغم من ذلك، فإنّ بعض الكتب اللّغوية تتمدّد في دراسة الجمل ككيانات مستقلة منطقيًا.

ونعتقد أنّ هذه الرّؤى وأخرى مهّدت لظهور مسوّغات لتجاوز نقاط القصور التي عرّفها نحو الجملة والتي أحصاها الباحثون واللّسانيون في مختلف نظرياتهم اللّسانية، كلّ هذا لإعادة النّظر في تأسيس منهج معرفي جديد يصبو إلى أن يُسهّم في دفع عجلة البحث اللّساني نحو تطوّره وتوسّعه. ومن المفيد أن نشرع في حصر أهمّ النّقاط التي ساهمت في الانتقال بالبحث اللّساني إلى مستويات تتجاوز الجملة، أهمّها:

- 1- الجملة تتحدّد بمعيّار أحادي (علم القواعد) من نظام معرفي وحيد (علم اللّغة)، لذا أعلنت قصورها في وصف بعض الظواهر النّحوية التي تتجاوز الجملة الواحدة.
- 2- الجملة مستقلّة عن السّياق، وبالتالي لا تمثل إلاّ دلالة جزئية حتّى أنّها لا تتعدّى المعنى المعجمي للوحدات الصوتية التي تشكّل الجملة، ومفهوم تمام حسان في مقدمة كتابه النّص والخطاب والإجراء، يدلّ على ذلك بقوله: «والاتّصال لا يتمّ بواسطة وصف الوحدات الصغرى صوتية وصرفية، ولا بعرض الوحدات النّحوية، وإمّا يتمّ باستعمال اللّغة في موقف أدائي حقيقي، أي بإنشاء نصّ ما وقد يطول هذا النّص ويُقصر»¹.
- 3- الجملة توصف على أنّها نظام افتراضي بدون حدّ.
- 4- الجملة لا تمثل حدّثًا، وإمّا تستعمل لإبراز العلاقات القواعدية بمعزل عن النّص أي أنّ أثرها محدود في جلّ المواقف الإنسانية.²
- 5- يختصّ نحو الجملة بالاستقلال عن رعاية الموقف اللّغوي، واستقلال الجملة داخل النّص والاطراد والمعياريّة، والإطلاق واقتصار العلاقة على حدود الجملة، أمّا ما يختصّ به نحو النّص فالقصد والتّناس والمقامية والإعلامية والقبول.

1- النّص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص4.

2- مدخل إلى علم لغة النّص، إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد، الهيئة المصريّة العامة، ط2، ص 10، 11.

وهذا ما أقرّه كذلك تمام حسن وجعل لنحو الجملة سمات أربع هي: الاطراد والمعياريّة والإطلاق والاختصار.

6- ومن الحجج الأخرى التي جعلت من اللسانيات تجاوز نحو الجملة إلى نحو النصّ ما تعلق بالوحدات اللغوية كالضمائر والروابط وأزمنة الفعل، كلّ هذه لا يمكن دراستها عند حدود الجملة. إلّا بالرجوع إلى مقام التلّفظ (**Le contex teñonciatif**)، أي الظروف المحيطة بإنتاج النصّ¹.

7- في الاختصار على دراسة الجملة تجاهل لنواحي دلاليّة وسياقيّة كثيرة ممّا يؤدّي إلى التّركيز على الجوانب التركيبيّة البحتة ويحوّل اللّغة إلى شكل فارغ من أي مضمون، ما عدى البنى السطحيّة الظاهرة لها، وإذا صلح هذا في دراسة الخطاب اليومي فلن يصلح في دراسة اللّغة الأدبيّة²، ولهذا فنحو الجملة يمثل البنية السطحيّة.

8- انفتاح الدّراسات اللّغويّة على مختلف العلوم الإنسانيّة مثل: علم الاجتماع، علم النفس والإعلام ممّا أدّى إلى الحاجة إلى دراسة أثر هذه الجوانب في العمليّة الاتّصاليّة وهذا ما عجزت الجملة عن دراسته.

9- عندما نعتد على التّحليل النصّي نجد أنّ هناك إمكانيّة عالية لتأويل الأوضاع المختلفة للجملة بناء على السّياقات الواردة، العكس من حالة فصل الجمل عند سياقاتها، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ النصّ يمكن اعتباره حدث تواصلّي في بيئة رحبة تنعّث بسياق الموقف الذي أقصاه الجملة³.

1- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، منشورات الاختلاف، ردمك، بيروت، لبنان 1429هـ، 2008م، ص 66.

2- الترابط النصّي في ضوء التّحليل اللّساني للخطاب، الباطشي خليل ابن ياسر، دار جرير للنشر والتّوزيع، عمان، 1430هـ 2009م، ص 31، 32.

3- نحو النصّ اتجاه جديد في الدّرس النحوي، عفيفي، أحمد، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2001م، ص 67.

10- الحكم على تركيب ما بأنه جملة من عدمه يكون حسب المقابلات والمقارنات بين الأنماط المعهودة المتفق عليها، أمّا النصّ فيكون الحكم عليه من خلال تحقيقه لوظيفة الاتّصال، وإن خالف بعض القواعد التّحوية وشدّد عنها أحيانا كما يحدث في الشّعر، إذ تبرز فيه ظاهرة الانحراف عما تمّ الاتفاق عليه من النّاحية التّقنيّة لكنّه على الرّغم من ذلك يحقّق الوظيفة الاتّصاليّة بكفاءة عالية أي أنّ النصّ - كما يرى- روبرت آلاندي بوجراند **Robert Alain de Beaugrand** وظيفة براغماتيّة وهدفًا تحقيقه منه بعكس الجملة.

11- العوامل الاجتماعيّة والتّفسيّة أوثق علاقة بالنّصوص منها بالجملة¹.

12 - لا تفسر بعض الأفعال اللّغويّة في نمط الجملة الضيق، بل في أحد المعايير النصّية.

هذه الأسباب وغيرها في اعتقادنا أنّها دعت إلى الانتقال بالتّحليل والبحث اللّساني من الجملة إلى النصّ، لأنّها قد تكون ولحقة طويلة من الزمن قد نالت كفايتها من التّمحيص والدراسة. وبالرغم من الملاحظات التي وُجّهت لنحو الجملة إلّا أنّه لا يمكن الاستغناء عنها في التّحليل اللّغوي فمثلما لسانيات الجملة تدرس الجملة وعناصرها ووظيفة كلّ عنصر فيها، وأنواع الجمل من اسمية وفعلية، فإنّ لسانيات النصّ بدورها تدرس النصّ من حيث بنيته ووظيفة كل جزء فيه وأنواع النّصوص وخصائص كل نوع.

ولهذا فقد اتّجهت الدّراسات اللّسانيّة نحو البحث عن لسانيات نصيّة أو نحو النصّ لتستكمل مايفوت نحو الجملة، والتّوجه من آفاق بحثيّة عريضة يخرج بها الدّرس التّحوي واللّساني من ضيق الجملة إلى سعة النصّ، وفيما سيتقدّم سنتحدّث عن موضوع لسانيات النصّ وتعريف هذا الأخير والإحاطة بأبرز جوانبه، وأن نقف عند أهم الفروق بين النصّ والخطاب.

1.1. مفهوم النصّ

مما لا شك أنّ مفهوم النصّ أضحى منذ عقود قليلة، من أكثر المفاهيم تداولاً في السّاحة اللّغويّة والتّقنيّة والثّقافيّة، وتعريف النصّ مثله مثل كلّ تعريف يمكن تناوله، أمر صعب لتعدّد

1- التّرابط النصّي في ضوء التّحليل اللّساني للخطاب ، الباطشي، خليل ابن ياسر، ص 33.

تعريفاته و تنوعها بل وتداخلها إلى حدّ التناقض أحيانا أخرى، و يعود هذا الاختلاف في الرّؤى و تعدّدها في تناوله حتّى أنّ بعضا من تعريفات النصّ اعتمد على مكوّناته الجمليّة و تتابعها والبعض الآخر أضاف إلى هذه الجمل التّرابط، وبعض ثالث اعتمد على التّواصل النصّي والسّياق وآخرون يعتمدون الإنتاجيّة الأدبيّة أو فعل الكتابة، وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصّا فيكون لدينا حصيلة كبرى و متشعبة من التّعريفات التي قد تقربنا إلى ملامحه.

ولعلّ أحسن المدخل التي نباشر بها لتعريف النصّ، التّعريف المعجمي اللّغوي لنهتدي بعده إلى تعريفه على المستوى الاصطلاحي.

1.1.1. مفهوم النص لغة

نرى البدء بالبحث عن مصطلح «نص» من تتبّع المادّة المعجميّة مشروعا لأنّ الميدان التي تتحقّق فيه العلاقات بين الجمل صارت تكوّن في الدّراسات اللّسانية نظاما اسمه «النص»¹.
تعدّد المعاني اللّغوية في مادة (ن، ص، ص) في لسان العرب «لابن منظور» (ت711 هـ) فقد وردت بخمسة معان هي²:

المعنى الأول: الظهور والبيان: النصّ: رفعك الشيء نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه، وكلّ ما أظهر فقد نُصّ، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصّ للحديث من الزّهري أي أرفع له وأسند. يُقال نصّ الحديث إلى فلان أي: رفعه ... ونصّت الطّيبة جيدها: رفعته.

المعنى الثاني: الرّفح والتّحريك: نصّ المتاع نصّا، جعل بعضه على بعض، ونصّ الدّابة ينصّها نصّارفعها في السّير، وكذلك التّاقة، وفي الحديث: أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم حين دفع من

1- لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، تحقيق عبد الله على الكبير، محمد أحمد حبيب الله، هاشم محمد الشاذلي، مادة (نصص)، دار المعارف، القاهرة، مصر، مج01، ج49، ص4441،4442.

2- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، وآخرون، مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، ط04، 1425هـ، 2004م ص926.

عرفات سار العنق فإذا وجد فجوة نص أي رفع ناقته في السّير وقد نصّصت ناقتي: رَفَعْتُهَا فِي السَّيْرِ، وسير نص ونصيص.

المعنى الثالث: الاستقصاء، والبحث عما جهل وذلك، في قول ابن منظور: ونصّ الرجل نصًّا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، ونصّ كلّ شيء: منتهاه... حيث قال الأزهري (370 هـ) «النّص أصله مُنتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل نصّصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كلّ ما عنده... وفي حديث هرقل: ينصّهم أن يستخرج رأيهم ويُظهره ومنه قول الفقهاء: نصّ القرآن ونصّ السنّة، أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام»¹.

المعنى الرابع: الشّدة والوصول بالشيء إلى أقصى غايته، حيث جاء في لسان العرب:... وأصل النّص أقصى الشيء وغايته، ثم سميّ به ضرب من السّير سريع، قال ابن الأعرابي: النّص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنّص التّوقيف، والنّص التّعيين على شيء ما، ونصّ الأمر شدّته.

المعنى الخامس: الاستقامة والاستواء، يقول ابن منظور: «وانتصّ لشيء وانتصب إذا استوى واستقام قال الراجز: فبات منتصًّا وما تَكَرَّدَسَا»².

كما تضمّن مفهوم النّص في تاج العروس عند الزبيدي لمعاني الرّفْع والإظهار، وضَمّ الشيء إلى الشيء، وأقصى الشيء ومنتهاه، إلّا أنّه اختصّ مفهوم النّص بمعان تُقدّم رؤية حول المفهوم اللّغوي وهي المعاني المجازيّة فقال: «نصّ الحديث، ينصّه نصًّا، وكذا نصّ «إليه»، إذا رفعه... وقال أبو عبيد النّص: التّحريك حتى تستخرج من النّاقة أقصى سيرها... ومن المجاز: نصّ «فلانا» نصًّا إذا «استقصى مسألته عن الشيء» أي أخفاه فيها و رفعه إلى حدّ ما عنده من العلم... وقال ابن الأعرابي: «النّص: الإسناد إلى الرئيس الأمر و النّص: التّوقيف» و «النّص: التّعيين على شيء ما» وكلّ ذلك مجاز، ومن النّص بمعنى الرّفْع والظّهور، قلت: ومنه أخذ نص القرآن والحديث وهو

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة (نصص)، ص 4442، 4443.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره وقيل نصّ القرآن والسنة : ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام، وكذا نصّ الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل بضرب من المجاز كما يظهر عند التأمل¹.
وأما في أساس البلاغة فهو يفيد الرفع: فالنصّ رفعك الشيء، نصّ الحديث ينصّه نصّاً: رفعه².
بناء على ذلك؛ يرى محمد الصغير بناني بأنّ: «النصّ (نصّ الحقائق) هو المنتهى: الاكتمال والقُدرة والنّضح»³.

ولهذا كما سبق وأشرنا فالنصّ في معجم لسان العرب لابن منظور يدور حول عدّة معان هي: الرفع والإظهار، وبلوغ الشيء أقصاه ومنتهاه مع ضمّ العناصر إلى بعضها البعض، والتّحريك والتّعيين على شيء ما، والتّوقيف والاستقامة والاستواء.

وما جاء في لسان العرب يتوافق مع ما ورد بعده في المعجم الوسيط حول مفهوم النصّ ولكنّه انفرد بالمعاني التّالية: «الشّواء نصيماً: صوّت على النّار، والقدر: غلت... (النصّ) صيغة الكلام الأصليّة التي وردت من المؤلّف: (مو) وما لا يحتمل إلا معنى واحداً، أو لا يحتمل التّأويل ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النصّ... و(عند الأصوليين): الكتاب والسنة...»⁴.

بالإضافة إلى المعان التي اشترك فيها مع لسان العرب، وردت معان أخرى منها الصوت المحدث على النّار، وما له معنى واحد لا يحتمل التّأويل، وقد يعني عند الأصوليين: الكتاب والسنة.

1- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد، محمد مرتضى الحسيني، الواسطي الزبيدي الحنفي، تح: عبد الكريم العزايوي مادة(نصص)، مطبعة حكومة الكويت، 1399 هـ، 1979م، ج18، ص445.

2- أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، مادة(نصص)، دار المعارف، بيروت، 1982م، ص331.

3- مفهوم النصّ عند المنظرين القدماء، بناني، محمد الصغير، مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر، العدد، 12، ديسمبر 1997م ص40.

4- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، و آخرون ، مادة (نصص)، ص926.

كما أنّه جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي تعريفا للنصّ يكون قريبا للتعريفات السابقة وهو « المتتمّهي والاكتمال»¹.

إنّ المتتمّع في هذه المعاني يجد أنّها تدلّ على خصائص ومميّزات تدلّ على ما يُطلق عليه نص في الخطاب اللّغوي المعاصر، كما أنّ هذه المميّزات لم تقتصر على القدماء فقط، لأنّ هؤلاء لم يصلوا إلى مرحلة التقنين أو التدقيق لمفهوم النصّ، ولكن كانوا يصنعون المعاني المعجميّة لمادة (نص)، والمتّبع لهذه الكلمة لن يجد فرقا كبيرا لما وضعه القدماء وما سينظر له المحدثين فيما يعرف بنحو النصّ أو علم النصّ اليوم.

كما أنّ معاني النصّ الدالة على الرّفعة والاظهار تعني أنّ الكاتب أو المخاطب يجب عليه من رفع و إظهار لنصّه سواء كان مكتوبًا أم منطوقًا كي يدركه المتلقي (المستمع/القارئ) ويفهمه وضمّ الشّيء يوحى بأنّ النصّ في معظم تعريفاته هو ضمّ الجملة إلى الجملة باستعمال التّروابط فهو إشارة إلى التّرابط و التّلاحم والاتّساق الحاصل بين هذه الجمل بعضها إلى بعض بواسطة روابط حتى تتسق وتكوّن كلاً موحد، وكون النصّ أقصى الشّيء ومنتهاه، هو تمثيل لكونه أكبر وحدة لغويّة يمكن الوصول إليها، إذ يُعدّ النصّ ممثلاً لمستوى من مستويات علم اللّغة المتعارف عليها².

والمتّمع في تعريفات كلمة نصّ يجد أنّها تنوعت بل وتداخلت وذلك تبعاً لتعدّد وتباين وجهات نظر اللّغويين ممّا أدى إلى صعوبة تحديد مصطلح محدّد للنصّ، ولكن يمكن القول أنّ أكثر ما تدلّ عليه هذه الكلمة لغويًا، هو الظهور والوضوح والاكتمال، وتأخذنا التعريفات اللّغوية المعجميّة رغم تنوعها نحو ما سيرد ذكره في التعريفات الاصطلاحية ولو بجبل رفيع.

1- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد، تحقيق، محمد نعيم العرسوقي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط،8، 1426هـ، 2005م، ص331.

2- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، الفقي، صبحي إبراهيم، ج1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ، 2000م، ص28.

2.1.1. مفهوم النص اصطلاحاً

النّص في الفكر العربي المعاصر مفهوم حديث، فهو ليس وليد هذا الفكر، وإّما هو كغيره وافد إلينا من الحضارة الغربية¹، وهذا ما يُصعّب علينا البحث في مصطلح النّص، وتحديد مفهومه بدقّة في التّراث العربي لتنوّع مفاهيمه وتشعّبها، إن لم نقل لعدم وجود تعريف له فيما كتبوا إلّا إشارات وصلتنا وتمّ استقراؤها كما سنرى.

1.2.1.1. النّص عند علماء النّحو والبلاغة

سنحاول استقراء ما وظّفه علماء النّحو والبلاغة المتقدّمين للفظ (نص) ، بالرّغم من عدم وجود تعريف له في كتاباتهم، ورغم رواجه فيها: أتت لفظة نص بصيغ مختلفة في كثير من المواضع عند ابن جنّي (ت392هـ)، منها ما أتى به مُتحدّثاً عن رأي المتكلّمين في معنى الكلام: « وقد علمت بذلك تعسّف المتكلّمين في هذا الموضوع وضيق القول فيه عليهم حتّى لم يكادوا يُفصلّون بينهما، والعجب ذهابهم عن نصّ سيبويه فيه، وفصله بين الكلام والقول ولكل قوم سنّة وإمامها»².

وإن تأملنا كلمة (نص) فيما أتت من كتاب ابن جنّي، أنّه استعملها بمعنى الدّال الذي يحمل مدلولاً (رسالة) متكاملًا، وتقدّم للمتلقّي حكماً جديداً لم يكن على دراية به من قبل، ويوحى هذا الاستعمال كذلك بثبات هذه الرّسالة ووضوح مضمونها، وأتمّ لا تحتمل تأويلاً³.

كما أنّ كلمة نص وردت بهذا المفهوم عند كثير من علماء البلاغة والأدب والنقد المتقدّمين حيث جاءت عدّة ممارسات تحاول التأسيس وإن كانت معظمها لم تصب اهتمامها على النّص كاملاً لكنّها أبدت اهتمامها بأجزاء منه فيما يخصّ التّرابط بين الكلم والجمل والتّماسك بين كثير من أبيات الشّعر نشير من بين ذلك إلى: محاولات كلّ من:

1- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الصبيحي، محمد الأخضر، ص18.

2- الخصائص ، أبو الفتوح ، عثمان بن جنّي، نح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج1، 1418هـ، ص32.

3- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، البطاشي، خليل بن ياسر، ص23.

- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت322 هـ) : أكد على ضرورة تماسك القصيدة كتلة واحدة وجعل للشعر معايير تجعل من صاحبه حاذقا، وينزل في قلب سامعه منزلةً طيبةً خاصةً إذا اتَّصف هذا الشعر بحسن الرِّصْف والتَّأليف، وهذا حتَّى ينال الشَّاعر-الَّذي شَبَّهه بالنَّسَّاج- من سامعه ويستولي عليه؛ يقول في ذلك: « ويكون كالتَّسَّاج الحاذق الذي يُفَوِّق وشيه بأحسن التَّفويف ويُسَدِّيه ويُنَيِّرُه ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه»¹.

نص ابن طباطبا هذا يدلُّ على استعماله لكلمة النَّسَّاج الَّتِي شَبَّه بها الشَّاعر حيث أنَّ هذه الكلمة كانت متداولة بكثرة في البيئة النَّقدية العربيَّة منها ما استعمله الجاحظ (ت255هـ) في كتابه الحيوان (السدى والنير)، وهذا إن دلَّ على أمرٍ إنّما يدلُّ على الوعي الَّذِي تحلَّى به نقادنا القدماء حتَّى وإن لم نقل أنّ لهم الأسبقية على الغرب الَّذين انطلقوا من تعريفاتهم للنص من الأصل اللاتيني الَّذِي يعني «النسيج» وإنّما ما أنتجته بيئتهم الثقافيَّة آنذاك، لأنّه كما سبق وذكرنا فقد ثبت عدم إطلاق العرب مصطلح النص بالمفهوم الحالي.

فالجاحظ كان سباقاً في رؤيته للكشف عن التحام الكلام المنشور الذي يُدع فيه الشَّاعر فينسجه حتَّى وإن كانت معانيه مطروحة في الطريق يقول: «وأجود الشعر عند الجاحظ ما كان متلاحم الأجزاء سلس المخارج، فتعلم بذلك أنّه إذا أفرغ إفراغاً وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كالدهان»².

هذا ما أكده ابن طباطبا أيضا من خلال نظرتة لطبيعة القصيدة العربيَّة المتميّزة بالتحام أجزاءها والتتامها، يتطرَّق إلى وصل الأغراض المتعدّدة في القصيدة الواحدة، حتَّى لا يحدث أي انقطاع أو انسداد على مستوى التلقي الذي يُسببه سوء الانتقال من معنى إلى آخر.

فالشعر في نظره ونظر من سبقوه تكمن جودته حين تلتحم أجزاءه وتضم بعضها إلى بعض فتكون كقطعة النسيج المتجاورة أجزاءها، كالعقد المنتظم لآله الحسنة التَّنسيق، المتجاورة حباته

1- عيار الشعر، ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط3 ص43.

2- البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للنشر، ج1، ص66.

بعضها إلى بعض المنضّمة لا فجوة أو ثغرة بينها، فيكون بها شاعر فحل حاذق « وأحسن الشّعر ما ينتظم القول فيه انتظامًا يتّسق به أوّله مع آخره، على ما يُنسقه قائله، فإن قدّم بيتا على بيت دخله الخلل.... بل يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجًا وحسنًا وفصاحةً وجزالةً ألفاظ ودقّة معانٍ وصواب تأليف، ويكون خروج الشّاعر من كلّ معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجًا لطيفًا»¹.

وحدث كلّ منهما عن الاتّساق بين الفصول، لا يعدو إلّا أن يكون دليلًا على تأكيد رأيهما في تلاحم الأجزاء وضمّ بعضها إلى بعض.

وأمثلة عديدة لنقاد وأدبيّين جعلوا النصّ (القصيدة) همّهم الأوّل حيث خصّوها بالدراسة والتحليل من حيث الألفاظ والمعاني والالتحام والإشارة إلى المتلقي لا يتّسع المقام لذكرها، وما يجب أن نقرّ به أنّها درست ما يشير إلى كلمة النصّ لكن دون التّطبيق له أو حتّى ذكر لفظه.

2.2.1.1. النصّ عند علماء الأصول

يقول الشافعي عن النصّ: « أنّه الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج مع التّنزيل فيه إلى غيره»²، فيعدّ أوّل من تطرّق إلى هذا المفهوم في نظريته عن البيان، وذكر فيها تعريفه (للنصّ). وعلى ذلك؛ « فالنصّ ما هو إلا معنى واحداً»³؛ أو هو: « ما رُفِعَ في بيانه إلى أبعد غايته»⁴. والأصوليون يضعون مفهومًا للنصّ في بحوثهم إذ يستعملون اللفظ ويطلقونه على كلّ ملفوظ

1- عيار الشعر، ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي، ص 167.

2 - الرسالة، الشافعي، محمد بن إدريس، تح: أحمد محمد شاكر، ج، 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 32.

3 - كتاب المعونة في الجدل، الشيرازي، أبو إسحاق، تحقيق عبد الحميد تركي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2001م، ص 12.

4 - المنهاج في ترتيب الحجاج، الباجي، أبو الوليد، تحقيق عبد الحميد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط03، 2001م، ص 12.

مفهوم المعنى من الكتاب والسنة، سواء كان ظاهراً أو نصّاً أو مفسراً؛ أي إنّ كل ما ورد عن صاحب الشّرع فهو نص¹.

وبهذا يكون الأصوليون قد حدّدوا المعيار الوحيد فيما يخصّ تعريفهم للنّص وهو الدّلالة إلى أنّ هذه الأخيرة ارتبطت باللفظ المركّب سواء كان منطوقاً أم مكتوباً.

إنّ مختلف التعاريف التي أوردناها أثناء تقديمنا لدلالات النّص ومعالجة مفاهيمه من طرف المتقدّمين من علماء النّحو والبلاغة والتّقذ والأدب تشكّل في مجملها مجموعة من المعايير فتّنها المحدثون في نظريّة متكاملة المعالم تعرف بعلم النّص كما سنرى.

1.3.2.1.1 النّص عند علماء اللّغة والتّقذ المحدثين

اكتسب النّص أهميّة كبيرة على مرّ العصور، وتشعبت مختلف آراء العلماء حول تعريفه وتعدّدت الرّؤى سواء عند علماء اللّغة العرب أم عند المحدثين.

1.3.2.1.1 النّص عند علماء اللّغة الغرب المحدثين

اختلفت الرّؤى والتّوجهات لمفهوم كلمة النّص عند الغربيين فكلمة «نص» /Texte/Text/ في Texto في الثّقافة الغربية آتية من فعل «نص» **texere** ومعناه بالعربيّة «نسيج» ولذلك معنى النّص «النّسيج»، فتكوين قطعة قماش متينة ومتماسكة دليل على قوّة تشابك خيوطها وتماسكها بواسطة مجموعة من العمليّات التي تتم عن طريق النّسج، «النّص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض. هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلّ واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص»².

1- التطور اللغوي عند الأصوليين، السيد، أحمد عبد الغفار، شركة مكنتات عكاظ، جدة، ط1، 1401هـ، 1981م ص146.

2- نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الرزاد، الأزهر، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1993م، ص12.

ونجد تقريبا التعريف نفسه لمصطلح نص في معجم لاروس العالمي حيث ورد فيه أنّ كلمة «نص» أتت من الفعل «نصّ» *texere*، ومعناها نسج، وقد سبق وأشارنا إلى هذا التعريف بداية. وما يعني أنّ النصّ هو التسيج لما فيه من تسلسل في الأفكار وتوال الكلمات¹.

إنّ ما نستشقه من خلال ما سبق أنّ النصّ بناء كليّ متسق ومنسجم ومُتشاكل لما يبذله الكاتب من جهد في ضمّ الكلم إلى الكلم، والجملة إلى الجملة بعضها إلى بعض بواسطة روابط مكوّنا بذلك كلاً متسقاً مترابطاً منسجماً، وأمّا فيما يخص مفهوم النصّ في اللسانيات الحديثة فقد جاء في معجم اللسانيات: نسمي نصّاً مجموع الملفوظات اللغوية التي يمكن أن نخضعها للتحليل؛ فالنصّ إذاً عيّنة من السلوك اللغوي الذي يكون منطوقاً أم مكتوباً، وهذا ما تؤكّد عليه هاليداي و رقية حسن، في كتابهما الاتّساق في الانجليزية (Cohesion in English) بقولهما: «إنّ كلمة نص *Texte* تُستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أيّ فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة ويظهر هذا التركيز على أن النصّ يتضمن المكتوب والمنطوق، على أن يكون وحدة متكاملة دون تحديد حجمه طولاً أو قصراً»²، فيُكوّن بهذا وحدة لغويّة أثناء استعماله يُحدّد عن طريق السّماع أو القراءة.

يتّضح أنّ رؤية كل من هاليداي و رقية حسن *Halliday and Ruqayya Hassan* لمفهوم النصّ، بُنيت على فكرة التماسك والترابط بين الكلم والجمل إذ: «تشكّل كل متتاليّة نصّاً، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتمّ بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة أو بين عنصر وبين متتاليّة برمتها سابقة أو لاحقة»³، فيسمي الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قبليّة وتعلقه بما يلحقه علاقة بعديّة ويمكن أن نمثل لهاتين العلاقتين بما يأتي:

-
- 1- تدريس الأدب، استراتيجية القراءة والإقراء، حمود، محمد، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1993م، ص25.
 - 2- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي، أحمد، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2001، ص22.
 - 3 - لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2 2006م، ص13.

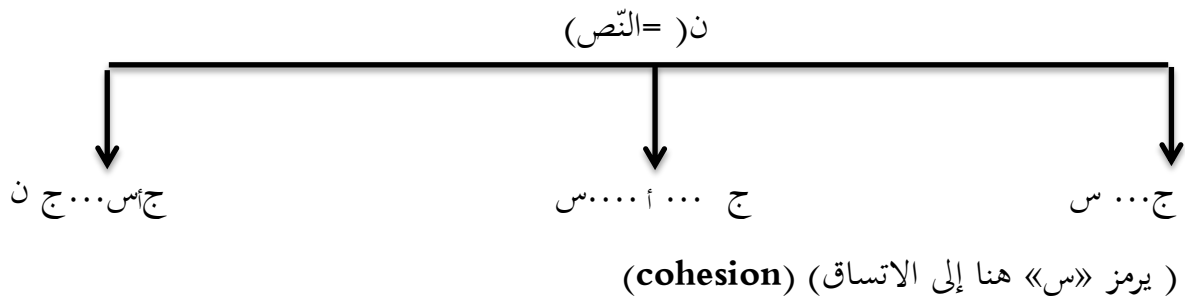
علاقة قبلية → س=ص

علاقة بعدية ← س=ص

المخطط رقم 01: علاقات الجمل داخل النّص

والملاحظ من خلال ما جاء به الباحثان أنّ النّص لا يشترط أن يكون طويلا أم قصيرا، أو حتى مجموعة من الجمل، فقد يكون شعرا أو نثرا أو مونولوجا أو حتى كلمة لكنّها في مفهومها تُعدّ نصّا.

الأمر ذاته جاءت به ليتا لاندكيسست **Lita Lundquist** بقولها: «... تكون العلاقات بين الجمل في النّص مستندة إلى عنصر رابط نسمّيه العنصر الاتساق **élément cohésif**، وهو الذي يحقق التّرابط في البعد الخطّي، أي (بين جملة سابقة وجملة لاحقة)، وبالتالي نحصل على صورة للنّص من حيث خاصيّة التّرابط بين الجمل؛ هكذا¹:



المخطط رقم 02: صور ترابط النّص

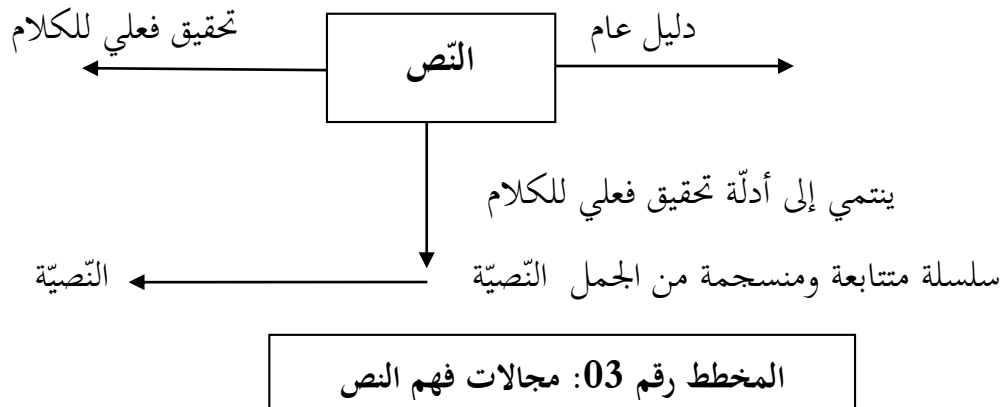
كما أنّها وظفت مقابلة دي سوسير الشهيرة بين اللّغة والكلام لتجعل النّص منتوج مادي بحكم أنّ اللّغة تمثل الجانب المجرد، والكلام هو التّجسيد الفعلي لهذا الجانب فقابلته بما هو منطوق أو

1- الاتساق والانسجام في القرآن، بن عروس، مفتاح، دار نور حوران، دمشق سورية، دار العرب، ط01، 2018م ص102.

مُتلفظ به في أيّ مقام ما في وضعيّة تواصلية باستعمال أنظمة أفعال الكلام التي تتمّ بين البشر لغويّة كانت أم غير لغويّة¹.

وبالتالي استندت إلى ما أتى به جاكسون **Jacobson** في النّظرية التّواصلية، وسيرل **Searle** من خلال أفعال الكلام وعرّفت النصّ على أنّه فعل كلامي، لتكون بهذا قد جعلت من النصّ أولاً مجموعة من جمل تتابع متّسقة منسجمة بواسطة تعالق بعضها البعض وفق وضعيّة تواصلية محقّقة بأفعال كلامية منطوقة كانت أم مكتوبة.

يمكن أن نمثل ما أتت به لاندكسيت فيما يأتي :



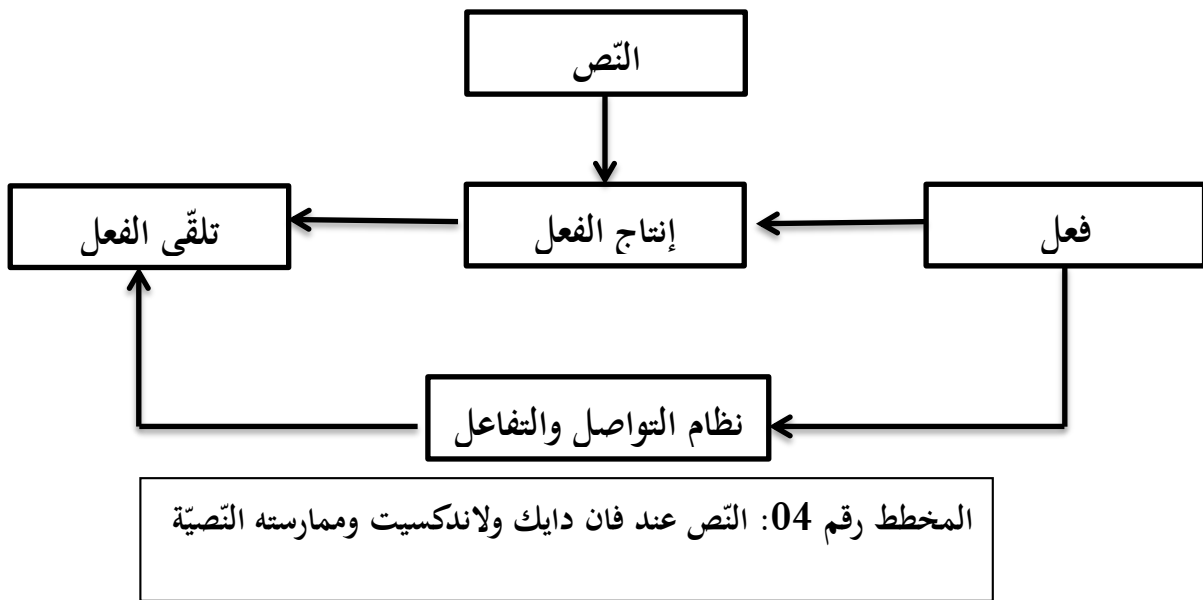
وأما تون فان دايك **Ton Vac Dyk** فقد عرّف النصّ في كتابه: (بعض مظاهر قواعد النصّ 1972م) و(النصّ والسيّاق 1977م) (**Text and Context**)، بأنّه: «نتاج لفعل ولعملية إنتاج من جهة وأساس لأفعال وعمليات تلقي الاستعمال، داخل نظام التّواصل والتّفاعل من جهة أخرى وهذه العمليات التّواصلية الأدبية، تقع في عدّة سياقات تداولية ومعرفية، وسوسيو ثقافية وتاريخية تحدّد الممارسات النصّية وقواعد الاستراتيجيات، التي تنظّم ممارستها النصّية»².

1 - المرجع نفسه، ص 99.

2 النص الغائب وتجليات التّناس في الشعر العربي، عزام، محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص 16.

وعليه فقد وضع فان دايك النّص في موضعين أحدهما نظري مجرد والآخر تداولي يربطهما سياق مناسب يتم الرّبط بينهما بواسطة علاقات قد تكون داخل النّص نفسه أو خارجه وهذا ما نادت به لاندكسيت.

لتبيّن الخطاطة الآتية ما أتى به كلاهما:



كما ذهبت الباحثة جولياكريستييفا **Julia Christipha** إلى قولها بأنّ: « النّص جهاز عبر لساني يُعيد توزيع نظام اللّسان، بواسطة الرّبط بين كلام تواصللي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السّابقة عليه والمتزامنة معه، فالنّص، إذن إنتاجيّة وهو ما يعني:

أ- أنّ علاقته باللّسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (هادمة ببناءة) ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللّسانية الخالصة.

ب- أنّه ترحال للنصوص وتداخل نصّي، ففي فضاء نص معيّن تتقاطع وتتفاني ملفوظات عديدة مقتطّعة من نصوص أخرى»¹.

1- علم النص، كريستييفا، جوليا ، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1991 م، ص21.

تدعو كريستيفا إلى أن ننظر للنصّ على أنّه بنية عميقة متعدّدة الدلالات، يتعلّق مع نصوص أخرى ويتداخل أيضا؛ عن طريق العديد من المكونات والممارسات السيمولوجيّة المكوّنة للغة والتي ترى من خلالها أنّ النصّ أكثر من مجرد خطاب أو قول.

وبهذا تكون الناقدة البلغارية كريستيفا قد أخرجت النصّ من إطاره الشكلائي المغلق إلى فسحة المجتمع والتاريخ، مصرّة على ما يوصله من رسائل وعلاقات بمختلف النصوص الأخرى وهو ما يسمّى « بالتناص»، الذي أولته هذه الناقدة أهميّة خاصة في دراستها السيميائيّة¹.

وأما عن مفهوم النصّ عند روبرت آلاندي بوجران **Robert Alain de Beaugrand** فهو يتوافق إلى حدّ قريب مع ما أتى به فان دايك، ولاند كسيت اللذان ركّزا على العمليّة التّواصلية من خلال تعريفهما للنصّ، فشدد هو الآخر على ميزة الاتّصال في النّصوص ويرى أنّه لا يمكن تناول النصّ من خلال وصفه وحدات كبرى أو جملا متواليّة، إلّا إذا وجدت خاصيته الأولى، وهي كونه واردا في الاتّصال **Communication**².

نفس الفكرة ذهب إليها سميث **Smith** أيضا فقد أشار إلى أنّ: «حدّ النصّ هو كلّ تكوين لغوي منطوق من حدث اتّصالي-في إطار عمليّة اتّصاليّة- محدّد من جهة المضمون، ويؤدّي وظيفة اتّصاليّة يمكن إيضاحها، أي يُحقّق إمكانيّة قدرة إنجازيّة جليّة»³.

ومن هنا فكلا التعريفين السابقيين يأتیان بتعريف النصّ على أنّه نسج من الكلم المنظومة من حيث التّأليف والتنسيق والانسجام وفق بناء محكم يؤدّي وظيفة اتّصاليّة تواصلية ضمن سياق خاص شرط ألاّ يُعطي علم النصّ لنفسه الرّغبة في الكشف عن كلّ الوحدات الاتّصاليّة، لأنّها

1- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، ص28.

2 - مدخل إلى علم لغة النصّ، تطبيقات لنظرية روبرت دي بو جراند ولفنجانج دريسلر، أبو غزالة، إلهام ، علي خليل أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط02، 1999م، ص09.

3- علم لغة النصّ، المفاهيم والاتّجاهات، بحيري، سعيد حسن، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصريّة العالميّة للنشر لوّجمان مصر ط،1، 1997م، ص81.

تتطلب وسائل غير التي يملكها هذا الفرع اللّغوي (علم النّص)، فوجب أن يبقى النّص هدف البحث في الدراسات النّصيّة.

قد لا نبالغ إن قلنا إنّ مسألة إيجاد تعريف جامع للنّص صعب جدّا، وهذا راجع كما ذكرنا سابقا إلى تعدّد تعاريفه ومفاهيمه وتشعبها، يقول سعيد حسن بحيري: « يجب أن يوضع في الاعتبار أنّ مسألة وجود تعريف جامع مانع للنّص مسألة غير منطقيّة من جهة التّصور اللّغوي ويؤكّد ذلك الاختلاف بين علماء اللّغة، الذين ينتمون إلى مدارس لغويّة مختلفة، حول حدود المصطلحات التي تتركز عليها بحوثهم»¹.

1.1.2.3.2. النّص عند علماء اللّغة والنّقاد العرب المُحدثين

إنّ تعدّد وتنوّع واختلاف الرّؤى والمفاهيم فيما يخصّ مصطلح (النّص) عند علماء اللّغة والنّقاد الغرب المُحدثين، يأخذنا حتما إلى البحث عن مفهوم النّص في الدّراسات العربيّة الحديثة. فلا يمكن الجزم بأنّ هناك مفهوما للنّص في الفكر العربي المعاصر لأنّ اللّغويين والنّقاد العرب اعتمدوا بشكل أو بآخر على ما أتى به الغرب وهو ما أكّده عبد المالك مرتاض: « وقد حاولنا أن نعثر على ذكر اللفظ في التّراث العربي النّقدي فأعجزنا البحث ولم يفض بنا إلى شيء إلا ما ذكر أبو عثمان الجاحظ في مقدمة كتابه (الحيوان) من أمر الكتابة بمفهوم التّسجيل والتّقييد، والتّدوين والتّخليد بالمفهوم الحديث للنّص»².

لكنّ بعض الدّارسين من يرى أنّ فشل الباحثين العرب في الكشف عن ملامح مفهوم النّص في التّراث العربي اللّغوي والنّقدي، لا يعود إلى أنّ هذا المفهوم لا يوجد أصلا، وإنّما مردّ ذلك إلى أنّ هؤلاء الباحثين غالبا ما ينظرون إلى التّراث من خلال المقولات الغريبيّة وهو ما يشوه قراءتهم لهذا التّراث ويطمس الكثير من الحقائق³.

1 - علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات، بحيري، سعيد حسن، ص11.

2- في مفهوم النّص، الفلاح، نور الدين، وقائع الملتقى القومي المنظم بصفافس، أفريل 1988م، قراءة النّص بين النظرية والتّطبيق تونس، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، 1990م، ص38.

3 - المرجع نفسه، ص 41.

وهنا يمكننا القول حتّى وإن لم نجد أصل كلمة النصّ في اللّغة العربيّة نجد آراء متباينة في الممارسة النّقديّة للنّص¹؛ وهذا ما سنلاحظه بعد تقديم مختلف آراء النّقاد العرب. ومن هؤلاء على سبيل الدّكر: محمّد الهادي الطرابلسي الذي ذهب إلى أنّ النّسيج يتوفّر في المصطلح الأعجمي المقابل لمصطلح نص (texte) على أنّ هذا المعنى ليس غريبا عن تصوّر العرب للنّص، فقد تبيّن أنّ الكلام عند العرب يكون نصّا، إذا كان نسيجا فالنّص والنّسيج في بعض الأحيان يلتقيان، « النصّ جعل المتاع بعضه على بعض، والنّسيج ضمّ الشّيء إلى الشّيء فالأول تركيب، والثاني ضمّ، والتركيب والضمّ واحد²»؛ وبهذا التعريف يكون بعض الباحثين العرب قد حاولوا التّقريب بين مفهوم كلمة النصّ في التّراث العربيّ أو المعاصر وبين ما أتت به اللّغات اللّاتينيّة.

ولنهلة أحمد نفس التّوجه والفكر حول مفهوم النصّ، حيث ترى أنّه مفهوم أجنبيّ غرّب وأنّ الذين يقولون بالنّص، يحدّدون معناه في الكتاب والسّنة، والنّص يعني الظهور التّام ونفي التّأويل³؛ وهذا يعني أنّ النصّ فقط هو الكتاب والسّنة، وما عدا ذلك فلا يعتبر نصّا. ولها أيضا رؤية حول ما يستعمله علماء القرآن والتّفسير لكلمة نصّ أو كلمة خطاب فلهم أن يحدّدوا ما يقصدون بالضّبط من هاتين الكلمتين، فأغلبية النّاس تفهم اليوم من أنّ النصّ هو الكلام الحرّفي المنسوب إلى منشئه بغض النظر عن معناه، مما يعني رفع الكلام إلى منشئه الأصليّ بصيغته الأصليّة، خلافا للكلام العادي، ورفع الكلام إلى المنشئ الأصليّ مفهوم مترسّخ في العربيّة منذ العصر الجاهلي، ولكن تقرير فهم كلمة النصّ **texte** بالمفهوم العربيّ ليس صحيحا وتضيف نهلة الأحمّد إذا كيف نُعنون كتبنا كاملة بالنّص؟ ونحن ننفي وجوده إطلاقا، فهل هو اعتراف بوجود

1- أبعاد النصّ النّقدي عند الثعالبي، مقدمة نظريّة ودراسة تطبيقيّة، الأحمّد، حسن إبراهيم، منشورات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2007م، ص22.

2 - نسيج النصّ، بحث فيما يكون الملفوظ نصّا، الزناد، الأزهر، ص6.

3 - إشكالات النصّ، المداخلّة أمودجا دراسة لسانية نصيّة، جمعان، بن عبد الكريم، النادي الأدبي بالرياض، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص26.

النّص؟ وإلاّ فما يشتغلون عليه نص، ولكنّه نص بالمفهوم العربي أي (نسيج) ، وهو ما يفهمه الناس اليوم ويحيلون عليه إذا لا وجود للنّص في الثّقافة العربيّة¹.

وتعود وتصرح نهلة أنّ كلمة نص قد تطوّرت دلاليًا في نطاق العربيّة بإطلاقها على الكتاب والسنة إجمالاً، ثم تطوّرت بإطلاقها على كلام الفقهاء في قولهم: «نصّ الفقهاء على كذا»² وبعدها شاع إطلاق كلمة (نص) مع النهضة العربيّة نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

لا مناص لنا ونحن نحلّل ونتابع ما ذهبت إليه نهلة الأحمد في حديثها عن التطور الدلالي لكلمة نص من أن نتدبّر في رُأها، حيث أنّها نفت أولاً من أن يكون النّص في الدّراسات العربيّة امتداداً للمفاهيم الغربيّة على اعتبار أنّ هذا التطور الدلالي متعلّق بمفهوم النّص عند الأوائل إلى غاية النهضة العربيّة وبالتالي يحقّ لنا التّساؤل: هل مفهوم النّص الذي عرفته الدّراسات الغربيّة ظهر لأوّل مرّة بالصّورة الموجودة الآن؟ لأنّ إطلاق حكم نهلة على الدّراسات العربية يتطلب طرح كلّ التّصورات لإيجاد الغاية المطلوبة.

ويرى صلاح فضل أنّ النّص ليس مجرد متواليات من مجموعة علاقات تقع بين حدّين فاصلين حيث إنّ التّنظيم الداخليّ يحيل إلى مستوى التّراكيب أفقيّاً في كلّ بنويّ لازم وضروري للنّص³. إنّ صلاح فضل يضع البنية الكبرى أو الشّاملة كشرط أساسي لأنّها تمثّل دلالي للنّص، غير أنّ هذه البنية وحدها غير كافية لتكوين النّص بل لا بُدّ من توفّر علاقات تجعل من النّص كلّاً بنيويّاً متكاملًا وعليه يجب أن يتوفّر هذا الأخير على البنية الشّاملة إضافة إلى علاقات الاتّساق، وآليات الانسجام التي تجعل من النّص وحدة متكاملة.

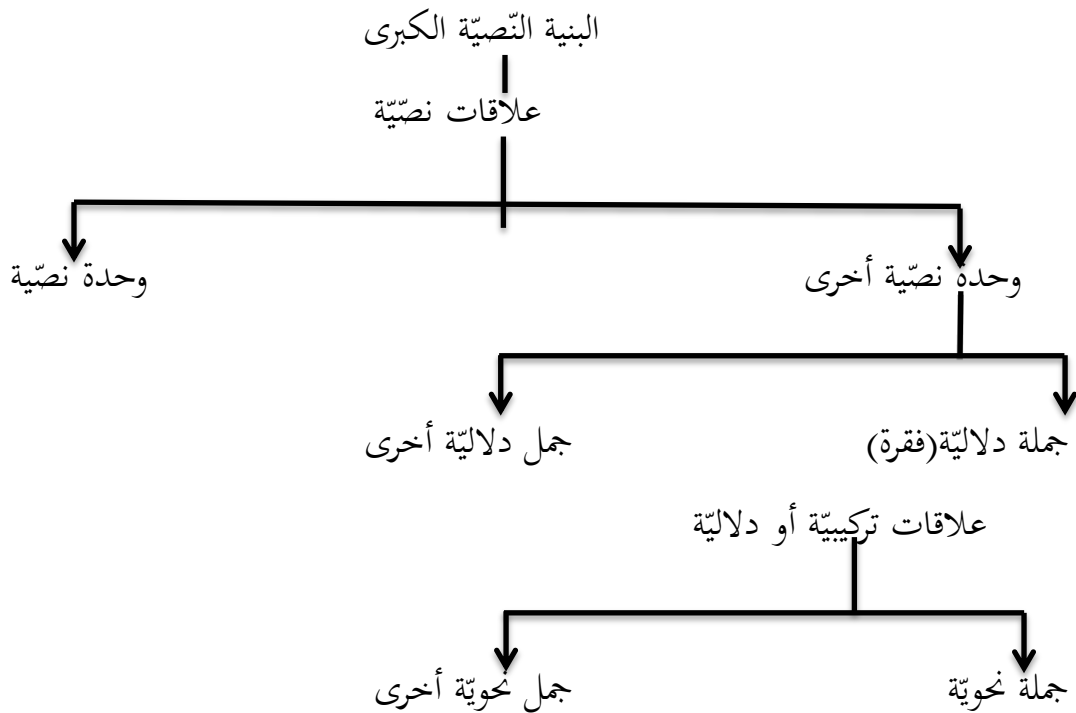
1 - المرجع نفسه ، ص 27.

2 - التماسك النصي في التّصص القرآني -دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام-، هبيرة، عز الدين ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة العربية والدراسات القرآنية، 1436هـ-1437هـ/2015م-2016م، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم اللغة العربية، قسنطينة، ص 11.

3 - مناهج النقد المعاصر، فضل، صلاح ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة، 2002م، ص 127.

نفس الطرح ذهب إليه محمد خطابي: « ذلك أنّ النّص ليس مجرد تتابع عشوائي من العلاقات بل يجب أن يتوافر فيه شرط البنية، فالنّص حسبه كيان مهيكّل يقوم على بنية متكاملة تجعل كلّ عنصر فيه يعتمد على عنصر آخر سواء سابق أو لاحق له، كأن يفترض أحدهما الآخر، أو كأن لا يُدرك معنى الواحد منهما إلّا بالعودة إلى الثاني»¹، وهو ما تعرّض إليه هاليداي و رقية حسن في طرحهما.

ويمكن هيكلة بناء النّص في الخطاطة الآتية:²



المخطط رقم 05: البنية النصّية الكبرى وأقسامها

وبهذا يكون النّص وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة، متضمنا كلّ مستوياته يتميّز بالترابط والتآلف والانسجام.

1 - لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص 13.

2 - علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، مصطفى صلاح قطب، عالم الكتب، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ردمك، ط 1 2014م، ص 177.

ولئن كان مفهوم النصّ متشعباً عند الغرب والعرب، لا ننكر أنّ هناك قاسم مشترك بينهما هي خاصية الترابط، وهذه الأخيرة نجدّها في الدلالة اللغوية لكلمة **Texte** فالأصل اللاتيني لكلمة نصّ **Textus** ومعناه النسيج **tissu**، ومنه تطلق كلمة **textile** على ما له علاقة بإنتاج النسيج بدءاً بمرحلة تحضير المواد، وانتهاءً بمرحلة النسيج النهائي وبيعه، من هنا كان النصّ عبارة عن نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض¹.

ومما تقدّم يكون النصّ هو الوحدة اللغوية الكبرى التي تدرس جوانب عديدة: الدلالية والتداولية والتحوّلية، التماسك ووسائله وأنواعه، الانسجام وآلياته، والعلاقة بين المرسل والمتلقّي ضمن العملية التواصليّة الاتّصاليّة، والنصّ المكتوب والمنطوق على حدّ سواء، فمما تقدّم من تعاريف للنصّ أتى ليخدم دراسة معيّنة لسانيّة كانت أم غير لسانيّة؛ حيث أنّ التعرّض لكلمة النصّ وأهم مفاهيمها يحيلنا إلى تأكيد التقارب الموجود بين التعاريف اللغوية والاصطلاحية.

ومن هذا المنطلق نخلص في الأخير، أنّ النصّ ومفهومه يمثّل ظاهرة متشعبة من الصعّب علينا وضعها في إطار دقيق والإحاطة بكلّ جوانبها ومقوماتها، فتعدّدت تعاريف اللغويين والنقاد وتشعبت من رؤى إلى أخرى، ولعلّ في تطرّقنا إلى التعريف بموضوع علم النصّ ما من شأنه أن يُضفي على تعريف هذه الظاهرة اللغوية شيئاً من الدقّة والضبط.

2.1. مفهوم الخطاب

حدّد فرناند دي سوسير **Vernard Vernard De Saussure** حقل اللسانيات كدراسة للغة، وركّز جهوده على التعارض التمهيدي بين اللسان (**Langue**) والكلام (**Parole**)²؛ وغيب مصطلح الخطاب ولم يحدد مفهومه في كتابه (دروس في اللسانيات العامة) ولكن في بدايات عام (1909م) قدّم بالي **Bali**. في كتابه (بحث في الأسلوبية) مبادئ لسانيات الكلام، فاتحاً الطّريق

1- البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النصية، عبد المجيد، جميل ، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م، ص69.

2- عناصر لتحليل الخطاب *Eléments d'analyse du discours*، جورج إليا صرفاتي Georges-Elia Paris، Editions Armand Colin، 2009، تر: وتقديم محمد ساري، دار التنوير، الجزائر، ط1 2014م، ص15.

للبحث في علاقة الفاعل المتكلم مع خطابه الخاص، وفي أهميّة السياق (contexte) في تحديد المعنى ومع ظهور كتاب فلاديمير بروب Vladimir Propp (مورفولوجيا الحكاية) (1928م) وتطوير الشكلايين الروس دراساتهم الواسعة حول البنى السردية للأدب الشفوي والمكتوب ضمن حلقة تأثير مبادئ سوسير، تبلورت فكرة مصطلح الخطاب، وأخذ كل باحث يعرفه حسب وجهة نظره، ويقدم اقتراحات وإجراءات ليسهم في وضع تصوّر مناسب لهذا المفهوم -الخطاب- فكانت المحاولات الأولى لتحديد الخطاب مع زيلخ هاريس Zilech Harris في كتابه (تحليل الخطاب) فعرفه بقوله: «ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض»¹.

1.2.1. مفهوم الخطاب لغة

ورد في اللسان لابن منظور في مادة (خ، ط، ب) أنّ الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطب بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، والخطب: الشان والأمر، صغر أو عظم وقيل هو سيف الأمر، يقال ما خطبك؟ أي ما أمرك وتقول: هذا أخطب والخطب أي عظم الأمر والشان والخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجوع ونحوه -التهديب-².

وجاء في الكافي لمحمد الباشا الخطاب: «مصدر خاطب: المواجهة بالكلام، ويقابلها الجواب: الرسالة والخطابة مصدر خطب: عمل الخطيب وحرفته والخطب: مصدر خطب: الحال والشان: ﴿قَالَ بَمَا خَطْبِكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (سورة الذاريات، الآية 31)، الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه (ج) خطوب. الخطبة: مصدر خطب: ما يخطب به من الكلام»³.

أمّا المعجم الوسيط، فلا يشير إلى تطوّر هذه الكلمة في العربية المعاصرة وإنّما يكتفي بتفسير الخطاب بالكلام دون تقييد نوع الكلام، والخطاب بمعنى الرسالة⁴.

1 - تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التعبير)، يقطين، سعيد، المركز الثقافي العربي، 1997م، ص 17.

2 - لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين، ص 97، 98.

3 - معجم عربي حديث، الباشا، الكافي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992م، ص 414.

4 - المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ص 243.

ويظهر من هذه التعاريف اقتصارها على اللّغة المنطوقة في حالة المحاورّة، ويضاف إلى ذلك اللّغة المكتوبة في حالة المراسلة، وكأنّ التّواصل في مفهوم هذه الكلمة أمر أساسي في تحقيق معناها.

ليأتي معجم المصطلحات العربيّة ويؤكّد هذا فيجعل الخطاب (الرّسالة) نصّ مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه، يتضمّن عادة أنباء لا تخصّ سواهما، ثم انتقل مفهوم الرّسالة من مجرد كتابات شخصيّة إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربيّة-سواء أكتب نظماً أو نثرًا- أو من المقامة في الأدب العربي¹.

كما تردّد في كتب أصول الفقه ومصطلحات: دليل الخطاب، وفحوى الخطاب، ومعنى الخطاب².

يتّضح لنا أن الخطاب في اللّغة حمل معنى الكلام، مع مشاركة هذا الأخير طرفي الخطاب.

2.2.1. مفهوم الخطاب اصطلاحاً

عرّف الخطاب عدة تعاريف من قبل اللّغويين خاصّة وأتّه مصطلح لساني حديث، مأخوذ من اللّاتينية، ومعناه الركض هنا وهناك، فليس أصلاً مباشراً لما هو مصطلح عليه بالخطاب، إلّا أنّ الجذر اللّغوي اللّاتيني أصبح يحمل معنى الخطاب، أو ما اشتقّ منه من معان منذ القرن السّابع عشر فقد دلّ المصطلح على معنى طريق صديفي، ثمّ المحادثة والتّواصل كما دلّ على تشكيل صيغة معنويّة سواء أكانت شفهيّة أم مكتوبة عن فكرة ما³.

ومّا يعنيه المصطلح: الوحدة اللّغوية المساوية أو الأكثر من الجملة ويتكوّن من متتاليّة حاملة لرسالة أو إبلاغ، محصورة بين بداية ونهاية، وهو بهذا المفهوم يرادف مصطلح الملفوظ **L'énoncé**

1 - الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية من المسائل والضوابط والقواعد الكلية، السيد علوي، بن أحمد السقاف مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ص62.

2 - إشكالات النص، المداخلة أنموذجاً دراسة لسانية نصية، جمعان ، بن عبد الكريم، ص34.

3 - تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، شرشار، عبد القادر، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، د ط، 2006م ص12.

والجملة في هذا الإطار حسب رأي بنفنسنت **Benveincente** هي بوابة الانتقال من حيز اللّغة كنظام للعلامات إلى مجال الخطاب حيث تستعمل اللّغة كوسيلة للاتّصال، ومن ثمّة فالجملة وحدة للخطاب الذي يفترض متكلمًا يهدف إلى التّأثير في مستمعيه¹.

وفي معجم أوكسفورد الموجز للّغة الإنجليزيّة، يجعل الخطاب عمليّة الفهم طريقها من المقدّمة حتّى النتيجة اللاحقة.

- الاتّصال عبر الكلام أو المحادثة، القدرة على المنافسة.

- سردي.

- تناول أو معالجة مكتوبة، أو منطوقة لموضوع طويل مثل بحث أو أطروحة أو موعظة أو ما شابه ذلك.

- الاتّصال المألوف، المحادثة.

- أن يقوم بخطاب تعني أن يتحدث ويناقش مسألة ما.

- أن يتكلّم أو يكتب بشكل مطول عن موضوع ما.

- أن يدخل في نقاش منطوق أو مكتوب، أن يخبر، أن ينطق.

- أن يتحدث مع، أن يناقش مسألة مع، أن يخاطب شخصا ما.

- المخاطب هو الذي يخاطب، المخاطب هو الذي يفكّر.

- عمليّة أو قدرة أو مقدرة التّفكير على التّوالي منطقيًا، عمليّة الانتقال من حكم لآخر بتتابع منطقي لملكة التّفكير².

1 - الخطاب الأدبي من النشأة إلى التلقي، نواري سعودي، أبو زيد، مكتبة الآداب، ط1، 2005م، ص9، 10.

2- تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، ناعوس، بن يحيى، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في لسانيات النص، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2012م، 2013م، ص21.

نستشفّ من هذا المفهوم أنّ الخطاب قد يكون منطوقاً أو مكتوباً كما أنّه متتاليّة من الأفكار مع وجود الظروف التي تلائمها لتؤدّي معنى وفائدة، وهذا يتلاقى لحد كبير من حيث المعنى، بين النّص والخطاب.

1.2.2.1. مفهوم الخطاب في الدراسات الغربية

بات مصطلح الخطاب مصطلحاً شائعاً، اعتمد على السيمولوجيا من ناحية والتداولية من ناحية أخرى وبهذا كان منهجه وظيفياً مجاوزاً للبنويّة في عديد من العلوم المعرفيّة كعلم الاجتماع وعلم اللّغة والفلسفة وعلم النّفس الاجتماعي وغيرها، ولهذا فقد حُدّد معنى الخطاب لدى جيوفري ليتش **Geoffrey Leech** ومايكل شورت **Michael Short** الخطاب تواصل لغوي يُنظر إليه باعتباره عملية تُجرى بين متكلّم ومستمع أو تفاعل شخصي يُحدّد شكّله غرضه الاجتماعي، وبهذا يكون للخطاب معنى أشمل وهو أنّ لكلّ كلمة قائل ومستمع.

يُعدُّ بيسونس **Bison** أول من طرح فكرة دراسة الخطاب في حدود اللسانيات، أما بول ريكور **Paul Ricoeur** فقد استبدل ثنائية سوسير (اللّسان، الكلام) بـ: (اللّسان، الخطاب) وذلك للتأكيد على أهميّة الخطاب، والتفريق بين موضوع بحث علم الدلالة الجملة، وعلم السيمياء العلامة.

كما كان لهاريس **Harris** (1952م) العالم اللساني الأمريكي الرّيادة في مضمار الانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة الخطاب من خلال بحثه (تحليل الخطاب)، وكانت محاولته مبنية على دراسة الخطاب وفق منهجه البنوي التوزيعي، وذلك بجعل الخطاب موضوع الدّراسة بدلا من الجملة، فهو يرى أنّ «الخطاب ملفوظ طويل أو قصير أو هو متتاليّة من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض»¹؛ فالخطاب عنده إمّا منطوقاً وإمّا مكتوباً، وإذا كان مكتوباً فهو متتاليّة من الجمل تتوزّع بانتظام.

1 - تحليل الخطاب الرّوائي، يقطين، سعيد، ص 17.

ونجد ميشيل فوكو Michel Foucault قد حدّد المفهوم في أكثر من صورة، إذ يرى أنّ الخطاب «هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموع المنطوقات (Enonces)، وأحيانا أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات، وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها تدلّ على عدد معيّن من المنطوقات وتشير إليها»¹، وهو «مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى التشكييلة الخطابيّة، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورة قابلة لأن تتكرّر إلى مالا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها من خلال التاريخ... بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها»².

إنّ المنطوق في -تعريف فوكو Foucault للخطاب- يمثل المكوّن الأوّل للخطاب، لأنّه عبارة عن مجموعة من المنطوقات، فهو يرتبط بالخطاب بعلاقة الجزء مع الكلّ، وقد ارتكز مفهوم فوكو للخطاب على القواعد المتحكّمة في المنطوقات (التشكييلة الخطابيّة)، و(ميدان الخطاب) الذي يُمثّل المنطوقات التاريخيّة و(الممارسة الخطابيّة) التي تُعنى بالخطاب ووظيفته³.

كما عقد فوكو مقارنات للخطاب مع مفاهيم أخرى حاول من خلالها تعريفه وبيان سماته اللسانية فهو مصطلح لساني يتميّز عن النصّ والكلام والكتابة وغيرها، ويشمل كلّ إنتاج ذهني منطوقا أو مكتوبا فرديّا أم جماعيا، وللخطاب منطلق داخلي، وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يُعبر عنها، أو يحمل معناها، أو يميل إليها، بل يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما، وكأنّ فوكو يجعل للخطاب أنواع حسب ما وضع فيه سواء من ارتباط أو تصنيف أو ظرف أو ممارسة.

وهذا ما دفع بـ جون فراو John Frao إلى اقتراح تعبير بديل عن الخطاب إلى عالم الخطاب (Universe of discourse) مقدّما نماذج له من أنواع الخطاب الدّيني والعلمي والبرجماتي والتّقني اليومي والأدبي والفلسفي، وغيره، مفرّقا بين هذا كلّه وبين أنواع الخطاب التي يعرفها مستندا

1- حفريات المعرفة، فوكو، ميشال، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط، 02، 1987م، ص78.

2- حفريات المعرفة، فوكو، ميشال، ص111.

3- مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، الزواوي، بغورة، مكتبة الاسكندرية، ط، 1، 2000م، ص96، 105.

إلى فولشينوف **Volshinov** بأنّها: «مجموعات من الملامح الشّكلية والسّياقية والموضوعيّة ذات أبنية معيارية أو طرائق الحديث في موقف من المواقف»¹.

ويجعل بنفينسنت **Benvincent** من نظرية (التلفظ)-بوصفها الاستعمال الحقيقي للغة- أساسا في بناء مفهوم الخطاب؛ إذ يقول الخطاب هو: «الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التّواصل»²، فتحليل ملفوظات الخطاب يكون بالاهتمام بقواعد تكوينها مع الوقوف على شروط عملها، وكيف يمكن لهذا الملفوظ أن يظهر دون غيره حتّى يساعد على ربطه بمختلف الممارسات.

وفي تعريف آخر يتّسع معنى الخطاب لديه فيرى أنّ: «الخطاب كلّ قول يفترض متكلّما وسامعا ويكون لدى المتكلّم مقصد التأثير في الآخر على نحو ما»³؛ فهنا بنفينسنت **Benvincent** يقرّر تعدّد أنواع الخطابات وتوّعها على القول بوجود طريفي عمليّة التّواصل والغاية تكون قصد التأثير في المتلقّي من جانب منتج الخطاب فيراعي هنا سمة الحوارية التي تشترط وجود منتج ورسالة ومتلقّي، مع القول بوجود هدف معيّن للخطاب.

وباختين **Bakhtin** يرى أنّ: «الخطاب هو اللّغة المجسّدة ذات الشّمول والاكتمال كما أنّه يرتبط بشكل آخر بالكلمة المنطوقة، التي تقوم على أساس العلاقات الحوارية داخل اللّغة، أو خارجها من زاوية حوارية»⁴.

1- الماركسية والتاريخ الأدبي، جون فراو JoneFrow، تر: سالم يفتوت، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1968م، ص 57.

2 - تحليل الخطاب الروائي، يقطين، ص 19.

3 - شعريّة دوستوفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، باختين، مخائيل، دار توبقال، الدار البيضاء، ط 1، 1986م ص 267.

4 - مقدمة في نظريات الخطاب، ديان، ماكدولين، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، شركة مساهمة مصرية 2017م، ص 15.

وفي ضوء تسلسل الجمل وتماسكها يجعله يضع معياراً لتحديد المفهوم حيث يقول: « إنّ الخطاب إذن مصطلح يعيّن الطّريقة الّتي تُشكّل بها الجمل نسقاً تتابعياً، وتشارك في كل متجانس ومتنوّع السّواء»¹.

والملاحظ على هذا التعريف أنّه مبني على إطار بنوي يتّخذ من الجمل والعلاقات الشّكلية فيما بينها فيصلاً لتعريف الخطاب، وما يُؤخذ عليه أنّه لم يستطع تجاوز الاتجاه البنوي، والخروج عن هيمنة الجملة في توضيح المفهوم، فالخطاب ليس مجرد علاقات شكليّة تحكم تتابع الجمل، بل هو أوسع من ذلك، لذا ينظر هاليداي Halliday إلى النصّ من خلال علاقاته الخارجيّة (النّص + ظروف الإنتاج) لتحديد ماهية الخطاب فكل نصّ يحمل بنيتين الأولى بنية ذاتيّة تتعلق به، وأخرى يشترك فيها مع غيره.

بناء على ما سبق يمكن القول إنّ الخطاب في تحديد مفهومه يقع بين الملفوظ والمكتوب كفاعل لغوي وعلاقة بالنّص شموليّة وانسجاماً، واشتغالا في التّواصل وتحقيقاً للنّصيّة غاية لذلك تولاه اللّسانيون بالدراسة بغية علمته².

2.2.2.1 مفهوم الخطاب في الدراسات العربيّة

الخطاب كما ذكرنا سابقاً من الألفاظ المتداولة في أصول الفقه ويراد به توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، كما تتردّد في كتب أصول الفقه مصطلحات دليل الخطاب، وفحوى الخطاب ومعنى الخطاب كما أنّ هذا الأخير ارتبط بالتّفسير الّتي وضعها المفسّرون للآيات القرآنيّة الّتي وردت فيها لفظة الخطاب، لهذا سعى المفكّرون العرب إلى تقريب المفهوم العربي للخطاب من المفهوم الغربي فهو عبارة عن مجموعة من النّصوص تحمل وجهان: ما يقدّمه المرسل وهو (الخطاب) وما يصل إلى المتلقّي وهو (التّأويل).

1 - مقدمة في نظريات الخطاب، ديان، ماكولين، مرجع سابق، ص61.

2- الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسري، نور الدّين السّد، ج، 02 دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997م، ص11.

ويأتي محمد مفتاح في كتابه تحليل الخطاب الشعري ليستعرض في تعريفه للخطاب، وتحليل الخطاب مقاربات بعدة لغات، كما يستعرض لنظرية كيرماص ومنهجه، فيصل من خلال تحليله إلى بعض الخصائص الخطابيّة عنده وهي: «السردية، الذاتية والانغلاقية والدورية، وانسجام الخطاب»¹؛ ويميل محمد مفتاح إلى رأي جوزيف كورليس Joseph Corlis من خلال كتابه (التحليل السيميائي للخطاب من القول إلى التلّفظ)، فيحدّد مفهومه للخطاب بأنه علاقة إلزامية تحدث بين القول والنصّ وبين الخطاب والتلفظ، لأنّ القول والنصّ يلزمان وجود عمليّة التلّفظ والخطاب، وعليه فإنّ الخطاب والتلفظ أعمّ من القول والنصّ.

كما حاول سعيد يقطين أن يعرف الخطاب مستثمرا في ذلك هو الآخر ما توصل إليه علماء لسانيات النصّ الغربيين من خلال دراستهم لقضايا الخطاب مُركّزا على مكونات الخطاب، التي تتشكّل من الجمل المتعاقبة، تتكوّن منها وحدة كبرى هي الخطاب، فكأنّه ترجم ما تشكّل لدى لسانبي لسانيات النصّ في قولهم: «الخطاب ملفوظ طويل أو هو متتاليّة من الجمل، تكون منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر»².

3.1. محدّدات النصّ ومحدّدات الخطاب

إنّ التمييز بين النصّ *Texte* والخطاب *Discours*، في ضوء المناهج الحديثة يطرح إشكالا كبيرا نظرا لتعدّد الآراء واختلافها، وكثرة التّصورات وتضاربها، ممّا يجعل البحث أمام صعوبة تأثيرها وفرزها وبالتالي تحليلها ومناقشتها، فالنصّ باعتباره النتيجة الوحيدة-ولو كانت مؤقتة-للكتابة، يمثّل الحقيقة الفريدة التي تتيح إقامة دراسة علمية ترتبط بتصوّر إنتاج هذا النصّ، فهل معنى هذا أنّ ثمة اختلاف بين المصطلحين؟ أم أنّ كلا المفهومين يجملان المعنى ذاته؟ ولهذا سنحاول إزالة اللبس الذي يلحق أحيانا هذين المفهومين من خلال ما أتى به الدارسون سواء المحدثين منهم أم القدماء.

1- تحليل الخطاب الشعري، مفتاح، محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 1992م، ص15.

2- تحليل الخطاب الروائي، يقطين، سعيد، ص17.

لم يعرف العرب في تاريخهم ممارسة نصّية تامّة إلاّ مع القرآن الكريم، وهي أولى مظاهر هذه الممارسة وتمثّل في الوقوف على النصّ في ذاتيته النصّية بتعبير بارت، فذاتية النصّ بجليها قراءة للمكتوب تجعل النصّ كلاما يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغويّ مختلف.

وقد أدرك الباقلاني هذا الأمر في القرآن الكريم بوصفه أنّه إذا تأملته تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم، أنّه خارج عن العادة وأنّه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميّز حاصل في مجمله؛ حيث يظهر الفرق بين النصّ والخطاب عند الباقلاني واضحا فقد لاحظ أنّ بين النصّ مكتوبا، والخطاب ملفوظا وحدة لغوية يقف الإنجاز فيصلا فيها وهو إدراك رائد للدراسات العربية تُذكرنا اليوم بنظرية فرناند دي سوسير **Vernard De Saussure** في اللغة والكلام، أو بنظرية تشو مسكي في الكفاية والأداء فالنصّ كلام أيضا يصدر عن ذاتيته التي عملت على إنجاز هو أدائه، والكلام الآخر غير نعي ولكنّه كلام أيضا إلاّ أنّه خطاب شفوي عمل الشّخص على إنجازهِ¹؛ يفترض أن يكون في هذا الخطاب متكلم ومستمع (مخاطب ومخاطب)، حيث يسعى الأول إلى التأثير في الثاني بطرق معيّنة وفق رسالة محدّدة.

وبول ريكور **Paul Ricoeur** هو الآخر يرى أنّ النصّ هو نفسه الخطاب فيقول: «النصّ يعني الخطاب مسطورا ومنقما على السواء. وفيه تتجلى للخطاب مراتب وسجلات تعبيرية تختلف في مقدار أناقتها»².

أمّا عبد السلام المسدي يرى أنّ: «جوهر الخطاب الأدبي في وجوده المبدئي متناف مع خصائص حوار التّخاطب بكلّ قوانينه الأدائية، وأبرزه أنّ الكلام في المحاورّة ينبثق ثمّ يتبدّى في عين اللّحظة التي يكون قد أدّى فيها وظيفته البلاغية، فهو يتولّد وينقضي بلا مراوحة، أمّا الكلام الأدبي فإنّه ينبثق ليلقى، ويتكشّف ليخترق حجاب الزّمن»³.

1 - تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النصّ، شرشار، عبد القادر، ص 15.

2 آليات اشتغال السرد في الخطاب الروائي الحدائث عند عبد الرّحمان منيف، بن الشّيخ، عبد الغني، دار خيال للنشر والترجمة 2019م، ص 21.

3 - تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النصّ، شرشار، عبد القادر، ص 25، 26.

الخطاب عند تودوروف **Todorov** جسم له ذاته، وحركته، زمنه، وهو مختلف عن كلّ ما عاداه يخضع للانتظام الداخلي، ولكنّه يتحرّك بحريّة مستقلّة، ومن ثمة فهو لون يختلف عن النصّ¹. كما نجد سعيد يقطين ينظر إلى النصّ على أنّه أعمّ من الخطاب على خلاف محمّد مفتاح الذي يرى أنّ الخطاب أشمل من النصّ².

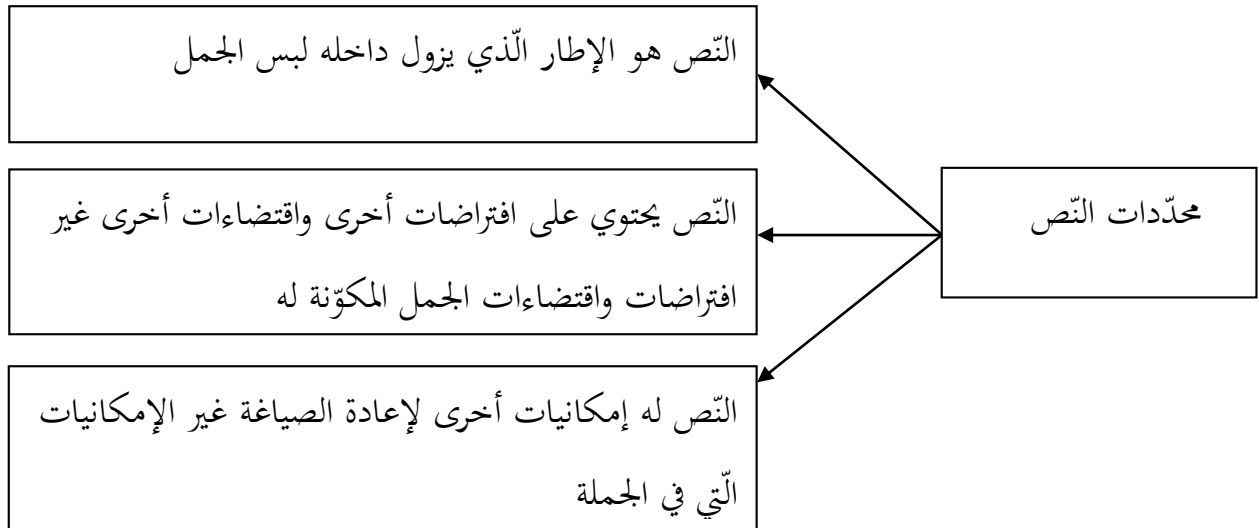
وحثّى نخلص إلى محدّدات النصّ بصفة جوهرية نقف عند ما أدرجه مفتاح بن عروس في رسالته وكانت ثلاثة محدّدات هي في الآتي:

- النصّ هو الإطار الذي يزول داخله لبس الجمل.
- النصّ يحتوي على افتراضات واقتضاءات أخرى غير افتراضات واقتضاءات الجمل المكوّنة له.

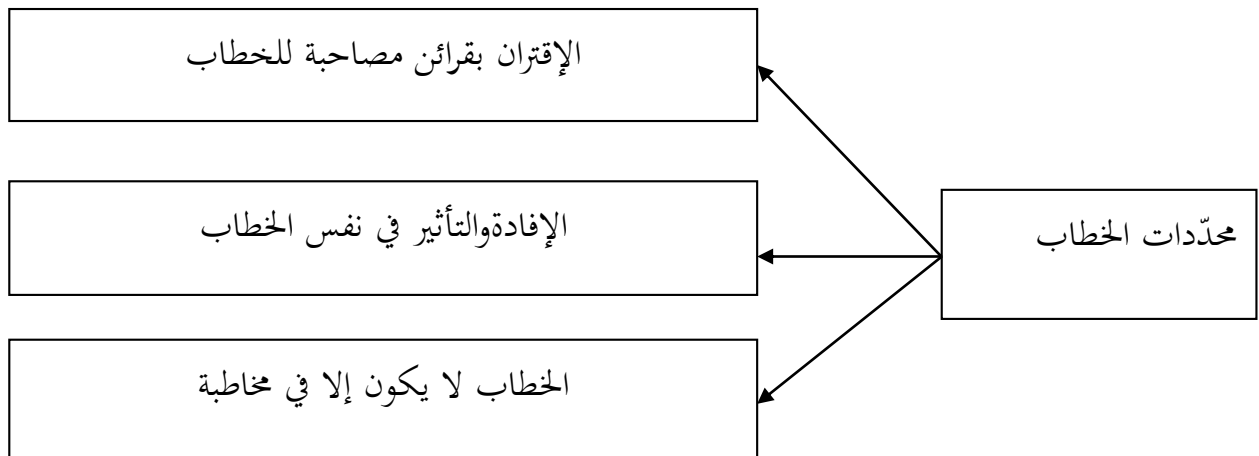
- للنصّ إمكانيّة أخرى لإعادة الصياغة غير الإمكانيّات التي للجملة. غير أنّ من المفارقات التي قد تفاجئ البعض هي أنّ أكبر هذين التخصّصين النصّ والخطاب لا يفرقان إلّا فيما ندر، كما أنّهما يلوحان في مختلف أبحاثهم على ضرورة أن تشمل الدّراسة الجانبين معا أيّ النصّ والسياق، ويقول تون فان ديك **Ton Vac Dyk** : «...وفي بعض الحالات يهتمّ المرء قبل أيّ شيء بأبنية النصّ المختلفة، وفي حالات أخرى يمتدّ الانتباه إلى وظائف النصوص وتأثيراتها، وفي حين تكون العلاقات بين وظائف النصوص وتأثيراتها من ناحية أخرى غالبا موضوع البحث، ولعلّ الفرق الوحيد بين العلمين كما يرى فان دايك، أنّ ما يطلق عليه العالم الأنجلوسكسوني تحليل الخطاب (**Discoures analysis**)، يقابله في بعض الدّول الأوربيّة وفي فرنسا خاصّة مصطلح علم النصّ (**Science du texte**)»³.

وكخلاصة لما سبق يمكن أن نختصر ما قيل في كلا المصطلحين من خلال المخططين الآتين:

1 - اللسانيات وتحليل النصوص، بوحوش، رابح، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007م، ص 103.
 2 - من النصّ إلى النصّ المترابط، مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي، يقطين، سعيد، المركز الثقافي العربي، 2014م ص 116.
 3- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، ص 73، 76.



المخطط رقم 06: محدّدات النّص



المخطط رقم 07: محدّدات الخطاب

4.1. مفهوم لسانيات النص

لسانيات النّص مصطلح لساني حديث، تكوّن بالتدرّج في النّصف الثّاني من السّتينات والنّصف الأوّل من سبعينات القرن العشرين، عُرف في الدّراسات اللّسانية الأوربيّة الحديثة وتباينت ترجماته وتسمياته إلى العربيّة فبعض اللّغويين سمّاه نحو النّص **Text Grammaire** وسمّاه البعض الآخر علم النّص وآخرون لسانيات النّص أو اللّسانيات النّصيّة **La Linguistique**

¹textuelle؛ ونحو النصّ لا يختلف عن مصطلح لسانيات النصّ، سوى أنّ نحو النصّ مصطلح استعمله النّحاة على غرار نحو الجملة، لأنّهم رأوا فيها وحدة التّحليل اللّساني.

لهذا فقد أحيط هذا المنتج اللّساني بكثير من التّرجمات والتّسميات كما كان محلّ تجاذب بين أطراف عدّة حول نشأته، وقد ارتأينا في هذا المبحث أن نستعمل مصطلح لسانيات النصّ.

1.4.1. لسانيات النصّ النّشأة والتّطور

من الصّعب وضع مرجعيّة تأسيسيّة لهذا العلم، أو تحديد نشأته المدرسيّة أو حتّى ذكر عالم بعينه يكون مؤسسًا له.

فهذا العلم لم يرتبط ببلد أو مدرسة أو اتجاه معيّن، بيّد أنّه يستقي إجراءاته من علوم عدّة مختلفة واستفاد من معطياتها، وقدّم تفسيراً أرحب للنّص من خلال تلك المناهج والنّظريّات وماتزال اتّجاهاته وتصوراته النّهائية لم تستقر بعد عند الباحثين.

ويمكن تقسيم نشأة لسانيات النصّ إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: الإرهاصات الأوّلية

أشارت بعض الدّراسات الأولى التي بحثت في النصّ بشكل عام إلى رسالة INYE² التي بحثت في علامات عدم الاكتمال، وهي حجّة نمطيّة في علم لغة النصّ بناء على أسس نصيّة وبوصفها إشارات وأشكال محدّدة للعلاقات، حيث كانت من بين بحوثها إشارات إلى الجمل والربط بينها وعلاقتها الدّاخلية، وهذا ما نادى به بعض اللّغويين العرب فاختصّوا بدراسة الانتقال من الجملة إلى الفقرة الأدبيّة ثم إلى النصّ بصفة عامة، وهذا ما دعا إليه أمين الخولي في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين فقال: «وأما التّحليل فبأشياء منها توسعة دائرة البحث وبسط أفقه فلا يقصر على الجملة كما كان في القديم من عمل المدرسة الكلاميّة، التي لم تأت المدرسة الأدبيّة بعده بشيء ذي غناء، فإنّنا اليوم نمدّ البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبيّة ثم إلى القطعة الكاملة

1- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، ص59.

2- باحثة أمريكية قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة 1912م، ينظر سعيد حسين بحيري، علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات ص290.

من الشّعْر أو النثر، تنظر نظرتنا إلى كلّ تماسك وهيكل متواصل الأجزاء، تُقدّر تناسقه وجمال أجزائه وحسن ائتلافه، ونتحدث فيما لا بُدَّ منه في هذه النظرات من شؤون فنيّة¹. وبالتالي فإنّه صار من الضّروري أن يتجاوز البحث البلاغي مستوى الجملة ليصل إلى مستوى النص.

وعن البدايات الأولى للدراسات النصّية يرى روبرت ألاندي بو جراند Robert Alain de Beaugrand أنّها ترجع إلى العلوم البلاغيّة التي سادت العصور الوسطى الكلاسيكيّة (اليونانيّة، والرّومانيّة)، فقد أنّجّمت عناية البلاغيّين في تلك المرحلة على تدريب الخطباء في أربعة مجالات هي: إنشاء الأفكار وتنظيمها، وإيجاد التّغيرات المناسبة وحفظها وذلك قبل عمليّة الإلقاء²؛ وبواكير ظهور لسانيات النصّ كذلك قد أشارت إلى ما علّق به فايل كريستال Phil Crystal سنة 1887م حول تتابع اللفظ على تتابع الأفكار، وفصل هذا التتابع عن النّحو وقدم في عمله هذه المعايير الوظيفيّة للجملة، ومفهوما خاصا لأسلوب الأفكار أيضا، وما تزال قواعد بناء النصّ البلاغيّة ضروريّة، ولا يمكن الاستغناء عنها في دراسة النصّ وبخاصة دراسة النصّ الشعري بمفهومه الواسع³، ولكنّ الممارسة الفعلية لهذا الاتجاه بدأت بمجموعة من الأبحاث في هذا الاتجاه اللّساني التي تعود إلى زيلبخ هاريس Zilech Harris (عام 1952م) بمقال له (تحليل الخطاب) حيث يُعدّ أوّل من حاول تجاوز التّحليل النصّي، فنقل الوسائل المنهجية التي كان يُطبّقها على الجملة (التّقطيع والتّصنيف والتّوزيع) إلى مستوى أعلى هو مستوى (النص)، كما أنّ هاريس كان مهتمّا بتوزيع العناصر اللّغوية في النّصوص المطوّلة، والرّوابط بين النصّ وسياقه الاجتماعي⁴؛ ولم تكن هذه المحاولة من زيلبخ هاريس تأسيسا لعلم جديد بقدر ما كانت تعديلا لنظريته، وخطوة لنقل المناهج البنيويّة التّوزيعيّة في التّحليل إلى مستوى النصّ.

1- فن القول، الخولي، أمين، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1996م، ص 239، 240.

2- التماسك النصّي في القصص القرآني، هبيرة، عز الدين، ص 67.

3- علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، بحيري، سعيد حسن، ص 17، 18.

4- إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، جمعان، بن عبد الكريم، ص 19.

وبهذا يمكننا أن نقول أنّ كلّ ما قام به هاريس يمثّل البدايات الأولى لهذا العلم - لسانيات النصّ - على الرّغم من المحاولات التي أشرنا إليها سابقا.

وبعد هذه الفترة انتبه بعض اللّسانيين إلى ما طرحه هاريس، خاصة فيما تعلّق بالجملة والعلاقات التّوزيعيّة التي تربطها، مشكلة الرّبط بين اللّغة والموقف الاجتماعي، والتي تنادي في معظمها بضرورة تجاوز محور الجملة في الدّراسات اللّسانية إلى النصّ.

وقد عُرف هذا الاتجاه بلسانيات النصّ وهو الاتجاه الذي يتّخذ النصّ كلّ وحدة للتّحليل فحدثت أكبر نقلة في اللّسانيات كشفت عن ضيق شديد في الدّراسات التي اعتمدت على الجملة واعتبرتها الوحدة اللّغوية الكبرى، خاصّة في الدّراسات الأدبيّة، وهذا ليس نبذاً للتّمودج القديم وإحلال آخر جديد¹، بل الانتقال من الدّرس القديم للوصول إلى موضوع الدّرس اللّساني الحديث (لسانيات النصّ).

وبذلك عرفت اللّسانيات الحديثة توجّها آخر، انتقل فيه مركز الاهتمام من الجملة إلى النصّ - كما سبق الذكر - ليُعرف بتسميّات مختلفة كاللسانيات النصّية ولسانيات الخطاب، ونحو النصّ وعلم النصّ وعلم لغة النصّ... إلخ، وهي تسميات مختلفة لمسمّى واحد - لسانيات النصّ - بحيث يكون هذا الأخير مجالا للفهم والتّأويل والتّحليل والإنتاج، وبالتالي فهو الوحدة الأساسيّة للدّراسة اللّسانية أو النّحوية منه تبدأ وإليه تنتهي، هدفها الأسمى الكشف عن المبادئ التي ترتكز عليها البنية العامّة للنّص من حيث ترابط أجزائها وتعالقها.

وقد أخذت ملامح هذا العلم تتبلور منذ الستّينيات تقريبا وازدادت وضوحا وممارسة في سبعينيات القرن العشرين، وأخذت مسارا من التّطور والضّبط المنهجي بعدما كانت أقصى غاية الدّراسات اللّغوية البنيويّة دراسة الجملة، فقد اعتبرت أكبر وحدة مستقلة حتّى وجد من الباحثين

1- مدخل إلى علم اللّغة النصّي، فولفجانج هاينه، منه ديتير فيهفجر، تر: فالخ بن شيب العجمي، جامعة الملك سعود الرياض 1999م، ص 15.

من رفضوا هذا القيد الذي اقتصر على دراسة الجملة، وسعوا إلى البحث عن وحدة أكبر منها تدرس تتابع من الجمل عُرفت فيما بعد ب(النّص) - كما ذكرنا سالفاً - ثمّ إلى لسانيات النّص. ولكن حتّى وإن كانت بوادر هذا العلم ظهرت مع بداية الستينيات واستمرت حتّى آخرها لا نجد سوى إشارات تلمح إلى أنّه ينبغي للنّص أو الخطاب أن يكون أساساً للدراسة اللّسانية حيث تلاقت آراء مجموعة من اللّسانيين: أنجاردن **Ingarden** (1939م) ، وهيلمسليف **Hjlemslev** (1943م) وهاريس **Harris** (1952م) وهارتمان **Hartman** (1964م)، روبرت دي بو جراندد **Robert de Beaugrand** ، النّص والخطاب والإجراء (1965م) حول فكرة لسانيات ما بعد الجملة.

وتُشكّل البداية الحقيقيّة لدراسة النّصية كمنهج وعلم مستقل على يد تون فان دايك الذي يُعدّ المؤسّس الحقيقي لعلم النّص، وقد ضمّن فان دايك أفكاره وتصوّراته لأسس ومبادئ هذا العلم كتاباً يحمل عنوان (بعض مظاهر نحو النّص) **Quelques aspects de la grammaire du texte**¹ وللعلم فإنّ فان دايك لم يفرّق في هذا الكتاب بين النّص والخطاب ولكنّه تدارك ذلك سنة 1977م في كتاب آخر بعنوان (النّص والسياق) **Le Texte et le contexte** الذي اقترح فيه تأسيس علم النّص مع الأخذ بعين الاعتبار كلّ الأبعاد التي لها صلة بالخطاب، لما في ذلك الأبعاد البنيويّة والسياقيّة والثّقافيّة، وهو الأمر الذي جسّده فيما بعد كتاب هام بعنوان (علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات) (1980م)².

ولم يستقر مصطلح النّص أو الخطاب كوحدة أساسيّة بديلة للجملة ضمن إطار أصبح شائعاً ب (لسانيات النّص) إلّا في الثّمانينيات من القرن العشرين، حيث عرفت الدّراسة النّصية أوجهها مع اللّغوي الأمريكي روبرت ألاندي بوجراندد **Robert Alain de Beaugrand** الذي ألف كتاباً سمّاه (مدخل إلى لسانيات النّص) (1981م) **Introduction de linguistique** هذا

1- مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، ص62.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأخير أشاد فيه بجهود فان دايك، كما ألّف كتاب كان الأشهر أهميّة حمل عنوان (النّص و الخطاب والإجراء) **Texte Discourse and Process** الذي ترجمه تمام حسان إلى العربية¹. إنّ الإشارة السّابقة لما أسميناه بالمرحلة الأولى يجد الباحث المدقّق في هذه الآراء بعض الثّغرات حول عرض المفاهيم الخاصة لبدايات البحث في النّص، ليجد أنّه لا يمكن عدّ هذه المرحلة مرحلة تأسيس للسانيات النّص، ولكن هي لا تتعدّى كونها دعوات للتوسيع من دائرة البحث في الجملة التي سيطرت طوال عقود عديدة إلى ما هو أوسع وأشمل منها.

المرحلة الثانية: تطوّر المفاهيم

تُعتبر هذه المرحلة مرحلة انصبّت فيها العديد من المفاهيم والتقت فيها الآراء والرؤى حول فكرة (لسانيات ما بعد الجملة) لجمع من اللّغويين أمثال: هايدولف **Heidolph**، كريمز **Crimz**، فان دايك **Vac Dyk**، رقية حسن **Ruqayya Hassan**... وغيرهم وهؤلاء ركّزت أبحاثهم على أنّ النّص مجموعة من الجمل المتواليّة، لذا استعاروا قواعد الجملة في تطبيقاتهم على النّص، لكنهم أدركوا فيما بعد أنّ هذا الاتجاه لا يمكن من رؤية المميّزات المهمّة في النّص². ويمكن أن نمثل هذه المرحلة بما أتى به بعض اللّغويين:

- إيزنبرغ **Eisenberg**: عُنيت معظم دراساته بالعوامل المتحكّمة في اختيار صاحب النّص كالمجاورة التي تضمّ مجموعة من الأدوات التي تنظّم علاقات الجمل بعضها ببعض، كالضّمائر وحروف التعريف والاقتران بعلائق نسبيّة أو فائيّة أو أي علاقة أخرى³.

1- نقل تمام حسان هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ونظرا لأهميته فإننا اعتمدناه كأحد المراجع الأساسية.

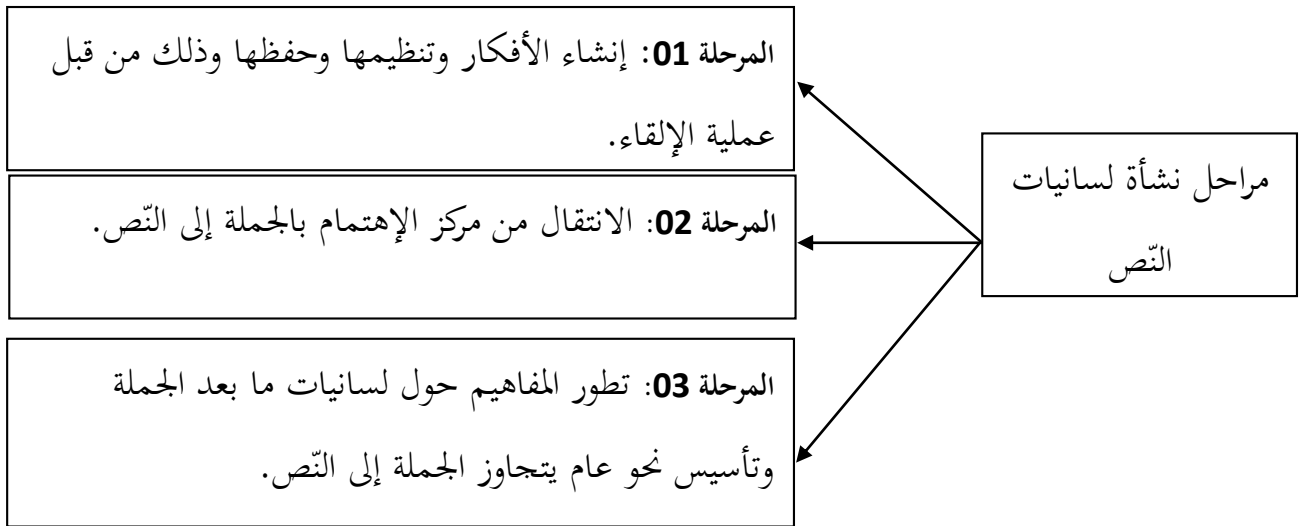
2 - النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ص65،64.

3- في اللسانيات ونحو النص، خليل، محمود إبراهيم، كلية الآداب، الجامعة الأردنيّة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ط01، 1427هـ، 2007م، ص187.

- هارفيج رولاند Harvig Rowland: هو الآخر قدّم نموذجاً لتشكّل النصّ بما يسمى الاستبدال، حيث تتحرك فيه عناصر الاستبدال على المستوى الأفقي، وغلب عليه إدراك النصّ إدراكاً وظيفياً.

ثم أدخل فيما بعد جوانب نصّية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية التداولية¹.

- فان دايك Vac Dyk: عدّد المؤسس الحقيقي مقدّماً نماذج نصّية عدّة والتي حاول من خلالها الوصول إلى تأسيس نحو عام يتجاوز الجملة إلى النصّ مع الأخذ بعين الاعتبار كلّ الأبعاد التي تجعل منه منهجاً قائماً بحدّ ذاته بما في ذلك الأبعاد النفسية والاتصالية والبنوية والسياقية والثقافية. وككلّ فرع معرفي جديد، يجب أن تتضافر الجهود حتّى يصل هذا الفرع إلى الاكتمال والتضج ويستقيم منهجه حتّى يصبح علماً قائماً بذاته.



المخطط رقم 08: مراحل نشأة لسانيات النصّ

2.4.1. مفهوم لسانيات النصّ

لسانيات النصّ مصطلح تباينت تعريفاته بتباين ترجماته إلى اللّغة العربيّة والنّصّيون أنفسهم لم يقفوا عند تعريف موحدّ له، وسنحاول التّطرق إلى بعض التّعريفات.

1- علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات، بحيري، سعيد حسن، مرجع سابق، ص94.

1.2.4.1. عند العرب القدامى:

من المعلوم أنّ لسانيات النّص نشأت في كنف المناهج البنيوية والوصفيّة الغربيّة، لكن هذا لا يمنع من الإقرار بالإسهامات القيّمة التي نجدها عند القدماء من علماء العرب حتّى وإن كانت ملامح وشظايا متناثرة في مؤلّفاتهم؛ أبرزها نظريّة النّظم عند عبد القاهر الجرجاني، والدّراسات التّطبيقية الواسعة لإعادة الصّيغة عند ابن الأثير، والإلحاح على أهميّة الموقف الكلامي عند الجاحظ وغيرهم كثير.

تطرّق الجاحظ (ت255هـ) إلى بعض مصطلحات لسانيات النّص كالاتّساق والانسجام حين وصف أجود الشعر بقوله: «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم أنّه قد أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللّسان كما يجري الدّهان»¹.

وفي هذا تشابحت أفكار ابن طباطبا (322هـ) مع أفكار الجاحظ وكانت نفس نظريته حول قضية تماسك الخطاب الشعري، وهذا في كتابه عيار الشعر فتجد من أقواله ما يمكن أن يستثمر في الدّراسات النّصية ومن الأمثلة على ذلك قوله في الحسن من الشعر: «وأحسن الشعر ما ينتظم فيه انتظاماً يتّسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله (...)» يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجاً وحسنًا وفصاحة، وجزالة ألفاظ (...) حتى تخرج القصيدة كأنّها مفرغة إفراغاً (...) تقتضي كلّ كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقاً بما مفتقراً إليها»².

وما يمكن قوله أنّ ابن طباطبا يشير في هذه الفقرة إلى مصطلحي النّظم والاتّساق اللّذين يُعدّان من أهمّ مصطلحات لسانيات النّص، وفي هذا تجده يشبّه الشّاعر كذلك بالنّساج الحاذق، والنّقاش الرّفيق وناظم الجوهر، وعليه أن يسلك منهاج أصحاب الرّسائل في بلاغتهم وتصرفهم في كتاباتهم فإنّ للشّعر فصولاً كفصول الرّسائل، فيحتاج الشّاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في

1 - البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان، ص91.

2 - مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، ص145.

فنونه صلة لطيفة فيتحلّص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى... بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عمّا قبله بل يكون متّصلاً به ومتمترجاً معه.¹ ولا يخفى على أحد منّا، أنّ مصطلح النّظم الذي أشار إليه ابن طباطبا في فقرته أنّه نظريّة قائمة بحدّ ذاتها عند عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، حيث أنّ الجرجاني أصرّ على ضرورة عدم الحُكم على الشعر بالحسن والجودة، وعلى صاحبه بالحدق والصنعة، إلّا بعد تتبّع القصيدة والتأكد من تلاحق أجزائها وانضمام بعضها إلى بعض «واعلم أنّ من الكلام ما أنت ترى المزيّة في نظمه والحسن كالأجزاء من الصّبغ تتلاحق وينضمّ بعضها إلى بعض حتّى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه ولا تقضي له بالحدق حتّى تستوفي القطعة وتأتي على عدّة أبيات»². ومن خلال هذه الميزات المذكورة يتحقّق النصّ كنسيج لغوي محكم السبك والحبك وهذه نظرة توازي مع ما يوجد في الدراسات اللسانية العربيّة خاصة لسانيات النصّ.

وهاهو أحد البلاغيين المتأخّرين الذي وُصف بأنّه حالة فريدة لم تتكرّر حسب صلاح فضل «...اللهم باستثناء حالة فريدة لم تتكرّر ينبغي الإشارة إليها والتّنبؤ به، وهي التي نجدها عند بلاغي مغربي متأخر هو (حازم القرطاجني)»³.

فالقرطاجني له نفس الرّؤية التي أتى بها الجرجاني حول فكرة التّأليف والتّلاؤم والانسجام فهو يرى: «أنّ الكلمات خيوطاً متداخلة ينشأ من قوّة تشادّها ثوب مكتمل النّسج»⁴، وذكره لمفهوم التّسيج ما يقابله أحد المفاهيم التّأصيليّة للسانيات التّصّ وعلم التّصّ، أفلا يكون هذا

1- عيار الشعر، شرح العلوي، محمد أحمد ابن طباطبا، تحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت ط01، 1402هـ، 1982م، ص12.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص100.

3 - مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، مرجع سابق، ص139.

4 - الصناعتين (الكتابة والشعر)، العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله، تحقيق علي محمد البحاي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1371هـ-1952م، ص161.

معناه النّص (Texte) لدى الغربيين من بين ما يعنيه «النّسج»؟ ثم هاهو أحد الباحثين العرب المحدثين يوسم بحثه بنسيج النّص¹.

وما يمكن قوله من خلال هذا العرض أنّه يتبيّن بأنّ نظرية النّظم عند الجرجاني والنّسيج الذي أتى به القرطاجي؛ كلاهما دعت إليه لسانيات النّص لأثهما غاية واحدة تهدف إلى دراسة النّص والبحث عن كيفة التماسك والتناسق فيه.

ولا ننفي كذلك المحاولات التي أتى بها علماء القرآن والتفسير أمثال الإمام الزركشي والإمام السيوطي والإمام الفخر الرازي، والزّمخشري وغيرهم ممّن حاولوا إظهار كيفة تماسك النّص القرآني وبيان وسائله التي تجعل آياته وسوره كلّا واحدا متماسك الأجزاء والوحدات رغم اختلاف أسباب النزول فكانت الممارسة النّصيّة في هذا الميدان الممارسة الهامة التي عرفها العرب فقد درسوا في التفسير «عطف جملة على جملة، الإحالة، التكرار، موضوع الخطاب وترتيبه، وعلاقات العام والخاص كموضوعات، كما تناول مجال علوم القرآن- كما ذكرنا- المناسبة بين الآيات والسور»².

مما سبق ذكره، يمكننا القول أنّ التراث اللغوي العربي، وما قدّمه النقاد والبلاغيون والمفسرون وغيرهم من علماء العرب القدماء، لا يختلف عمّا توصّل إليه اللسانيون المحدثون، فقد كان لدى علماء العرب حسّ لغوي صحيح ونظرات صائبة ورؤية مبكرة حول مختلف القضايا والظواهر اللغوية فلم يقف البحث عندهم حدّ الجملة، بل تعدّى إلى الرّبط بين أكثر من جملة، وكانت عبارة عن إشارات نصيّة قيّمة قد يمكن اعتبارها لبنات في بناء تحليل النّص، غير أنّها مجرد فئات لم تصل إلى نظرية كاملة لمعالجة النّص بصفته وحدة كليّة، أو حتّى لتصل إلى منهج لساني يدعى لسانيات النّص، ولو قدر لها التعميق والتطوير لأغنت عن الإشكال كليّة، مثلما هو حاصل حاليا على الدّراسات اللغوية لأمم أخرى، وكانت العلوم اللغويّة العربيّة الحديثة قد اجتنبت الضّعف والتّخلف التي هي عليه الآن.

1- نسيج النّص «بحث فيما يكون به المفوظ نصّا»، الزناد، الأزهر، مرجع سابق، ص 44.

2- لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، مرجع سابق، ص 95، 96، 194، وينظر: تحليل الخطاب الأدبي، وقضايا النّص، عبد القادر شرشار، د ط، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، ص 17.

1.2.2.4.1. مفهوم لسانيات النّص عند العرب المحدثين

يرى الأزهر الزّناد أنّ لسانيات النّص هي من أقدم العلوم موضوعًا وأحدثها نشأة، وذلك لأنّ: «النّصوص تعمل منذ نشأة الاجتماع البشري، إذ لا يوجد كلام خارج ملفوظ منجز هو نص وتطوّرت علوم تدريسه (علوم الأدب، والنّقد، والبلاغة، والتّفسير، و... الخ)، وكانت وسيلة غيرها من العلوم متشابكة معها، ثمّ استقلّ كلّ واحد منها بنفسه فاقصر على موضوعه... والتحق جزء مما كان يجب أن يكون موضوع علم يدرس النّص من حيث هو نص ب (اللسانيات)»¹.

ويعرّفها-لسانيات النّص- صبحي الفقي بقوله: «علم اللّغة النّصي-فيما نرى-هو ذلك الفرع من فروع علم اللّغة، الذي يهتم بدراسة النّص باعتباره الوحدة اللّغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمّها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعيّة **référence** وأنواعها والسّياق النّصي **Textual context**، ودور المشاركين في النّص (المرسل أو المستقبل) وهذه الدّراسة تتضمّن المنطوق والمكتوب على حدّ سواء»²؛ ليكون بهذا قد صرّح بأنّ هذا المنهج هو العلم الذي يبحث في سمات النّصوص وأنواعها وصور الترابط فيها والانسجام داخلها وتحليلها في أدقّ صورة تمكّنا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص بها ممّا يسهم في أن تنجح العمليّة التّواصلية التي تحتضنها بالاشتراك مع متبّع النّص ومتلقّي هذا النّص.

وأما سعيد بحيري فقد عرّفها بأنّها: «ذلك الفرع من قواعد النّص التي لم تقم بعد، وهو الذي يصف وسائل التّعبير المسؤولة عن عمليّة تشكيل النّص، وخلافا لدلالة النّص وبراجماتية النّص يقتصر مجال نحو النّص على الوسائل اللّغوية المتحقّقة نصيًّا والعلاقات بينه»³.

1- نسيج النّص، «بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا»، الزّناد الأزهر، المركز التّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط1، 1993م، ص18.

2- علم اللّغة النّصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ص36.

3- مدخل إلى علم النّص، مشكلات بناء النّص، زتسيسلاف وأوزنيك، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط1، 01، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1424هـ، 2003م، ص60.

بمعنى أنّ كلّاً من سعيد بحيري وصبحي الفقي قد عرّفا لسانيات النصّ كلّ حسب مفهومه فصبحي الفقي جعل من علم لسانيات النصّ أحد الفروع العلميّة والحقول المعرفيّة الذي وفد على ساحة الدّراسات اللّسانية ليكمل ما عجزت عنه المناهج اللّسانية التي سبقته، وسعيد بحيري جعل هناك غموضاً في تعريفه لهذا الفرع الذي لم يكن وقته ليصبح نظريّة قائمة بحدّ ذاتها.

ويعرّفه نعمان بوقرة بقوله: « هو تيار جديد جعل من النصّ مادّته الأساسيّة ... حيث حصل نوع من الإجماع على ضرورة التّغيير وفق منهجيّة لا تغفل الجملة ولكنها في مقابل ذلك تعدّها أكبر وحدة قابلة للتّحليل اللّساني، بل تنظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكوّنة للنصّ إضافة إلى علاقتها كذلك بالسياق الذي أنتجت فيه وبمتنجها ومستقبلها»¹.

نستشف من تعريف بوقرة أنّ لسانيات النصّ تهتمّ هي الأخرى بالقضايا اللّسانية، كما أنّها لم تحمل الجملة في طياتها بل عاجلت التّقائص التي كانت تعترى هذه الأخيرة وحاولت بناءها من أجل وضعها جنباً إلى جنب مع غيرها من الجمل ضمن وحدة كبرى هي الكيان النصّي، وربط كلّ هذا بالسياقات التي تُساهم في إنتاج النصّ مع التأكيد على دور المرسل والمستقبل في هذه النصوص سواء منطوقة أم مكتوبة.

ولهذا فهناك العديد من الظواهر تعالج في إطار الوحدة الكبرى للتّحليل، وقد استطاع علم لسانيات النصّ أن يجمع بين عناصر لغويّة لتفسير الخطاب أو النصّ تفسيراً إبداعياً². وفي نفس السياق عرّفه مصطفى النحاس بقوله: « التّحو الذي يتّخذ من النصّ وحدته اللّغوية الكبرى للتّحليل بعكس نحو الجملة، الذي يعدّ الجملة وحدته الكبرى في التّحليل، أو هو دراسة الوظيفة الدّلاليّة لبعض العناصر النحويّة وربطها بشبكة الدّلالة في النصّ»³.

1 - المدارس اللّسانية المعاصرة، بوقرة، نعمان، مكتبة الآداب للنشر، القاهرة، ط1، 2004م، ص 55.

2 - علم لغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، بحيري، سعيد حسن، ص 99.

3 - نحو النصّ في ضوء التّحليل اللّساني للخطاب، النحاس، مصطفى، ذات السلاسل، الكويت، د/ط 2001م، ص 4
نقلاً عن الترابط النصّي في ضوء التّحليل اللّساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط 01
1430هـ 2009م، ص 31.

هدف لسانيات النصّ حسب النّحاس هي تجاوز النّظرة التّقليديّة التي اقتصرّت على الجملة ردحًا من الزّمن، وجعلت من النصّ محطّة للدراسة، واهتمت بكلّ ما يتعلّق به ومجّثت في كلّ وظائفه خاصّة الدّلايّة منها والتي تتحقّق عن طريق العناصر النّحوية كالأحالة بنوعيتها والعطف والتّكرار وربط هذه العناصر الجزئيّة بالشّبكة الدّلالية العامّة للنّصّ.

وقد تباينت ترجمات مصطلح لسانيات النصّ حيث لم يلق المصطلح التّوحيد سواء عند من نظّر له من الباحثين أم عند من ترجمه، إذ استعمل سعيد بحيري وإلهام غزّالة وصبحي إبراهيم الفقي مصطلح علم لغة النصّ، أمّا خليل بن ياسر البطّاشي وإبراهيم محمود خليل وأحمد عفيفي فقد استعملوا مصطلح نحو النصّ، في حين اعتمد كل من محمّد خطّابي ونعمان بوقرة مصطلح لسانيات النصّ¹.

واختلاف ترجمة المصطلح قد يعود إلى المترجمين في حدّ ذاتهم، إذ يقابلون المصطلح الواحد بعدّة مصطلحات وقد عرض نعمان بوقرة لهذه القضية نقلاً عن برنّد شبلنر **Bernard Spellner** فيقول: «... وليس أدلّ على هذا التّدخل من تعدّد المصطلحات الدّالة على العلم نفسه، إذ يستخدم هارفيج **Harvig** مصطلح **Textologie** بينما يستخدم درسيلر مصطلح علم دلالة النصّ، وأمّا سوينسكي **Swinsky** فيشيد بمصطلح نحو النصّ، وتداوليّة النصّ وعلم اللّغة النّصي ونظريّة النصّ»².

وسنفضّل في تعريفاتهم لهذا المنهج في الدّراسات اللّسانية العربيّة. وأمّا سعد مصلوح فقد تحدّث عن أوّل إشارة إلى علم لسانيات النصّ وعن نشأته في الدّراسات اللّسانية العربيّة ببحث عنونه ب: من نحو الجملة إلى نحو النصّ، الصادر سنة (1989م) في

1- التماسك النصي في قصتي يوسف وموسى-عليهما السلام-من القرآن الكريم-، زواوي، ليندة، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية -كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، 2017م، 2018م ص14.

2 - المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، بوقرة، نعمان، مرجع سابق، ص23.

الكويت¹؛ ثم ظهرت بحوث مهمّة في لسانيات النصّ العربيّة لعلّ أهمّها بحث محمد الخطابي (مدخل إلى انسجام الخطاب) وبحث الأزهر الرّناد (نسيج النصّ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّاً)، وبعض البحوث المتفرّقة في الجامعات العربيّة فضلاً على هذا فإنّ الجهود التي قام بها اللّغويون والأصوليون العرب القدماء قد تكون أساساً لإقامة هذه النظريات النّصيّة الجديدة؛ وهذه بعض ملامح لسانيات النصّ ومفهومها عند القدماء .

1.4.2.3. مفهوم لسانيات النصّ عند الغرب المحدثين

وُضعت عدّة تعريفات للسانيات النصّ وتباينت من باحث لآخر فيعرفها سوينسكي Swinsky نحو النصّ يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلاليّة ومنطقيّة إلى جوار التّركيبية، ويحاول أن يقدّم صياغات كليّة دقيقة للأبنية النّصيّة وقواعد ترابطها، وبعبارة موجزة قد حدّدت للنصّ مهام بعينها لا يمكن أن يُجزّأ بدقة إذا التزم حدّ الجملة²، وهو هنا قد ميّز بين كلّ من نحو الجملة ونحو النصّ جاعلاً كلّاً منهما له خاصيته في عمليتي الوصف والتّحليل اللّتين تشتملان كلّ أبنية النّصيّة التي تعتمد على القواعد الدلالية والمنطقيّة والتّركيبية.

وبعد ذلك وضح القواعد التّركيبية التي ذكرها سابقاً قائلاً: « لقد عُني علم اللّغة النّصي في دراسته نحو النصّ بظواهر تركيبية نصّية مختلفة من علاقات التماسك النّحوي النّصي... وحالات الحذف والجمل المفسرة، والتّحويل إلى الضّمير، والتنويعات التّركيبية، وتوزيعها في نصوص فردية وغيرها من الظواهر التّركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلاّ من خلال وحدة النصّ الكلية»³.

1 - من نحو الجملة إلى نحو النصّ، ضمن كتاب: الأستاذ عبد السلام هارون في ذكراه الثانية، انظر مصلوح، سعيد، تحرير وديعة طه النجم وعبد بدوي: جامعة الكويت - كلية الآداب، 1410هـ، 1990م، ص 406، 432.

2 - اللّغة والإبداع الأدبي، العبد محمد، دار الفكر للدراسات والنّشر والتّوزيع، 1989م، ص 33.

3 - اللّغة والإبداع الأدبي، العبد محمد، ص 33.

ولسانيات النصّ تجري على تحديد الكيفيات التي ينسجم بها النصّ/الخطاب سواء كانت مكتوباً أو ملفوظاً **Enoncé** أو تلفظ **Enonciation** بحيث يعمل على تحليل وكشف الأبنية اللغويّة ومدى تماسكها وتجاورها من حيث كونها وحدات لسانيّة، تتحكّم فيها قواعد إنتاج متتاليات يشترك الخطاب **Analyse de discours** ولسانيات النصّ - كقطاعين لسانيين - في الكشف عنها¹.

وحثّ جاك ريتشارد **Jack Richards** عرّفها على أساس أنّ الترابط والتماسك بين أجزاء النصّ هو موضوعها فقال: «هو فرع من فروع علم اللّغة يدرس النّصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدّراسة تؤكّد الطّريقة التي تنتظم بها أجزاء النصّ، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكلّ المفيد»².

ويعرّفها دومنيك مانغو **Dominique Mangou** على أنّها: «الخصائص التي تجعل النصّ عبارة عن تسلسل للجمل وتحصرها بالانسجام والاتّساق»³؛ والنّصية من منظور تداولي لا تنتج عن استعمال لوغاريتم قاعدي، ولكنها نشاط سيروري يخضع إلى قيود ذات نظام إدراكي وتواصلية في جوهرها، وعليه فإنّ السيرورات المنتجة للنّصوص تظلّ نصّية افتراضيّة بشكل واسع⁴. وإنّ قابلنا هذا التعريف من منظور تواصلية نجد جاكسون **Jacobson** يحدّد ماهية لسانيات النصّ عن طريق تحديد هويّة النصّ/الخطاب من خلال أصواته ومعجمه وتراكيبه والمقام، والرّسالة وخصائصها ومرجعياتها التّواصلية التي وقعت فيه كأنّه يحدّد الكلّ بالكلّ.

1- لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص5.

2- علم اللغة النصي، الفقي، صبحي إبراهيم، ج1، ص35، وانظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، ص141.

3- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو، ترجمة، محمد يجياتن، ط01، الدار العربيّة للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر، لبنان، 1428هـ، 2008م، ص124.

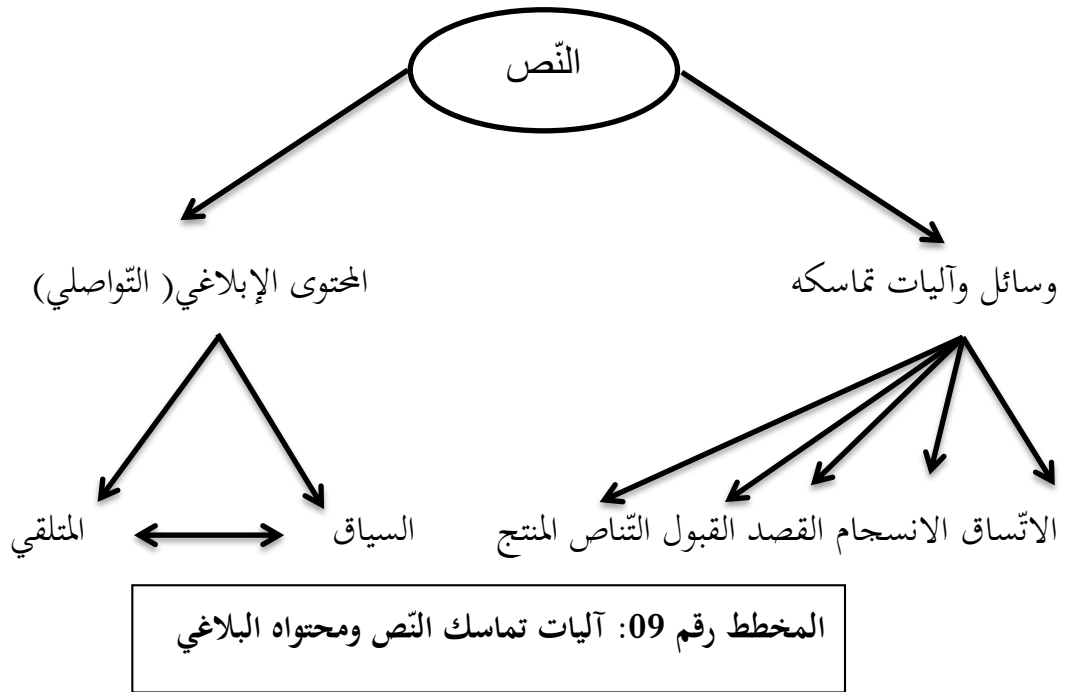
4- القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2 2007م ص54.

حتى وإن اختلفت ترجمات المصطلح لكن الرّوى ذاتها، فدي بوجراند كذلك جعل للسانيات النّص مؤشّر الشّمولية فهي لا تتحقّق إلا إذا تم فهم واستحسان (Acceptabilité) الإخبار (Information) ودخل المخاطب عالم الخطاب ومقامه قصدا Intentionnellement من المخاطب، وكلّها من طبيعة التّخاطب ثم ربط كلّ ذلك بالانسجام والتّرابط الفكري والتّناس وكّلها من طبيعة النّص¹؛ وهو نفسه المحتوى التّواصلّي (الإبلاغي) الذي ذكره يول وبراون Yule and Brown والمحتوى الإبلاغي يُقصد به التّواصلّي وهو لفظ مُترجم وقد جرى الاختيار على التّواصل (الإخبار) دفعا لكلّ التباس على امتداد البحث، اللفظ الثاني داخل في بنية الأوّل وأمّا التّواصل فإنّه أعمّ من الإخبار والتّبليغ معًا وهو أقرب التّرجمات للفظ الغربي Communication في تعريفهما للسانيات النّص ولعلّ تعريف كل من براون ويول يكون أشمل تعريف وأقصره وأدلّه في قولهما فيم سبق: « هو فرع من فروع اللّسانيات يُعنى بدراسة مميّزات النّص من حيث حدّه وتماسكه ومحتواه الإبلاغي»²، ومعنى ذلك أنّ لسانيات النّص تهتم بدراسة النّص وذلك من خلال التّركيز على عناصر ثلاثة هي:

- أولاً النّص: وهو هنا مفهومه ومنتهاه.
 - ثانياً تماسك النّص: والمقصود منه كلّ العناصر التي يتشكّل منها النّص حتى نميّزه عن اللّانص ونحكم على تماسكه وهي ما يسمّى بمعايير النّصيّة.
 - ثالثاً المحتوى الإبلاغي للنّص: والمقصود به الجانب التّواصلّي الذي يرتكز على كلّ من طبيعة النّص ومستعمليه (المنتج/المتلقّي) والسياق المحيط به (المقام).
- وهذه الخُطاطة تبين ذلك:

1- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص 103، 104، 105.

2- تحليل الخطاب، ترجمة براون ويول، الزليطي منير، والتريكي، منشورات جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السعوديّة 1994م، ص 30.

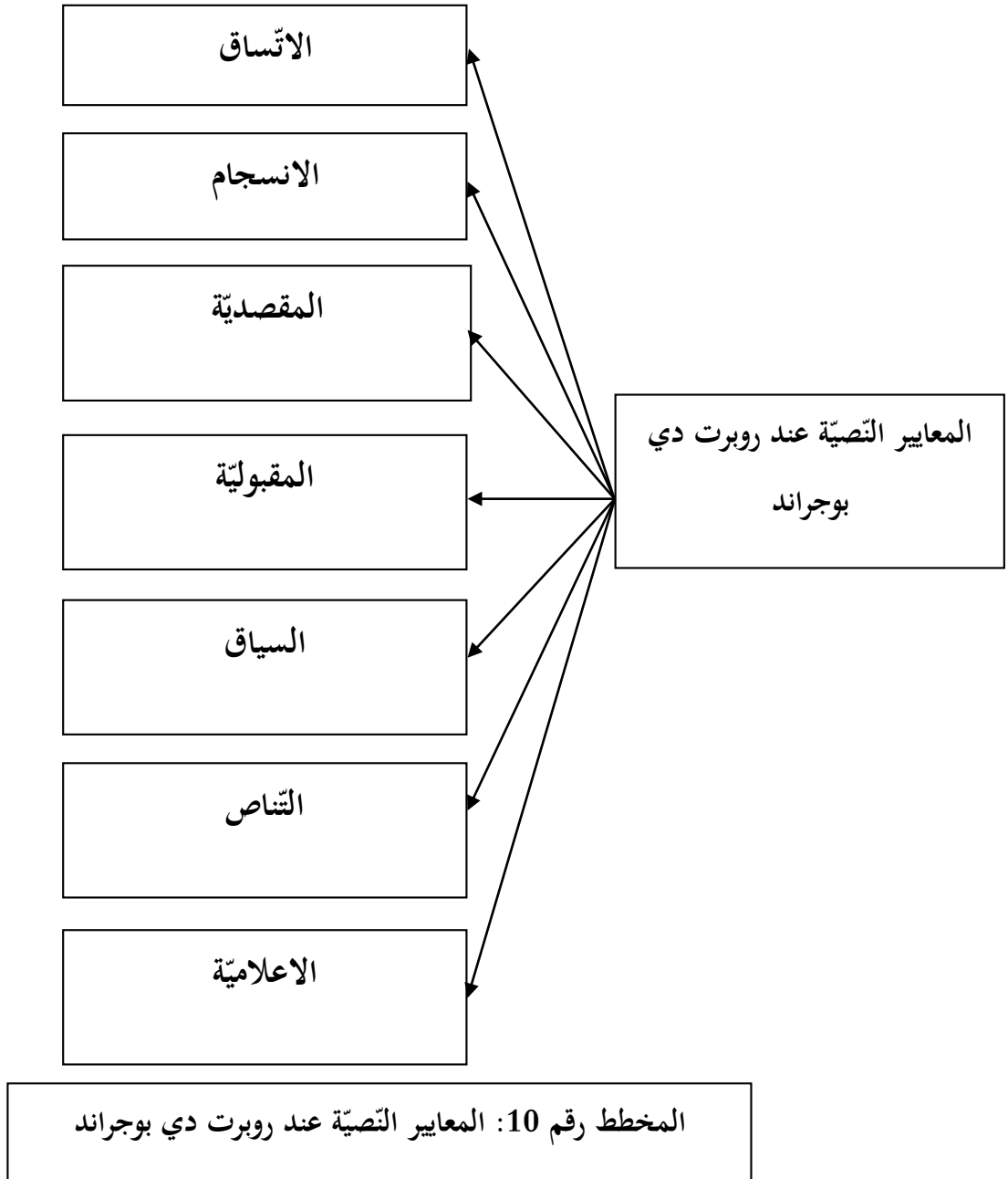


وهذه العناصر التي تحدّد للنص نصّيته قد حدّدها بدقّة دي بو جراند وأقرّ بأنّها أساس اعتبار النصّية في النص حيث يقول في كتابه: «وأنا اقترح المعايير التالية لجعل النصّية **Textuality** أساساً مشروعاً لإيجاد التّصوُّص واستعمالها»¹.
وحصرها دي بو جراند في التّالية²:

La cohésion	←	- الاتساق (التماسك/ التّرابط التّركيبي)
Lacohérence	←	- الانسجام (الالتحام/ التّرابط الدّلالي)
L'intentionnalité	←	- المقصدية (القصد)
L'acceptabilité	←	- المقبوليّة
Le contexte	←	- السّياق (رعاية الموقف)
L'intertextualité	←	- التّناص
Informativité	←	- الإعلاميّة

1- النصّ والخطاب والإجراء ، دي بو جراند، روبرت، ص 130.

2- المرجع نفسه، ص 103، 104.



ويرى سعد مصلوح بخصوص هذه المعايير أنّه بالإمكان تقسيمها إلى ثلاثة أصناف:

- صنف يتّصل بالنّص، ويشمل معياري الاتّساق والانسجام.
- صنف يتّصل بمنتج النّص ومتلقيه ويشمل معياري المقصدية والمقبولية.

- صنف يتّصل بظروف إنتاج النصّ وتلقّيه ويندرج ضمن معيار السياق والتّناص¹.
بناء على هذا يمكننا أن نعدّ معايير دي بوجراند أساسا لاعتبار النصّ نصا، وليست قواعد لإنتاج هذا النصّ، لأنّ غياب أحد هذه المعايير لا يعني انعدام نصّية النصّ ولكن يمكن أن تقلّل من كفاءته أو حتّى من أن نصل إلى ما يمكن تسميته اللانصّ « هكذا يكون عدم السّبك والالتحام والقصد والإعلامية.. الخ، ذا ندرة نسبية ولكن النصوص كثيرا ما تفقد من كفاءتها أو تأثيرها أو ملاءمتها»².
وسنخص بالدراسة والتحليل في بحثنا معيار الاتّساق لما له من علاقة مباشرة بالنصّ ونتناوله بشيء من التفصيل.

زيادة على ما سبق ذكره، فإنّ دي بوجراند **De Beau grande** يرى أنّ العمل الأهم للسانيات النصّ هو دراسة مفهوم النصّية **Textuality** من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتّصاليّة المتّخذة من أجل استعمال النصّ³.

وفي سنة 1977م، فإنّ فان دايك تمكّن من إعادة جمع وصياغة ما توصل إليه العلماء من أبحاث ورؤى متفرّقة، ونشر كتابا بعنوان النصّ والسيّاق، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، حيث كان كلّ تركيزه مبني على الظواهر الدلاليّة والتّداوليّة، وبحث في مفاهيم التّرابط والاتّساق وتحليل الخطاب، والعلاقات بين دلاليّة الخطاب وتداوليّته⁴.

لذلك اعتمد فان دايك في رؤيته لعلم النصّ على أن يقابل بين مفهوم التّركيب الأدنى والتّركيب العلوي، وهذا من أجل وصف شكل النصّ، وكذا مقابلته بين مفهوم البنية الصّغرى والبنية الكبرى لوصف دلالة (معنى) النصّ.

1- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الصبيحي محمد الأخضر، ص8.

2- النصّ والخطاب والإجراء، دي بوجراند، روبرت، ص107.

3- بلاغة الخطاب وعلم النصّ، صلاح فضل، ص340.

4- النصّ والسيّاق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتّداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق للنشر 2000م، ص11.

ويؤكّد جلّ علماء النصّ حسب التعريفات السابقة أنّ لسانيات النصّ هي فرع من فروع علم اللّغة فيراها كول ماير **Cole Meyer** على أنّها تشكّل مستوى فرعي من محاور علم اللّغة، فتُعنى بوصف الصّيغ اللّغوية معتبرة النصوص وحدات لغويّة متناسقة بينها علاقات رابطة، ساعية أحيانا إلى وصف الصّلات المرجعيّة والصّلات المترابطة في النصّ، هذا يعني أنّ « لسانيات النصّ تتأسّس على نظريّة النصّ وتشترطها لتكامل دراستها وتحليلاتها وتفسيراتها وتأويلاتها»¹.

إن اتّفقت الدّراسات على أنّ الفضل في قيام لسانيات النصّ هو تفضّن العلماء لضرورة تجاوز الجملة إلى النصّ بكلّ مكوّناتها، وإن نجح هؤلاء في الوصول بالنصّ إلى جعله محور الدّراسات اللّسانية يكون علم لسانيات النصّ عبر مراحل تطوّره من التّأسيس إلى تطوّر مفاهيمه وتوضيحها حتّى السّبعينيات من القرن العشرين، لا تزال مصطلحاته تتقاطع مع مصطلحات علوم أخرى وخصوصا العلوم اللّغوية ولا يزال كلّ الباحثين يصوغون له ترجمة خاصّة يمكن أن نردّ سبب هذا كونه علم لم يكتمل بعد، اكتمالا تتّضح فيه معالمه الرئيسيّة وتتوحّد فيه مصطلحاته، حيث أنّه لم يرتبط كما يذهب سعيد حسن بحيري ببلد معيّن، أو بمدرسة بعينها أو باتجاه محدّد²، كما سبق وأشرنا.

وعلم لسانيات النصّ، حتّى وإن تعدّدت مصطلحاته وكثرت مفاهيمه لكنّ رقعة البحثية تزداد في مختلف التّخصّصات بمختلف الجامعات فتعدّد مفاهيمه يعود إلى تعدّد مشارب الباحثين فيه، فقد نجد اللّغة والتّاريخ، وعلم النفس و... الخ، وكلّ هذه تدعو إلى ضرورة الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصّ ودون إهمالها نهائيّا.

لقد كانت هذه لمحة عن ولادة لسانيات النصّ عند اللّسانيّين الغرب، وكيفيّة انتقالها كعلم وافد عند العرب المحدثين ومدى امتدادها في الجذور العربيّة لدى المتقدمين من علمائنا العرب.

1 نظرية النص بين التنظير والتطبيق، خالد محمود جمعة، مجلة علامات، ج49، م13، سبتمبر 2003م، ص508.

2 علم لغة النص «المفاهيم والاتّجاهات»، بحيري، سعيد حسن، ص01.

وإن اختلفت التّجمات فالمفهوم واحد، وهذا الجدول يبيّن لنا ترجمة المصطلح عند الباحثين والدارسين الغرب والعرب:

الرقم	الباحث	ترجمة المصطلح: لسانيات النص
01	هارفج-ديفيد كريشال	علم النصّ: Science Text
02	دريسلر	علم دلالة النصّ: Semantics Text
03	سوينسكي	نحو النصّ، علم النصّ: Text Linguistics ونظريّة النصّ: Theory of Text
04	فان دايك	علم لسانيات النصّ/علم اللّغة النصّي

الجدول رقم 01: ترجمة مصطلح لسانيات النصّ عند الباحثين والدارسين الغرب والعرب

من خلال الجدول يتبيّن أنّ العلماء النّصّيّون الغربيّون لم يتّفقوا على تحديد مصطلح لعلم لسانيات النصّ، بل استعملوا أكثر من مصطلح، وعلى الرّغم من هذا الاختلاف إلى أنّ أغلب الباحثين شملت مصطلحاتهم فيظهر لنا أنّه ارتباط جزء بكل. وأمّا ما يخص الباحثين العرب فهم كذلك شأنهم شأن الباحثين الغربيين قد اختلفوا في المصطلح الدّال على هذا العلم، وكان لهم الأثر في تعدّد التّجمات، وهذا ما يبيّنه الجدول الآتي:

نحو النصّ	أحمد عفيفي-إبراهيم خليل، أحمد محمد عبد الراضي
علم النصّ	صلاح فضل-جميل عبد المجيد، محمد الأخضر الصبيحي
علم لغة النصّ	سعيد حسن بجيري، إلهام أبو غزالة، علي خليل محمد
نظريّة النصّ	إبراهيم خليل
علم اللّغة النصّي	صبحي إبراهيم الفقي، فالخ بن شيب
لسانيات النصّ	محمد خطّابي، أحمد مداس، إبرير بشير، نعمان بوقرة

الجدول رقم 02: ترجمة مصطلح لسانيات النصّ عند الباحثين والدارسين العرب

وتعود الاختلافات في المصطلح سواء عند النّصّيين الغرب أو العرب إلى مجموعة من المسوّغات التي ساهمت في اختيار مصطلح دون غيره عند الباحثين منها:

- إطلاق مصطلح (نحو النصّ) فيه تقييد، لأنّ مجال نحو النصّ يقتصر على الكشف عن الوسائل النّحوية المتحقّقة نصّيًا¹.

- مصطلح (علم النصّ) أوسع المصطلحات موضوعا، إذ أنّه يدرس النصّ من جوانب متعدّدة بعضها لغوي وكثير منها غير لغوي².

- وقد يُستعمل مصطلح (لسانيات النصّ) للدلالة الأقرب إلى هذا العلم على أساس أنّ كلمة (لسان) قد وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وتدلّ على اللّغة الإنسانيّة، زيادة على ذلك وبهذا يكون دي سوسير قد تحدّث عن اللّسان واللّغة وفرّق بينهما، بحيث رأى أن اللّسان جزء جوهري واللّغة جزء محدّد منه، على اعتبار أنّ اللّسان هو الأساس عنده في النّظام اللّغوي.

الجدير بلفت الانتباه من خلال ما سبق هو أنّه حتّى وإن تباينت ترجمات مصطلح لسانيات النصّ فقد اتّفقت على أنّها علم يدرس النصّ بكلّ سماته ضمن حتميّة وجود علم لغة خاص بهذا النصّ.

إنّ ما نخلص إليه ممّا سبق، بخصوص ازدواجيّة النصّ والجملة من جهة، وبين مصطلح النصّ والخطاب من جهة، وبين لسانيات النصّ كعلم من جهة أخرى، هو أنّه غنيّ عن البيان أنّ سيطرة مصطلح الجملة، أو لسانيات الجملة على الدّراسات اللّسانيّة طوال عقود عديدة إلى الحدّ الذي جعل أغلب الدّارسين يُسمّون اللّسانيات الحديثة تسميّة لسانيات الجملة، ولم يقتصر مصطلح النصّ أو الخطاب كوحدة أساسيّة بديلة للجملة، إلّا ضمن إطار ما أصبح شائعا بلسانيات النصّ إلّا في الثّمانينات من القرن العشرين، حيث عرفت اللّسانيات الحديثة توجّها آخر انتقل فيه مركز

1 - مدخل إلى علم النفس مشكلات بناء النصّ، زتسيسلاف وأورو زيان، ص 69.

2 - مدخل متداخل الاختصاصات، تون فان دايك، علم النصّ، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، مصر، 1421هـ 2001م ص 23، وما بعدها.

الاهتمام من الجملة إلى النصّ، بحيث يكون هذا الأخير وحدة أساسية للدراسة اللسانية والنحوية منه تبتدئ وإليه تنتهي.

كما أنّ موضوع النصّ والجملة لم يقتصر على الدراسات اللسانية فحسب، فقد حظي باهتمام علوم عديدة (النحو، البلاغة، النّقد، تحليل الخطاب)، منذ أقدم العصور، ثمّ تفرّزت اللسانيات الحديثة بالدراسة النصّية في زمن متأخّر جدّاً بالقياس إلى قدم المعارف البشرية، وإلى المراحل التي قطعها ومرّت بها في علم الجملة؛ وما يجدر الإشارة إليه أيضاً تحوّل اهتمام اللغويين عن الجملة التي مثلت موضوع الأبحاث اللغوية منذ أقدم العصور - كما سبق وأشرنا -، لينبض عن النصّ حتّى الجّهت الدراسات نحو البحث عن لسانيات نصّية أو نحو النصّ لتستكمل به ما يفوت نحو الجملة إذن فالعلاقة بينهما هي علاقة تداخل وامتداد وتكامل في القدرة على تشخيص المعنى وبعض الظواهر اللغوية التي تتجاوز حيّز الجملة.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ مقومات أو خصائص النصّ لا تختلف عن مقومات وخصائص الخطاب بالتالي فهما مترادفان، ويمكن وضع أحدهما مكان الآخر، ولا فائدة تُرجى من محاولة التفرقة بينهما فيكون الإنجاز هو العمود الفقري للنصّ أو الخطاب، وبالتالي يكون النصّ فعل الخطاب والخطاب فعل النصّ، فلا عبرة بالبنية التي يتجسّد فيها النصّ فقد تكون كلمة أو مركباً أو جملة أو أكثر من جملة ... حسب وضعية التبليغ وحركيته؛ حتّى أنّ البعض يفرق بين النصّ كائن فزيائيّ منجز وخطاب متمثّل في التعبير وهذا التعبير يُؤوّل حسب المقام.

الفصل الأول

الاتساق مفهومه وآلياته في ضوء لسانيات النص

1.1. تعريف الاتساق لغة.

2.1. تعريف الاتساق اصطلاحاً.

3.1. آليات الاتساق.

الفصل الأول: الاتساق مفهومه وآلياته في ضوء لسانيات النص

اهتمت لسانيات النص في دراستها للنص بظواهر ترتيبيّة ودلاليّة تخرج عن إطار الجملة المفردة والتي لا يمكن تفسيرها أو تحليلها إلا من خلال وحدة النص الكلية، فأجّه مجموعة من علماء اللسانيات الحديثة في فتح منافذ بديلة لنحو الجملة لها نظريّات انطلقت منها جُل المحاولات الأولى لدراسة النص دراسة منهجيّة، والتنظير له على أسس متينة، وشهدت فترة منتصف السبعينيات وخاصة بين 1975م و1976م دراسات هامة حوله من منطلق مسلم به يقتضي بأنّ النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل وإنما هو وحدة لغويّة نوعية **Une Unité linguistique spécifique** ميزتها الأساسية الاتساق والترابط.¹

وأهمّ من عاج ما أتى به هذا المنهج اللساني خاصة مسألة الاتساق الباحثين هاليدي ورقية حسن **Halliday and R. Hassan** عام 1976م، من خلال كتابهما الاتساق في اللغة الانجليزية (**Cohesion in English**)، وما قاما به هذان الباحثان يُعدّ نقلة نوعية في اللسانيات الحديثة حيث يهدف عملهما إلى تحديد ما يميّز النص باعتباره وحدة دلاليّة تداوليّة منسجمة مقترنة بالسياق الذي يرد فيه، ومن مجرد متاليّة من الجمل لا علاقة بينها، إلى وحدة لغويّة في الاستعمال (**Unité de langage en usage**)، وهذا ما يقتضي في نظرهما أن نأخذ بعين الاعتبار ارتباط الخطاب بسياقه (مقام التلّفظ، مرجعيّة الخطاب....)²؛ كلّ ما سبق ذكره ساهم بشكل كبير في مجال لسانيات النصّ.

ولما كان علم النصّ يدرس بنية النصّ - كما سبق وذكرنا - مركزا على آليات ومطلب من أجل أن يكون هذا النصّ نصّا.

رأينا أن نطرح سؤالنا هذا: ما هو المطلب الأساسي الذي يتعيّن تحقيقه ليكون النصّ نصّا؟

1- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، ص 59.

2- المرجع نفسه، ص 75.

يرى كلا الباحثين هاليداي ورقية حسن أنّ تماسك النص وتحقق نصّيته تكمن في ضرورة وجود أدوات ماديّة ظاهرة «تظهر الرّوابط الأدواتيّة بين الجمال أكثر وُضوحاً، لأنّها المصدر الوحيد لخاصية النصّ»¹، فالمُتنبّي لهذه الفكرة يتيقّن أنّه لا بدّ من توفر عناصر لغويّة على سطح الكلام إضافة إلى علاقات معنوية ضمنية وأخرى خارجية سبق ذكرها؛ «فلكي تكون لأي نصّ نصيّة ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللّغوية التي تخلق النصّية بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة»².

وما يمكن أن نستشفّه ممّا عُرض أنّ النصّ باعتباره بنية لغويّة يراعى في تحليلها تفاعل وترابط بين جسد هذا النصّ بتوفّر وسائل منها لفظيّة وأخرى معنويّة تحقّق للنصّ انسجامه واتّساقه، فتتلاحم أجزائه وتترابط؛ تقول خولة طالب الابراهيمي: «النصّ إذا منتوج مترابط متّسق ومنسجم، وليس تتابعاً عشوائيّاً لألفاظ وجُمَل وقضايا وأفعال كلاميّة، النصّ كلّ تحدّه مجموعة من الحدود تسمح لنا أن ندركه بصفته كلّاً مترابطاً بفعل العلاقات النّحويّة التركيبيّة بين القضايا وداخلها، وكذلك باستعمال أساليب الإحالة والعائد المختلفة والرّوابط والمنظمات العديدة»³.

ولئن كان الاتّساق محور بحثنا، يجب علينا أن نركز على معرفة حقيقته، ويتمّ هذا من خلال تحديد مفهومه، والوقوف على آلياته وعناصره وعلى شتى مظاهره وبعبارة أخرى، الكشف عن مكانته ودوره في جعل النصّ بناء متماسكاً، وعلى هذا الأساس فإنّنا سنتناول أولاً مفهوم الاتّساق لما هذا المفهوم من أهميّة ولأنّه أيضاً يؤسّس لكلّ التّفصيل التي تأتي بعده، وكيفيّة الإفادة منها لنصل في الفصل التّطبيقي إلى أن نفهم الاتّساق كما وضعه عبد القاهر الجرجاني وماهي ملاحظه في التّراث النّحوي والبلاغي العربي؟ ومدى امتداده لعلماء لسانيات النصّ؟

1 - تحليل الخطاب، براون وبول، ص 234.

2 - خطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 13.

3 - مبادئ في اللّسانيات، طالب الإبراهيمي، خولة، ص 169.

2.1. مفهوم الاتساق لغة

نستهلّ تعريف الاتساق بذكر ما ورد في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) حول المادة اللغوية (و،س،ق) استوسقت الإبل اجتمعت، وفي التنزيل الحكيم ﴿قَبَلًا أَفْسِمُ بِالشَّقَبِ وَالْيَلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ٧٧ ﴿وَالْفَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ٧٨ (سورة الانشقاق، الآية 16، 18)، وَمَا وَسَقَ أَيُّ مَا جَمَعَ وَضَمَّ¹.

والاتساق لغة من الوسق، ويقال الوَسَقُ، أي ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، وفي حديث أُحُدِ «اسْتَوْسِقُوا كَمَا يَسْتَوْسِقُ جُرْبُ الْغَنَمِ أَي اسْتَجْمَعُوا وَانضَمُّوا...؛ والحديث الآخر: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَجُوزُ الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُ اسْتَوْسِقُوا، وَفِي حَدِيثِ النَّجَاشِيِّ: وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبِشَةِ أَي اجْتَمَعُوا عَلَى طَاعَتِهِ وَاسْتَقَرَّ الْمَلِكُ فِيهِ، فَكُلٌّ مَا انْظَمَّ، قَدْ اتَّسَقَ، وَالطَّرِيقُ يَأْتَسِقُ وَيَتَّسِقُ أَي يَنْظُمُ وَاتَّسَقَ الْقَمَرُ اسْتَوَى، وَاتَّسَقَ الْقَمَرُ: امْتَلَأُوهُ وَاجْتَمَاعُهُ، وَاسْتَوَاؤُهُ لَيْلَةَ ثَلَاثِ عَشَرَ أَوْ أَرْبَعِ عَشَرَ...، وَمِنْهُ فَالِاتِّسَاقُ هُوَ الْإِنْتِظَامُ»².

وقد جاء في لسان العرب أيضا مادة (و س ق) وسق: «الْوَسَقُ وَالْوَسِقُ: مَكِيلَةٌ مَعْلُومَةٌ، وَقِيلَ هُوَ حَمَلٌ بَعِيرٌ... سِتُونَ صَاعًا أَوْ ثَلَاثِمِائَةَ وَعِشْرُونَ رَطْلًا عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ: الْوَسِقُ: وَقَرَّ النَّخْلَةَ وَأَوْسَقَتِ النَّخْلَةَ: كَثُرَ حَمَلُهَا، وَوَسَقَتِ الْأَثَانَ: إِذَا حَمَلَتْ وَلَدًا فِي بَطْنِهَا، وَوَسَقَتِ النَّاقَةَ وَغَيْرَهَا تَسَقُّ أَي حَمَلَتْ وَأَغْلَقَتْ رَحْمَهَا عَلَى الْمَاءِ فَهِيَ نَاقَةٌ وَاسِقٌ»³.

وقال الفراء: «مَا وَسَقَ أَيُّ مَا جَمَعَ وَضَمَّ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَمَا وَسَقَ أَيُّ مَا جُمِعَ مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالْأَشْجَارِ، كَأَنَّهُ جَمَعَهَا بِأَنْ طَلَعَ عَلَيْهَا كُلِّهَا، فَإِذَا جَلَّلَ اللَّيْلُ الْجِبَالَ وَالْأَشْجَارَ وَالْبَحَارَ وَالْأَرْضَ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ فَقَدْ وَسَقَهَا، أَبُو عَمْرٍو: الْقَمَرُ وَالْوَبَّاصُ وَالطُّوسُ وَالْمَيْسِقُ وَالْجَلْمُ وَالزَّبْرَقَانُ

1- لسان العرب، ابن منظور، مادة (ن ص ص)، ص 927.

2- المصدر نفسه، ص 1762.

3- نفسه، ص 927.

والسَّنَمَارُ، وَسَقْتُ الشَّيْءَ: جمعته وحملته، والوسق ضمُّ الشَّيْءِ إلى الشَّيْءِ، وقيل كلُّ ما جُمِعَ فقد وُسِقَ والاتساق: الانتظام»¹.

وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي (ت817هـ): «وَسَقَهُ-يَسِقُهُ: جمعه وحمله، ومنه: (وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ) وطرده، ومنه: الوَسِيقَةُ وهي من الإبل كالرَّفَقَةِ من النَّاسِ... والنَّاقَةُ حملت وأغلقت على الماء رحمها فهي واسق واستوسقت الإبل: اجتمعت واتسقت: انتظم، والمساق: الطائر يصفق بجناحيه إذا طار»².

وأما السيوطي (ت911هـ) فيقول: «أَتَسَقُ الْقَمَرُ إِذَا تَمَّ وَامْتَلَأَ لَيْلَةَ أَرْبَعَةِ عَشْرَةٍ، وَوزن أَسَقٍ: افتعل وهو مشتق من الوَسَقِ، ويُقال أَسَقَ: استوى»³.

ونلاحظ من الشُّروح السابقة، أنّ معناه لا يتعدى الجمع، واستوسقت الإبل: اجتمعت؛ وأنشد للعجاج: إنّ لنا قلائصاً حقائقاً مُستوسقات لو تجدن سائماً وأوسقت البعير: حملته حمله، ووسق الإبل: طردها وجمعها؛ وأنشد: يوماً ترانا صالحين، وتارةً تقومُ بنا كالواسقِ المتكلبِ واستوسقت لك الأمر إذا أمكنك.

ويقال: واسقتُ فلاناً مُواسقَةً إذا عارضته فكنت مثله ولم تكن دونه؛ وقال جندل: فلسنت إن جَارَيْتَنِي، مُوَأْسِقِي، ولست، إن فرزت مِيّ، سَابِقِي، والوساق والمواسقة: المِناهدة؛ قال عدّي: ونَدَامِي لا يبخلون بما نالوا، ولا يُعسرُونَ عند الوِسَاقِ والوَسِيقَةِ من الإبل والحَمِيرِ: كالرَّفَقَةِ من النَّاسِ، وقد وَسَقَهَا وَسَوْقًا، وقيل كلُّ ما جُمِعَ فقد وُسِقَ، ووسيقَةُ الحمار، عانته»⁴.

1 - لسان العرب، ابن منظور، مادة (و س ق)، ص212، 213.

2 - القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ج3، مادة (و س ق)، ص289.

3 - معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ج1، ص570.

4 - لسان العرب، ابن منظور، ص1763.

والمعنى يزداد وضوحاً مع جملة من الأمثلة: فقد جاء في المعجم الوسيط: وَسَقَتِ الدَّابَّةُ تَسْقُ وَسَقًا وَوُسُوقًا: حملت وأغلقت على الماء رحمها، فهي واسق، واتسق الشيء: اجتمع وانضم القمر: استوى وامتلاً، واتسق الشيء: اجتمع وانظم، ويقال استوسق له الأمر: أمكنه¹.

ومن خلال ما سبق نلاحظ أنّ الاتساق على ما سبق فيه أنّ معاني (و س ق)، انصبت في مجملها حول جعل الاتساق: هو ضمّ الشيء، والانضمام والانتظام والاستواء والاجتماع والاكتمال والضمّ والجمع مثل قول العرب: إنّ الليل لطويل ولا أسقُ باله ولا أسقُهُ بالاً، بالرفع والحزم، من قولك وَسَقَ إذا جَمَعَ أي وُكِلت بجمع المموم فيه، وغيرها من المعاني الأخرى، وهذه التعريفات ستقودنا بلا شك إلى التعريف الاصطلاحي.

2.2 مفهوم الاتساق اصطلاحاً

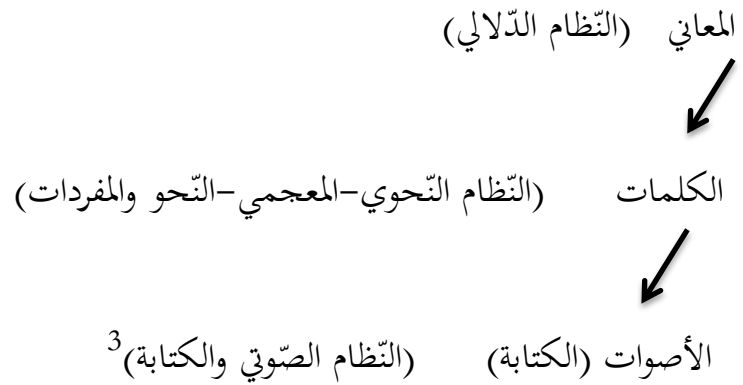
للقوف على التعريف الاصطلاحي لهذا المصطلح نورد آراء وتصوّرات أشهر اللسانيين في ميدان لسانيات النصّ ومنهم: روبرت آلا ندي بوجراند **Robert Alain de Beaugrand** الذي يرى أنّ السبك يتعلّق بالطرق التي تترابط بها المكونات في سطح النصّ داخل تتابع، أي الكلمات الفعلية التي نسمعها أو نراها، فهو إذن مدرك بالحواس²؛ وقد أكّد هذا التعريف كل من هاليداي ورقية حسن **Halliday and R. Hassan** في تعريفهما للنصّ (Text) بأنّه وحدة دلالية ترتبط أجزاؤها معاً بواسطة أدوات ربط صريحة ظاهرة، أو مفاتيح داخلية، تُبيّن كيف يستخدمها المتكلمون أو الكتاب، ويتوقّعها السامعون أو القراء، لبيان ترابط الجمل مع بعضها البعض، وهذا التوقع يبيّن في إطار الفهم العام لنوع النصّ الذي أشار إليه كلا الباحثين على أنّه كلمة تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة

1 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، ج1، ص1032.

2 - رؤية منهجية في بناء النصّ النثري، حسام أحمد فراج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النصّ النثري، الناشر مكتبة الآداب القاهرة، 2007م، ص78.

متكاملة¹ كما ذهب العالمان إلى «أن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي فهو يميل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص»².

ويُعقَّب محمد خطابي على هذا التعريف فيبرز أن الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب وإنما تم في مستويات أخرى كالنحو والمعجم، وهذا مرتبط بتصور الباحثين للغة كنظام ذي ثلاثة أبعاد/ مستويات: الدلالة (المعاني) والنحو المعجم (الأشكال) والصوت والكتابة (التعبير)، ويعني هذا التصور أن المعاني تُنقل إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة. وقد استعان محمد خطابي بالشكل الآتي لتوضيح ذلك:



المخطط رقم 11: مستويات الاتساق عند محمد خطابي

وقد خلص إلى أن الاتساق ذلك التماسك الشديد الذي يكون بين الأجزاء المشكّلة لنص/خطاب ما؛ ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكليّة) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من الخطاب أو خطاب بأكمله؛ وحتى يتم هذا التماسك يجب أن يحتوي على عناصر تكفل ذلك كأدوات العطف والحذف والاستبدال وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وغيرها.

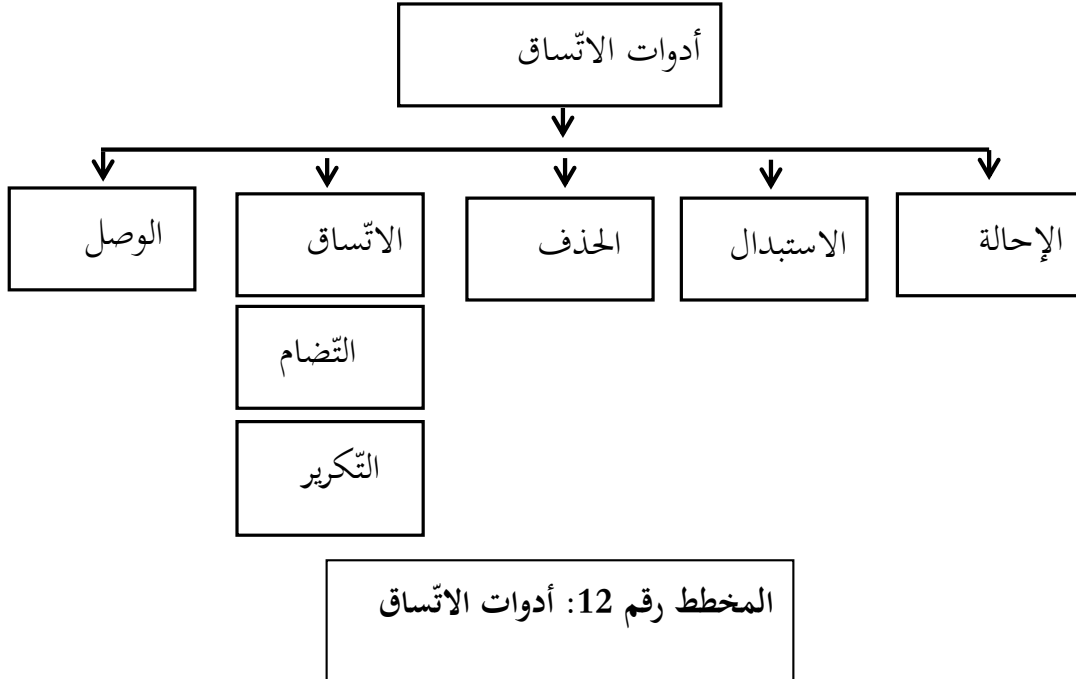
1 - نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي، أحمد، ص 22.

2 - لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص 15.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ولهذا، فإنّه من أجل اتّساق الخطاب/ النص يسلك المحلّل الواصف للنص طريقة خطيّة متدرّجا من بداية الخطاب (الجملة الثّانية منه غالبا) حتّى نهايته، راصدا الضّمائر والإشارات المحيطة، إحالة قبليّة أو بعديّة، مهتمّا أيضا بوسائل الرّبط المتنوّعة كالعطف، والاستبدال، والحذف والمقارنة والاستدراك وهلم جرا، كلّ ذلك من أجل البرهنة على أنّ النصّ/ الخطاب المعطى اللّغوي بصفة عامّة يُشكّل كلّا متآخذا.

ويُفهم ممّا سبق، بأنّ النصّ إذا اتّسم بالاتّساق خضعت جملة لعملية بناء منظّمة و مترابطة تركيبيا ودلاليّا، بحيث كلّ جملة تؤدّي إلى الجملة اللاحقة، ويتحقّق هذا التّعالق بواسطة أدوات ووسائل لغويّة وبالتالي فإنّ الاتّساق هو الذي يضمن تماسك النصّ ويميّزه عن اللّانص، وتساهم مجموعة كما سنرى فيما بعد، من الوسائل والأدوات النّحويّة والدلاليّة في هذا ممّا يجعل الاتّساق يكون تركيبيا ودلاليّا، وأهمّ هذه الوسائل والأدوات التي تُساهم في جعل النصّ متّسقا شكلا، ما يوضّحه هذا المخطّط:



ولم تتعد المعاجم الغربيّة الأخرى كذلك عن هذه التعاريف، فقد جاء في معجم **Oxford** الاتّساق هو إصاق الشّيء بشيء آخر، بالشّكل الذي يشكّلان وحدة مثل: اتّساق العائلة

الموحدة، وتثبيت الذرات بعضها ببعض لتعطي كلاً واحداً¹؛ فهو القوّة على الالتساق والانتظام والتناغم.

ولهذا فالإتساق معيار أساسي في المجموع حتى يكون كلاً موحداً، وهو مفهوم لا يحدث إلا بوسائل يقول عنها والفريد روجيه **Walfred Roger**: «كلّ الأدوات النّسقية النّحوية العاملة التي تُجيز ربط قطعة بقطعة أخرى وتلعب دور الجامع الاتّساق في النص»²، فنحن نحصل على نص ما عندما يمتلك هذا الأخير إمكانيات من روابط شكلية أو عناصر نحوية معجمية بارزة تؤدي إلى ترابط وتماسك أجزاء النص المختلفة، فالترابط الشكلي يعني الوسائل التي تتحقّق بها خاصية الاستمرار في ظاهر النص، ويقصد بهذا الأخير الأصوات والجمل الناتجة عن العملية اللغوية وهو نفس التعريف تقريبا لمحمد خطابي الذي تطرقنا له سابقاً، ولتأكيد هذا المعنى نورد تعريف محمد الشاوش للإتساق الذي ميّزه بكونه: «مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة تجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها البعض وهذا ما يؤدي إلى تراجعها الشكلي في النص»³.

والإتساق- كما سبق الإشارة- هو أحد المعايير النصية السبعة وأهمّها، فهو مظهر لدراسة التسيح النصي باعتباره «الغراء الذي تمتلكه القطعة المكتوبة الموحدة بكلمات أخرى، تكون القطعة المتسقة إذا التصقت بمجموعة من عبارة إلى عبارة ومن فقرة إلى فقرة»⁴.

وهذا ما تحدث عنه أيضاً سعيد بحيري في قوله: «يُعَدّ الاتّساق (Cohesion) أحد المفاهيم الأساسية في الدراسات التي تندرج في حقل لسانيات النص وهو يخصّ التماسك على المستوى

1 - الاتساق النصي في التراث العربي، سعدية، نعيمة، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، جوان 2009، ص6.

2 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

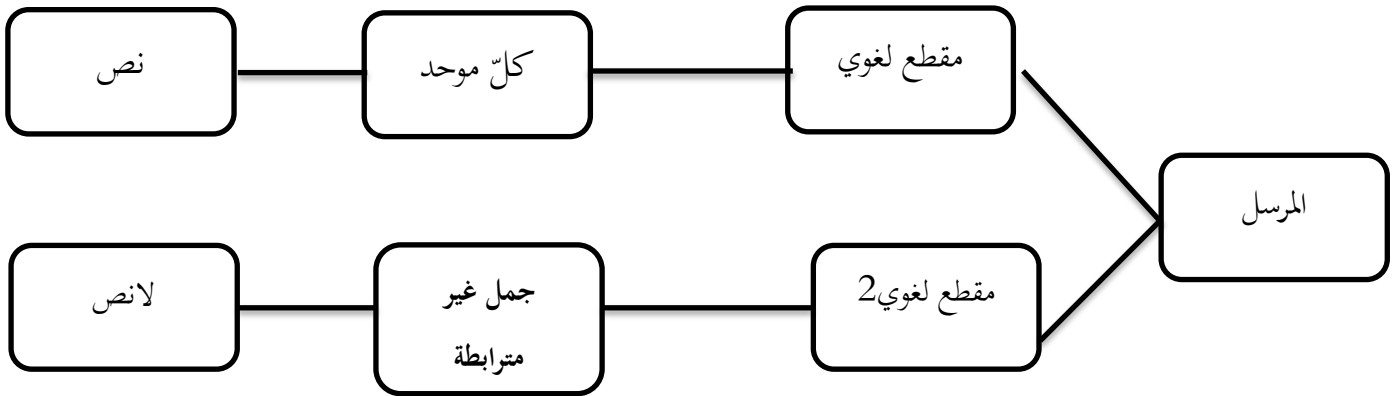
3 - أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، الشاوش، محمد، مج1، المؤسسة العربية للتوزيع منوبة تونس، ط1، 2001م، ص124.

4 - الاتساق النصي في التراث العربي، سعدية، نعيمة، ص7.

البنائي الشكلي أي أنه يختص بالبنية السطحية للنص، ويُعنى بكيفية ربط مكونات النص السطحي»¹.

فأضحى الاتساق شرطاً ضرورياً وكافياً للتمييز بين النص واللانص، ولكي يستطيع أن يشكّل كل مقطع لغوي كلاً موحدًا يجب أن تتوافر فيه خصائص معيّنة تعتبر سمة في النصوص ولا توجد في غيرها بغية الكشف والتمييز بين ما نقر أو ما نسمع حول ما إذا كان نصًا أو غير ذلك،

وعليه نقترح طرح كل من الباحثين هاليداي ورقية حسن بالرسم الآتي²



المخطط رقم 13: خصائص مميزة للاتساق

الملاحظ على هذا الرسم أنّ الاتساق معيار وشرط ضروري للوقوف على ما يميّز النص عن متاليّة مكوّنة من جمل غير مترابطة (اللانص)، فإن هذا الأخير قد فقد العناصر التي تجعله كلاً واحداً وبالتالي نصّاً متناسقاً، ولعلّ هذا ما كان يقصده القيرواني في كلامه من أنّ الكلام إذا كان متنافراً متبايناً عَسَرَ حفظه، وثُقُل على اللسان التُطق به، ومجته السّامع فلم يستقر فيها منه شيء³.

1 - علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، بحيري، سعيد حسن، ص 127.

2 - لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص 12.

3 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ط 05، 1401هـ، 1981م، ص 84، 86.

كما أنّ الاتساق يخصّ الترابط في المستوى البنائي والشكلي والرّصفي فهو معيار يهتم بظاهر النصّ ودراسة الوسائل التي تتحقّق بها خاصية الاستمرار اللفظي كما سبق وذكرنا، وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدّي السّابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقّق لها الترابط الرّصفي.

أما ديفيد كريستال **David Crystal** فقد عرّفه بأنّه: «الاتّصالات المنطقيّة المقدّرة للاستعمال اللّغوي، ولن يتسنى ذلك إذا لم ندرس بناء النصّ وتركيبه والعوامل التي ساهمت في البناء والتي يطلق عليها الرّوابط والعلائق داخل النّصوص¹»؛ وبهذا يكون النصّ مجموعاً، ويختصّ الاتساق بتوحيد أفكار هذا المجموع، إنّ مفهوم ملائم للترابط الحاصل بين أعضاء هذا المجموع، لإحساسها الوجودي بحاجة كل عضو إلى الآخر وهذا يعود بنا إلى تراثنا العربي وبالتحديد عندما أشار الحالمي (ت488هـ) عند كلامه عن وحدة القصيدة، وأنّ القصيدة مثل خلق الإنسان في اتّصال أعضائه ببعضها البعض²؛ وبهذا فهي نصّ واحد ونسج حسن.

وكل هذا يجعلنا نحكم على النصّ بحسن السّبك والرّبط والرّصف والتأليف، كما قال به المتقدّمين من علماء البلاغة والقرآن والتفسير واللّغة وغيرهم، وعليه فالاتساق مهمّ لتحقيق ما يسمّى بنصيّة النصّ ليكون هذا الأخير منتج مترابط متّسق ومنسجم، وليس تنابعا عشوائياً لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلاميّة، وهذا ما يتوافق مع ما أورده منذر عياشي في كتابه (العلاميّة وعلم النصّ) حيث يرى بأنّ مصطلح التراكيب ضمن الجمليّة أو بين الجمل، لاسيما الاستبدالات التركيبيّة التي تحافظ على هويّة المرجع، ولكنها تحافظ أيضاً على التّوازي وعلى التّكرار وعلى الحشو³.

1 - الاتساق النصي في التراث العربي، سعدية، نعيمة، قسم الأدب العربي، ص12.

2 - علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، مصطفى صلاح قطب، عالم الكتب، كليّة دار العلوم، جامعة القاهرة، ط، 1 2014م ص10.

3 - العلاميّة وعلم النصّ، عياشي، منذر، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004م، ص132.

ولكي يكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق هذه النصية - كما ذكرنا سابقا - بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة. ويضرب المؤلفان هاليداي و رقية حسن في هذا الصدد المثال التالي:

1/Wash and core six cooking apples, Put them into a fireproof dish¹

(اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضعها في صحن يقاوم النار)²

علق البيان أنّ الضمير «ها» في الجملة الثانية يحيل قبلًا إلى «ست تفاحات» في الجملة الأولى وهذا ما جعل الجملتين متسقتين ويمكن اعتبارهما نصًا، وهذا المثال يوضح أكثر أحد أدوات الاتساق (Cohesion) وهي الإحالة القبلة والتي تُعتبر إحدى عوامل النصية سنشرحها خلال بحثنا.

وفي هذا يرى عمر أبو خرمة أن دور الاتساق في نشأة النص / الخطاب هو توافر عناصر الالتحاق وتحقيق الترابط والتماسك من بداية النص إلى نهايته دون إهمال المستويات الأخرى، من أجل تحقيق هذا التماسك وهذه العناصر هي الإحالة والاستبدال، والحذف والربط، وكذا الاتساق المعجمي التي تحدت عنها هاليداي و رقية حسن³.

ونخلص من كلّ هذه التعاريف أنّ الاتساق يُقصد به تلك الوسائل أو الأدوات الشكلية التي يمكن ملاحظتها في ظاهر النص دون إهمال الدور الذي تلعبه هذه الأدوات من الدلالة والمضمون ولا تكمن أهمية هذه الوسائل في أنها تكفل للنص ترابطه فحسب، بل تُيسر للقارئ أو السامع متابعة الخطاب وفهمه، فمستهلك النص المنطوق وعلاقات التضام بين أجزائه وهذا التفاعل يقود إلى ملئ الفجوات التي تتخلل أجزاء النص.

1 - Cohesion in English, Halliday and Ruqaiya Hassan, optic, p07.

2 - لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطايي، محمد، ص14.

3 - نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، أبو خرمة، عمر، عالم الكتب الحديث للنشر، اربد، الأردن، 1425هـ، 2004م ص82، 83.

2.2.1. مفهوم الاتساق عند المُحدثين

2.2.1.1. الاتساق عند الغرب

تُشكّل كلّ متتاليّة من الجمل نصّاً شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، تتمّ هذه الأخيرة بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتاليّة برمتها سابقة أو لاحقة ليحقّق بذلك نسيجاً مترابطاً تحكّمه جملة من المعايير التي تجعل منه نصّاً مكتملاً. وهذه المعايير تحدّث عنها روبرت آلا ندي بوجراند في كتابه (النص والخطاب والإجراء) فقال: «وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصّية أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها وهي: السبّك والالتحام والقصد والقبول ورعاية الموقف والتناص والإعلامية»¹؛ وبذلك يكون أكثر تحديداً لمفهوم النصّ إذ ربطه بالأسس التي يعتمد عليها، وجعل من هذه المعايير أدوات أساسية في التفريق بين النصّ واللّانص.

ولهذا فقد احتلّ الرّبط بوجه خاص وبكلّ صوره موقعا متقدّما في التحليلات النصّية، ويعتبر الاتساق بوسائله المعيار الأوضح لغويّاً من بين جميع معايير النصّية فهو لا يكفل للنصّ ترابطه فحسب، بل ييسّر للقارئ أو السّامع متابعة الخطاب وفهمه، ونظراً لأهميّة هذا المعيار بالنسبة لموضوع بحثنا رأينا أنّه من المناسب أن نوليه اهتمامنا ونلقي الضّوء عليه، لأهميته البالغة بالنسبة لحقل لسانيات النصّ ككل.

قامت اللّسانيات النصّية بتعريف مصطلح الاتساق (التماسك) (Cohesion) وهو المصطلح

الذي استحدثه كل من هاليداي ورقية حسن. Halliday and R. Hassan في كتابهما **Cohesion in English** من خلال التّساؤل الذي طرحا فيه مفهوم التماسك أو الرّبط عن الذي يُفترق النصّ المكتوب أو المحادّثة عن مجموعة عشوائية من الجمل، وبعبارة أخرى ما الذي يجعلنا نفرّز أنّ مجموعة من التّلفّظات أو الجمل تشكّل نصّاً².

1 - النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، روبرت، ص103 وما بعدها.

2 - التماسك النصّي، الاتساق شكلياً والانسجام تداولياً، علي الطاهر، ط1، مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع، ص18

ومن ذلك تتضح الكيفية التي يتماسك بها النص عبر تعيين مجموعة من الظواهر اللغوية التي يمكن تحديدها بواسطة علامات خاصة تسمح بتراطب الجمل من أجل بنائه وتماسكه، فالنص كما ذكر سابقا متتالية من الجمل شرط أن تربط بين هذه الجمل علاقات أو بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه الأخيرة بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو لاحقة، وهنا يحدث ما يُسمى بالعلاقة القبليّة والبعديّة حسب هاليداي وحسن، -وقد سبق الإشارة لذلك- ويمكن أن نمثل لهاتين العلاقتين اللتان هما أحد أدوات الاتساق بما يأتي:

س → ص = علاقة قبلية.

س ← ص = علاقة بعدية.

المخطط رقم 14: علاقتي الاتساق

فهنا الأمر إذا يتعلّق بنسيج النص/ الخطاب باستعمال علاقات تشتغل على استمرارية النصّ الدلالية، وما يهمننا هو هذه العلاقات التي تهدف إلى خلق هذا النص، وقد صنّفها هاليداي وحسن في خمس أسر علاقيّة كبرى¹، وهي علاقات الإحالة، الاستبدال، الحذف، والوصل والتّماسك المعجمي، وكلّها كما ذكرنا سابقا تأتي أدوات ووسائل للاتّساق.

أما روبرت آلا ندي بوجراند فقد خصّ مفهوم الاتساق بتنظيم التّمثلات المشكلة للعالم الذي يُقيمه النصّ وبهذا يكون قد جعل الاتساق مفهوما خارج المستوى اللّساني ووضعه ذو بعد معرفي له قدرة موسوعيّة تستطيع الحكم على تطابق معطيات العالم النصّي مع المعطيات قبل اللّسانية المشكّلة لمعتقداتها ومعارفها عن العالم.

وقد أكّد روبرت آلا ندي بوجراند أنّ النصّ حدث تواصلية، لذا يلزم لكونه نصّا أن تتوفر له سبعة معايير ويزول عنه الوصف إذا تخلّف واحد منها وهي: السبك الحيك القصد، القبول، الإعلاميّة الموقف والتّناص، وقد أطلقت عدّة ترجمات لمصطلح الاتساق (التّضام السبك،

1 - التّماسك النصّي، الاتساق شكليا والانسجام تداوليا، علي الطاهر، ص 318.

الاتساق، الترابط، الالتئام، الالتصاق، التماسك الشكلي، الربط اللفظي أو الربط النحوي) الذي يضم الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين العناصر في ظاهر النص وغالبا ما يكون التركيز على أوجه التبعية النحوية، وبالنظر إلى هذه المعايير يتضح لنا أنه من خلالها يمكننا التمييز بين النص واللانص فالنص يجب أن يتوفر على وسائل وأدوات تمكنه من أن يكون نصا. وبهذا يتشكل ما يسمى بالنصية أو النص بتحقيق المعيار والشرط الجوهرى للمعايير النصية المذكورة سلفا ألا وهو الاتساق بمختلف مرادفاته، فالنص لا يتشكل إلا إذا تحقق له من وسائل السبب (الاتساق) ما يجعله محتفظا بكيونوته واستمراريته¹.

وقد جعل روبرت آلاندي بوجراند **Robert Alain de Beaugrand** ودريسلر **Dresseler**

من أهم المبادئ النصية: السبب (**Cohesion**) وعرفاه على أنه الترابط الرصفي القائم على النحو في البنية السطحية بمعنى التشكيل النحوي للجمل وما يتعلق بالإحالة والحذف والربط وغيره².

ويرى هارفيج **Harvig** أن النص: « وحدات لغوية متتابعة مثبتة بسلاسل إضمار متصلة وهذه الوحدات تقوم في ترابطها على أن كل جملتين متتاليتين في النص ثانيتها تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط³؛ ولهذا حتى يبقى النص مترابطا متسقا قدمت اللغة أدوات لتماسك أجزائه لفظية وبيانية.

أما فان دايك **Vac Dyk** فقد جعل الاتساق أحد الأوجه التي يعتمد عليها تحليل نص ما بقوله: « أن تحليل النصوص يعتمد على أوجه الترابط والانسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى التي تجمعها في هيكل تجردي⁴؛ كما أن فان دايك قد حدّد في كتابه (النص والسياق) بنية النص من خلال ظاهرتي الاتساق والانسجام، وهذا يعني حسب

1 - اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي، أحمد، نحو النص، ص 90.

2 - روبرت، النص والخطاب والإجراء، دي بو جراند، ص 103 .

3 - المرجع نفسه، ص 13.

4 - علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، بحيري، سعيد حسن، ص 144.

بحيري أنّ فان دايك يحاول دراسة النص وتراكيبه وأبنيته ووظيفته بمعايير علمية مشتركة، وتعلّق فيه التراكيب الدّنيا والأبنية الصغرى بمستوى الجمل أو المتواليات الجملية؛ وحتى تكون هذه المتواليات متعلقة يجب أن تتصل اتصالاً منطقيًا لغويًا، ولن يكون ذلك إذا لم ندرس بناء النص وتركيبه والعوامل التي ساهمت في هذا البناء والتي يطلق عليها الروابط والعلائق داخل النصوص.

فالنص هو كل مجموع، والاتساق يجسّد لنا وحدة أفكار هذا المجموع وفي هذا قال كذلك توماس بالمر **Tomas Balmer** بقوله: « أن النصوص ليست أكثر من تتابعات من الوحدات الصّرفية جيّدة السّبك يمكن علاجها بتوسيع نحو الجملة»¹.

وتعدّ هذه العوامل والوحدات مهمّة في حكمنا على النصّ بحسن الرّصف والسّبك والتأليف - كما قال به القدماء - .

2.1.2.1. الاتساق عند العرب

النصّ الذي يأتي مفكّك الأوصال يصحبه بالضرورة تفكّك دلالي ويتعدّر فهمه، لأنّ فهم جملة في النصّ مرهون بمعرفة نوع علاقتها بالجمل الأخرى ومن هنا نجد تعريف سعد مصلوح الذي اعتمد تعريف روبرت آلا ندي بوجراند ودريسلفر لمفهوم النصّ من حيث أنّه حدث تواصلية يلزم لكونه نصًّا أن تتوافر له سبعة معايير للنّصيّة مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذ المعايير وهي السّبك والحبك، والقصد، والقبول، والإعلاميّة، والمقاميّة، والتناس؛ واعتبر (السّبك) الاتساق أحد الرّكائز والمقومات النّحويّة بالنّسبة للجملة.

أمّا محمّد خطابي فقد عرّف الاتساق بأنّه: «يحتلّ اتساق النصّ وانسجامه موقعاً مركزيّاً في الأبحاث والدّراسات التي تندرج في مجالات تحليل الخطاب، ولسانيات الخطاب/النصّ، ونحو النصّ، وعلم النصّ، حتى إنّنا لا نكاد نجد مؤلّفًا ينتمي إلى هذه المجالات خاليًا من هذين المفهومين أو من أحدهما أو من المفاهيم المرتبطة بهما كالترابط والتّعلق وما شاكلهما»².

1 - النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، روبرت، ص103.

2 - لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص05.

وبهذا تكون العلاقة بين معياري الاتساق والانسجام علاقة مباشرة تكمل إحداها الأخرى. وتحدث خطابي كذلك قائلاً أنّ الاتساق يقصد به عادة ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنص/خطاب ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته، وبهذا يكون كلا متآخذا.¹

وهذا ما ذهبت إليه خولة طالب الإبراهيمي مستشهدة بـ اللغوي السويسري ج. ميشل آدم (John.M.Adam) في كتابه مبادئ في اللسانيات النصية قائلة: « النص إذا منتوج مترابط متسق ومنسجم وليس تتابعاً عشوائياً لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية، النص كلّ تحدّه مجموعة من الحدود تسمح لنا أن ندركه بصفته كلاً مترابطاً بفعل العلاقات التحوّلية التركيبية بين القضايا وداخلها وكذلك باستعمال أساليب الإحالة والعائد المختلفة والرّوابط، والمنظمات العديدة»² وبهذا يكون للاتساق ووسائله دور كبير في أنّ يكفل للنص ترابطه وتماسكه ووحدته.

وأما سعيد بحيري فقد جعل دراسة الاتساق لا تتم بمعزل عن دراسة الانسجام بحكم أنّهما ركيزتين أساسيتين وخاصيته هامة من خصائص النصية، رغم أنّه يمكننا الفصل بينهما في التعمق في دراسة أدوات كلّ منهما، فمفهوم الاتساق يمكن أن يتحقّق من خلال أدوات الرّبط التحوّلية (الرّوابط) وبين الانسجام الذي يتحقّق من خلال وسائل دلالية في المقام الأوّل، ويمكن تتبّع الأوّل على المستوى السطحي للنص، إلّا أنّ الثاني يتمثّل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص غير أنّ البنيتان تتضافران معا لتحقيق التماسك الكلّي للنص.³

وسعد مصلوح استعمل مصطلحي (السبك والحبك) مقابل (الاتساق والانسجام) باعتماده الترجمة لكلا المصطلحين من اللغة الفرنسية اللذان يقابلان **Cohesion and Coherence** حيث أشار إلى أنّ السبك أقرب شيء إلى المفهوم المراد وأكثر شيوعاً في أدبيات النقد القديم ويمكن توضيح هذا الضرب والشّيع بالرجوع إلى التراث التقدي والبلاغي عند العرب، فالجاحظ

1 - لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص 05.

2 - مبادئ في اللسانيات، طالب الإبراهيمي، خولة، ص 169.

3 - علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، بحيري، سعيد، ص 122.

يقول: « وأجود الشُّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إ فراغا جيِّدا وسُبك سبْكَ واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان»¹.

وعرّفه محمّد مفتاح بقوله: « ويمكن أن نتكلّم عن مفهوم الاتّساق ومفهوم التّضيد، فمفهوم التّضيد هو المرحلة الأولى أي العلاقة بين الجمل وو او العطف، فاء السببية إلى غير ذلك: ارتباط الكلام بعضه ببعض وتراصه، ونقصد بمفهوم الاتّساق العلاقة المعنوية بين الجمل علاقة عموم بخصوص أو علاقة تضمن...»².

كما جعل بعض الباحثين للاتّساق مصطلح السبّك ومنهم سعد مصلوح بتعريفه السبّك الذي يراه أنه التماسك الشكلي³؛ وبأنه الوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستمراريّة في ظاهر النصّ ويعني بظاهر النصّ الأحداث اللغوية التي تنطق بها لو سمعتها في تعاقبها الزمني، والتي نخطّها أو نراها.

ولهذا فالسبّك كذلك عرّفه علم اللّغة الحديث بأنّه الرّبط اللفظي، فالنّص عبارة عن وحدة ترتبط أجزاءها عن طريق أدوات ربط صريحة، فالسبّك إذا يتعلّق بالبنية الشكليّة أو السطحيّة للنّص ويتمّ السبّك عن طريق أدوات تعمل على تتابع الكلمات تتابعًا صحيحًا من الوجهة النحوية والمعجميّة ويترتب عليه إجراءات تبدو العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابّق منها اللاحق، بحيث يتحقّق لها الترابط الرّصفي، وبشكل يمكننا استعادة هذا الترابط، ووسائل التّضام تشتمل على هيئة نحويّة للمركبات والتراكيب والجمل وعلى أمور أخرى كالترّكّار والإحالة المشتركة والحذف والروابط...

1 - البيان والتبيين، أبو عثمان بحر الجاحظ، ص 67.

2 - الإسهامات النصية في التراث العربي، بن الدين، خولة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في اللسانيات النصية جامعة وهران أحمد بن بلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2015م، 2016م، ص 20.

3 - في البلاغة العربية الأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، مصلوح، سعد، ط1، الكويت، مجلس نشر العلمي، 2003م ص 227.

ومن خلال تحليلنا نقف على أنّ علماء النص جعلوا الاتساق (التماسك) أحد أدوات التحليل النصي ومقوماته وبهذا يعرفون ما إذا كانت المتواليّة النصيّة متماسكة أم لا.

وبناء على ما تقدّم يمكننا القول أنّ التحليل النصي يتّصل بالعلاقات بين الوحدات التعبيريّة المتجاورة داخل المتتالية النصيّة، فالتماسك يتحدّد على مستوى الدلالات عندما تكون العلاقات قائمة بين المفاهيم والذوات، والمتشابهات والمفارقات في المجال التصوري كما يتحدّد أيضا على مستوى المدلولات أو ما تشير إليه النصوص من وقائع وحالات¹.

فمفهوم الاتساق يعني ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضا بوسائل لغوية معيّنة (وهذا الترابط يهتمّ بالروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه بالشكل الدلالي أو المعنوي للنص)²؛ لذا فإنّ الاتساق لن يكون بهذا المفهوم موجودا في النصّ إلا إذا توافر على الآليات التي تجمع النصّ عموما، لكن مصطلح الاتساق يُعاني أيضا من عدم الضبط في تحديد المفهوم لأن بعض الباحثين يُعطيه معنى غير دقيق، فقد يطلقه بعضهم على التماسك النحوي كما يفعل إبراهيم خليل في كتابه (في اللسانيات ونحو النص)³.

ونجد إبراهيم الفقي يقول: «أما مصطلحا Cohesion and Coherence فهما يتّصلان بالتماسك النصي داخل النص ويرتبطان بالروابط الشكليّة والدلاليّة ولهما أدوات وأنواع»⁴؛ ومهما يكن من أمر في عدم دقّة هذا المصطلح فإننا نتبني الفهم الذي يجعل الاتساق مرتبطا بالجانب الخطّي للنص.

الفقي يرى أنّه بدلا من هذا الاختلاف أنّ المصطلحين يعينان معا التماسك النصي ومن ثمّ يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما، وليكن السبك **Cohesion**، ثم يقسّمه إلى التماسك الشكلي

1 - بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، القاهرة، ط1 1996م، ص329.

2 - مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، جمعان، عبد الكريم، مجلة علامات، ماي 2007م، مج61، ص210.

3 - في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم محمود خليل، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2007م، ص187.

4 - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1 2000م، ص42.

والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقة التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية أخرى... ومن ثمّ سوف نعتمد على مصطلح السبك.

إذن يكون ابراهيم الفقي قد أقرّ اعتماده على المقوم المركزي لمقومات النصية على اختلاف مفاهيمه ومصطلحاته وهو الاتساق.

وذهب تمام حسان في ترجمته لكتاب النص والخطاب والإجراء إلى استخدام مصطلح السبك مقابلاً لمصطلح (Cohesion)، « وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية Surface على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق...، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي بحيث يمكن استعادة هذا الترابط»¹.

ومن خلال ما سبق نعود ونقول أنّ مصطلح الاتساق لم يضبط في تحديد مفهومه العديد من الباحثين، وعلى الرغم من هذا الاختلاف لدى البعض منهم فقد أجمعوا أنّ الاتساق (Cohesion) تماسكاً شكلياً، يرتبط بالروابط الشكلية الموجودة على البنية السطحية للنص من إحالة حذف، وصل استبدال، تكرار، موضوع الخطاب، السياق... الخ.

ونخلص إلى القول بأنّ الاتساق يُعد ركيزة أساسية في لسانيات النص، ونميل إلى الأخذ بالرأي الذي يرى أنّ الاتساق يهتم بالأدوات النحوية التي تساهم في تماسك النص على المستوى الشكلي فما هي هذه الأدوات يا ترى؟

1.2.2.1. الاتساق عند القدامى

إنّ أقوال البلاغيين والمفسرين وعلماء النحو واللغة تُعد بحثاً نصياً، حيث انصبت معظم دراساتهم على النص القرآني والشعري، وعدّ القرآن أهمّ درس وأبلغه نظراً لإعجازه اللغوي والأسلوبي ودقة نسجه الذي منحه صفة الإعجاز، ولقوة نظمه وشدّة تماسكه جعله كالكلمة الواحدة، وقد ركّزت القول على ما جاء في ثنايا حديث المتقدّمين من استعمال مصطلحات

1 - النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ص 103.

عديدة للفظ الذي يجعل النص كلاً متماسكاً وهو الاتساق حيث أطلق عليه التلاحم والتآخذ والتماسك، ولم يكن علماء العربية من نخاة وبلاغيين ومفسرين قُدماء بمنأى عن عالم النص ولا عن الظواهر النصية إن على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق ولهذا فقد كان النحو «دراسة لنظم الكلام وكشفنا عن أسرار تأليف التراكيب، وبيانا لم يعرض له من ظروف، وتوصلا إلى ربط المعنى بالسياق»¹.

وإذا كان هناك مفهوم ينسجم مع الاتساق في تراثنا العربي فهو بلا شك مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) لأنّ هذا الأخير كان سبقاً إلى إدراك خصوصية تماسك النص وتربطه من خلال فكرة النظم، هذا المفهوم الذي ليس له إطار يحدده أو سور يحيط به بدقة ولكن يُعرف على أنه: « هو أن تتحدّد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط تان منها بأول وأن يحتاج إلى وضعها في النفس وضعا واحدا، فالكلام أو الجملة وحدة متماسكة العناصر لها نظامها وعلاقتها الداخليّة، ولها توزع وتعدّد ونظم مدلولي تام»².

فالنظم عند الجرجاني هو نظير للنسج والتأليف والصياغة والبناء، وأهميّة تعلق الأجزاء ببعضها البعض، وأخذ الخطاب كلّ دفعة واحدة³، ووفق رؤيته تجد أنّ «لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض، وأنّ الاهتمام بهذا الموضوع يكفل توضيح الخصائص الأدبيّة فلقد راح يتأمّل العلاقة بين أجزاء التعبير، ويحاول التعرف على تفصيلات الترابط بين الكلمات التي أهملها النحاة قبله أو الاحتمالات المختلفة التي يتعرّض لها الترابط بين عنصرين أو الإسناد ككل»⁴.

1 - التراكيب التحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، صالح، بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1994م ص72.

2 - مصطفى صلاح قطب، علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص9.

3 - المرجع السابق، ص9.

4 - الاتساق النصي في التراث العربي، سعدية، نعيمة، قسم الأدب العربي، كلية الآداب، جامعة محمّد خيضر، بسكرة (الجزائر) 2009م، ص13.

وهنا يؤكّد الجرجاني أنّ الكلام لا يوصف بصحّة نظم أو فساده، إلّا برجوعه إلى معاني النّحو وأحكامه، ويدخل في أصل من أصوله، وباب من أبوابه، وهذا بإسقاط صغير وبسيط نجد أنّ هذا هو ما قال به هاليداي ورقية حسن عندما جعل الاتساق هو المحكّ بأن يكون الفاصل بين النّص واللانص.

وما ذكره الجرجاني كذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب¹؛ أي من النّظم العجيب وما يُسهّم في ذلك النّظم العجيب هو أنّنا نقتفي في نظم الكلمات آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النّفس، لذلك يقول الجرجاني: «إنّك ترتّب المعاني أوّلا في نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك»²، فالألفاظ لا توضع متجاورة دون تعلق بعضها ببعض وإنّما يرتبط بعضها ببعض ب علاقات نحويّة لا يتمّ بدونها كلام، ولا يفهم حديث، ولعلّها هي نفسها ما تطرّق إليها كل من هاليداي ورقية حسن - كما ذكرنا سالفًا - في إطار حديثهما عن الاتساق وأدواته وعلاقاته حيث أنّ هناك علاقات معيّنة إذا توافرت في نص ما تجعل أجزاءه متآخدة مشكلة بذلك كلّ واحد... وهي خصائص تميّز النّص باعتباره كذلك ممّا يجعل النّص وحدة دلاليّة³.

وبهذا هما يجعلان من الاتساق في النّص قدرا محتوما، وعنصرا يجب حضوره حتّى يكون النّص نصّا وحتّى يكون النّظم نظما، بوجود أدوات إذا خلا منها سواء كانت شكلية أم دلالية، يصبح جملا مترابطة لا رابط يجمعها، إنّه جسد بلا روح.

وهذا يعني أنّ النّظم ووسائله عند الجرجاني، والاتساق ووسائله عند علماء لسانيات النّص، إذا انتفيا في النّص، يخرج عن نصّيته عند المحدثين، كما يخرج عند القدماء إلى سوء التّأليف وسوء النّظم وهكذا يحفظ الاتساق للنص نصّيته، وذلك بأن تكون «الكلمات متتاليات متلاحمة تلاهما

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 99.

2 - المصدر نفسه، ص 416.

3 - Cohesion in English, Halliday and Ruqaiya Hassan, optic, p.07.

سليما مستحسننا لا معييا مستهجننا»¹، لأنه عندما تتشابك الأجزاء، ويفتقر كل واحد إلى الآخر تتأسس علاقة الاتساق وفي ذلك قال الجرجاني: « لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض وتجعل هذه سبب من تلك»²؛ وبها تتعالق الوحدات البنائية لتشكّل نصا، أي هناك علاقات معيّنة بتوقّرها يتحقّق للنص نصيته فيصبح كلاما موحد الأجزاء، متّسقا.

وقد أكّد الجرجاني على الاتساق وشرحه بصورة تكاد تكون أقرب إلى مفهومه عند علماء لسانيات النص، بل تكاد تكون أوضح من شرحها في العصر الحديث في هذا النص: « واعلم أنّ من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبّرتّه، أن لم يحتج واضعه إلى فكر ورؤية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضمّ بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآلى فخرطها في سلك لا يبغى أكثر من أن يمنعها التفرق...»³.

وبهذا يكون عبد القاهر الجرجاني سبّاقا إلى إدراك خصوصية تماسك النص وترابطه من خلال فكرة النظم، وإلى جانب البلاغي عبد القاهر الجرجاني، نعرض بعض التعريفات التراثية المقاربة لمفهوم الاتساق، هذا المصطلح الحدائثي الذي اهتمت به لسانيات النص لنجعل له إطلالة تراثية في دراستنا.

وفي هذا نجد أبو هلال العسكري (ت395هـ) قائلا: « وحسن التّأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التّأليف ورداءة الرّصف والتّركيب شعبة من الثعمية، فإذا كان المعنى سبيا ورفص الكلام رديا، لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة... وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التّقديم والتّأخير، والحذف والزيادة، إلا حذف لا يُفسد الكلام، ولا يعمى المعنى، وتضمُّ كل لفظة منها إلى شكلها وتُضاف إلى لفقها وسوء الرّصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، ورفصها عن وجوها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال

1 - الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص198.

2 - المصدر نفسه، ص106.

3 - نفسه، ص137.

في نظمها»¹؛ لأنّ صحّة السبّك والتّركيب والخلو من عوج النّظم والتّأليف شرط لكمال النّظم ووضوح الفهم مثل الاتّساق الذي يُعدّ النّص من خلاله -نصّاً متكاملًا- باعتباره المعيار الرّئيسي للمعايير النّصية لذا نجد المتقدّمين يشيّدون بالشّعْر الجيّد المسبوك، وفي هذا يقول الجاحظ: «أجود الشّعْر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغًا واحدًا وسبّك سبكا واحدًا فهو يجري على اللّسان كما يجري الدهان»².

وعلى هذا فالكلام عند الجاحظ لا يكون متّسقًا إلا إذا كان عذب النّطق وسهل الفهم وإلا كان متنافرًا متباينًا عسر حفظه وثقل على اللّسان النّطق به، والقيرواني كذلك نجده يستحسن أن يكون البيت بأسره كأنّه لفظة واحدة لخفته وسهولته واللفظة كأنّها حرف واحد³.

ثم يأتي المتقدّمون من منظور النّقد الأدبي منهم ابن طباطبا العلوي (ت322هـ) من خلال ما ذكره في كتاب (عيار الشعْر) وذلك عن وصفه القصيدة بأنّها نص واحد أو أنّها «ككلمة واحدة في اشتباه أوّلها بآخرها نسجًا وحسنًا»⁴؛ وهذا ما أشار إليه الحاتمي (ت388هـ) -وذكرناه سابقًا- عند كلامه عن وحدة القصيدة وأنّ القصيدة مثل خلق الإنسان في اتصال أعضائه ببعضها البعض.

هذا عن منظور البلاغيين والنّقاد المتقدمين، أما عن منظور علماء القرآن فقد عرف مع الزركشي في (البرهان) وذلك من خلال ما قدمه عن المناسبة بين الآيات والسور من منطلق أن وحدة النّص القرآني بوصفه بناء مترابط الأجزاء⁵.

وأما ما جاء في كتب التّفسير نجد السيوطي في (الإتقان) قد تكلم عن الاتّساق وقاعدة الإجمال والتّفصيل، وهذا مفهوم دلالي وتكمن علاقتهما في التماسك بين سور القرآن لذا قال

1 - الصناعتين (الكتاب والشعر)، أبو هلال العسكري والحسن بن عبد الله بن سهل، ص161.

2 - البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، ص55.

3 - العمدة في محاسن الشّعْر وآدابه، القيرواني، ص257.

4 - النظرية والتطبيق، مصطفى صلاح قطب، ص10.

5 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

«هو أن يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاهما سليما مستحسنا»¹ والسلامة تنجم عن الاتساق في النص، وعند التأمل يتجلى القرآن كالكلمة الواحدة، وقد تعرّض النحويون واللغويون العرب القدماء إلى هذا المفهوم في إطار حديثهم عن قضاياهم النحوية عبر أبواب النحو المختلفة إلا أنهم يركزون على قضية الاتساق على مستوى الجملة فقط، باعتبار أن النحو السائد قبل نحو النص هو نحو الجملة، وبهذا فقد أحوّوا على وجود الرّابط في جملة الصّلة وخبر الجملة، فيشير سيبويه إلى أهميّة وجود الضمير الذي يُحيل على السّابق حتّى يكون الكلام مفهوما وسليما.

هذا على مستوى التّنظير؟، أما على مستوى التّطبيق فقد جاء حازم القرطاجيّ (ت684هـ) متفردا دون غيره بإشاراته القيّمة حول مفهوم التّماسك وذلك من خلال القصيدة التي أتى بها المتنبّي أَعَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ² ففصّل القول في البناء الداخلي للقصيدة، محلّلا بدقّة متناهية الصّلات العديدة الرّابطة بين مقاطعها يقول صلاح فضل وهو من الذين يعيّنون على الدّرس البلاغي العربي افتقاره إلى الشمولية «...اللهم باستثناء حالة فريدة لم تتكرر ينبغي الإشارة إليها والتّنبويه بها، وهي التي نجدها عند بلاغي مغربي متأخر هو (حازم القرطاجيّ)»³.

و لتوضيح ذلك نشير إلى أنّ القرطاجيّ قد تطرّق إلى مختلف الصّلات التي تربط بين أجزاء النصّ فتحقّق له تماسكه والتحامه، شارحا الكيفية التي يتمّ بها هذا التّماسك باستعمال الوسائل اللّغوية التي يعتمدها الشّاعر في سبيل تحقيق هذه الغاية، من خلال قصيدة المتنبّي التي ذكرناها سابقا حيث درسها دراسة شاملة من بدايتها إلى آخرها محلّلا العلاقة بين أجزائها على المستويين

1 - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج3، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1408هـ 1988م ص276.

2 - ديوان أبي الطيّب المتنبّي، أبو الطيب المتنبّي أحمد بن الحسين الكوفي، تص: عبد الوهاب عزام، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر ص464.

3 - مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، ص139.

النحوي والدلالي¹؛ وبهذا فقد جعل من الاتساق والتماسك كما يُطلق عليه المتقدمين أحد الركائز الأساسية في تحليلهم للنص الشعري آنذاك.

وحثي تتضح الرؤية نجد أنّ القرطاجني قد أشار إلى ضرورة الانتقال من الجملة إلى النص من جهة مع ضرورة الاطراد، والاتساق في النص حتى يحقق غايته وأهدافه من جهة أخرى، وذلك في قوله: «...لما يلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض، ومراعاة المناسبة ولطف التقلّة...»².

وما يمكننا قوله من خلال العرض المختصر لآراء البلاغي والناقد حازم القرطاجني واستنتاجاته التي استخلصها من دراسته لقصيدة المتنبي أنّه أدرك بنفاذ بصيرته في عصره، جُلّ العوامل التي تكفل للنص الشعري تماسكه واتساقه، وأنّ ما قام به من تحليل لا يكاد يختلف عمّا يقوم به دارسو الأدب المحدثون.

ومحصلنا من هذه الوقفة أنّه بغضّ النظر عن اختلاف المفاهيم المتعلقة بمصطلح الاتساق سواء ترجمته المتعددة بين الباحثين أو اختلاف المصطلح عند القدماء، فإنّ الاتساق معيار أساسي في تشكيل النصّية.

ولتحقيق هذه النصّية لابدّ من وجود آليات تحقّق قوّة البناء والنسج، سنتاولها بالشرح والتحليل.

3.1 وسائل الاتساق

يعتمد تحليل النصوص بمختلف أحجامها على رصد أوجه الاتساق (Cohesion) والانسجام (Coherence) والتفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى، وذلك باستعمال أهمّ طرق الرّبط والاستعانة بوسائل على المستوى اللغوي والدلالي وثالثه المستوى التداولي فالاتساق نتيجة حتمية لوضوح الدلالة لدى المتلقي.

1 - مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، ص 140.

2 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1981م، ص 364.

ولهذا درس اللغويون النص من منطلق أنه بنية لغوية، ويعني مفهوم البنية وجود علاقات متنوّعة متداخلة بين عناصر النص ومقاطعته، فالنص المتكامل يمكن أن تتباعد أجزاءه، ولكي يبقى محافظاً على ترابطه واتساقه يجب أن تشمل على أدوات تجعل هذه الأجزاء متماسكة لفظاً وبيانا يحكمها الجانب الدلالي، إذ يرى هارفيج النص « وحدات لغوية متتابعة مثبتة بسلاسل إضمار متّصلة»¹؛ وهذه الوحدات تقوم في ترابطها على أن كلّ متاليتين من الجمل في النص ترتبطان بأداة ربط.

ووفق هذه الرؤية احتلت أدوات الربط (**Les connecteurs**) بوجه خاص وبكلّ أنواعها موقعا متقدّما في التحليلات النصية، واتفق علماء النص بوجه عام على أنّها عنصر جوهري في الربط بين الجمل لتكون نصّا، فالجمل دون روابط بينها ليست نصّا، فعلى سبيل المثال حينما يستقبل متلقّ هاتين الجملتين: «ذهب خالد إلى المستشفى جاء إلى الوزارة»؛ سوف يشعر أنّ العلاقة الدلالية بين الجملتين فيها شيء من اللبس لا يمكن أن يرتفع إلّا بقولنا: «ذهب خالد إلى المستشفى، ثمّ جاء إلى الوزارة»، فهنا الجملة أتت مفكّكة الأوصال بسبب غياب أداة من أدوات الربط واتفقت حين حسن وضعها، فالربط هنا يصحبه تفكّك نحوي فقط، بل يصحبه أيضا تفكّك دلاليّ ويتعدّر فهمه بين قضايا أو مجموعة متواليات قضايا النص بسبب غياب أدوات الربط أو بسبب سوء استخدامها، فعلى سبيل المثال حين يستقبل متلقّ هاتين الجملتين في: «نام خالد وغيّرت الحبراء لون جلدها.» فعلى الرغم من أن تحقّق الربط النحوي، إلّا أنّ الربط الدلالي بين الجملتين مازال ملبسًا، ولا يمكن الربط بين القضيتين إلّا في إطار دلالي خاص يختلف عن الإطار النحوي-الدلالي السابق لعدم قدرته على إيضاح العلاقة بين الجملتين وبهذا يجب على النص أن يحتوي على مجموعة من الخصائص والعناصر التي تؤدّي إلى التماسك والانسجام.

وليس خافيا على أحد ما لأدوات الاتساق من بُعد مهمّ في دراسة النص، حيث تُعتبر كمعايير يمكن الاستناد إليها في الحكم على اتساق نصّ ما، حيث أنّ كلّ أداة من هذه الأدوات

1 - مدخل إلى علم اللغة النصي، فيهفيجر، ص 27.

تنتقل من فكرة مختلفة عن الأخرى في علاقتها مع النص، لكن تتفق جميعها في القيام بدور لغوي يُعدّ الأساس لتكوّن النص، وهذا ما أدركناه في الفقرة السابقة.

ويحصل الرّبط بين جمل النص ومقاطعها بجملة من الوسائل المختلفة في طبيعتها ووظائفها، ومردّ هذا الاختلاف تنوّع العلاقات الدّاخلية للنّص؛ والحقيقة أنّ اهتمام اللّسانيين لم يكن محصوراً فقط على: «أنواع الجمل وأدوات الرّبط والعطف والتّكرار والفصل والوصل والحذف والضّمائر الظّاهر منها والمستتر، وكذا أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والأفعال وأزمنته»¹، وإنّما على الدّور الذي تؤدّيه هذه الأدوات في تحقيق الوحدة الكلّية للنّص ككلّ موحد، وتجدد الإشارة ها هنا إلى أنّ الباحثين قد اختلفوا في تصنيف وسائل الاتساق، غير أنّ فجوة الاختلاف لم تكن عميقة وسيقتضي البحث تناول وسائل الاتساق النّصي عند علماء النّص، وذلك بالمقارنة والمقابلة بين جهود علماء النّص المحدثين وعلماء اللّغة العربية القدماء، وسيكون النموذج عبد القاهر الجرجاني في نظريته النّظم صاحب أشهر نظرية نصّية في التّراث العربي.

فعليه نجد أنّ علماء النّص يؤلّون التّماسك (الاتساق) اهتماماً كبيراً باعتباره خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكوّنة للنّص في علاقتها بما يُفهم من الجمل الأخرى ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها التّرابط²، بوجود علاقة بين أجزاء النّص وجملة فقراته، لفظية أم معنوية وعلى نحو النّص أن يكشف عن العلاقة المعنوية التي تأتي غالباً عن طريق الأدوات في ظاهر النّص وهذا حسب رأي هاليداي ورقية حسن فقد قالوا: «تظهر الرّوابط عن طريق الأدوات بين الجمل أكثر وضوحاً لأنّها المصدر الوحيد لخاصية النّص ممّا يعني عندهما أنّ الرّبط بالأدوات أكثر أهميّة من الرّبط المعنوي مع أنّهما اعترفا بأنّ التي تملك قوّة الرّبط في الواقع هي العلاقة المعنوية الضّمّنية فتناولوا الوسائل الأدواتيّة للتّرابط وهي الإحالة (Référéncé) والاستبدال (Substitution) والحذف³ (Ellipses).

1 - دراسات اللّسانيات التّطبيقية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعي، مصر، ط1، 2000م، ص 5.

2 - بلاغة الخطاب وعلم النّص، صلاح فضل، ص 263.

3 - اتّجاه جديد في الدّرس النّحوي، عفيفي، أحمد، نحو النّص، ص 100.

وهذا جعل كل من براون ويول ينتقداًهما بقولهما: بيدوا أنّهما يتحدّثان عن وحدات لغويّة ظاهرة في سطح الكلام لاعتن علاقات معنويّة ضمنيّة، وبعد دراسة مستفيضة خرج براون ويول بنتيجة يجعلان فيها الرّابط على مستوى الأدوات لا يضمن التّعريف على مجموعة الجمل كنص مندهشين من هاليداي وحسن بسبب اعترافهما بقوة التّرابط بالعلاقات المعنويّة الضّمنية مع إصرارهما على أنّ الذي يشكّل دعامة النّص هو وجود أدوات التّرابط¹.

وحقيقة القول أنّ الرّبط بالأدوات ظاهر في نحو الجملة ظهوراً ملحوظاً أمّا نحو النّص فينبغي أن يبحث عن الوسائل الفنيّة في بنية النّص الكلّيّة؛ وقد أشار إلى ذلك جون كوين John Queen الذي ينوّع الرّبط إلى صورتين:

- الرّبط الواضح: ويجري من خلال وسائل تركيبية قويّة يمكن أن تكون حرف عطف (الواو لكن، ... إلخ) أو ظرف (مع أن، ... إلخ).

- الرّبط التّضميني: ويتمّ من خلال تجاور بسيط وعلى هذا يمكن أن نقول:

- السّماء زرقاء والشمس تتألأ.

- السّماء زرقاء. الشمس تتألأ.

ونستنتج من ذلك أنّ العبارة الثّانية خاليّة من حرف العطف، وهي مع ذلك مساويّة في المعنى للعبارة الأولى، وفي الواقع فإنّ التّجاور أكثر وسائل الرّبط شيوعاً، فالرّبط جاء من قبيل التّجاور الذي آزرته نظريّة الحقول الدّلاليّة التي تربط بين السّماء والشمس (من حقل دلالي واحد) ممّا جعل التّرابط بالتّضمن واضحاً دون وجود حرف رابط في ظاهر النّص، كما لو تأملنا المثال الثّاني لأحسننا بعدم الترابط مع وجود الأداة، لكن هنالك تفكّك دلالي وتنافر فقولنا: الفتاة جميلة وماشيّة يجعلنا نوّكد على وجود الرّبط بين كلمتين في جملة واحدة باستعمال الواو، لكن لا توجد علاقة بين الجمال والمشى في هذا المثال فأحداها معنوية والأخرى حسّية ولا يجمع بينهما حقل دلالي واحد.

1 - تحليل الخطاب، براون ويول، ص 229.

لذا فجون كوين يقول: « إنَّ كلَّ ربط يستلزم وحدة إلى حدّ ما، وحدة في المعنى بين الأجزاء التي تربط بينها»¹، ممّا يؤدّي إلى الاتساق الدلالي والاهتمام بفكرة الحقل الدلالية لتساعدنا على الربط على مستوى الجملة أو النص للوصول إلى صورة ترتبط فيها المفاهيم وتتعلق فيها الأجزاء لتكوّن نصّاً.

غير أنّ روبرت آلا ندي بوجراند أشار إلى تجاهل كثير من اللغويين عند دراستهم للسبب لوسائل مثل الضميرية **Pronominalisation** والإبدال **Substitution** والحذف **Ellipses** بسبب محدودية الجمل واستبعاد الاعتماد على معرفة العالم نقص الاهتمام بالاتصال الحقيقي وعموماً عدم الارتياح إلى علم الدلالة².

كما انتقد بشدة بوني ويبر **Bonnie Weber** وجيري مرجان **Jerry Morgan** مفهومها لوسائل الترابط كما لو كانت تشير إلى كلمات سطحية ولكنه أشاد بالنظرة الرحبة للغوي رولاند هارفيج **Rowland Harvig**، لأنّ فكرة الإبدال عنده لا تقتصر على مجرد تضمّن الوسائل المعتادة كالضمائر والأدوات، ولكنها تشمل مجالا متنوعا من العلاقات المفهومية التي يركّز عليها روبرت آلا ندي بوجراند قائلا: « إنّه واحد من اللغويين القليلين الذين حرّروا استعمال المعرفة بالعالم في تعريف فكرة النصية والإبدال في أساسه، أي ارتباط بين مكونين من مكونات النص أو عالم النص»³.

وقد تحدّث كلٌّ من هاليداي ورقية حسن عن أدوات الاتساق في كتابهما «الاتساق في الإنجليزية حيث قام على خمس أدوات هي:

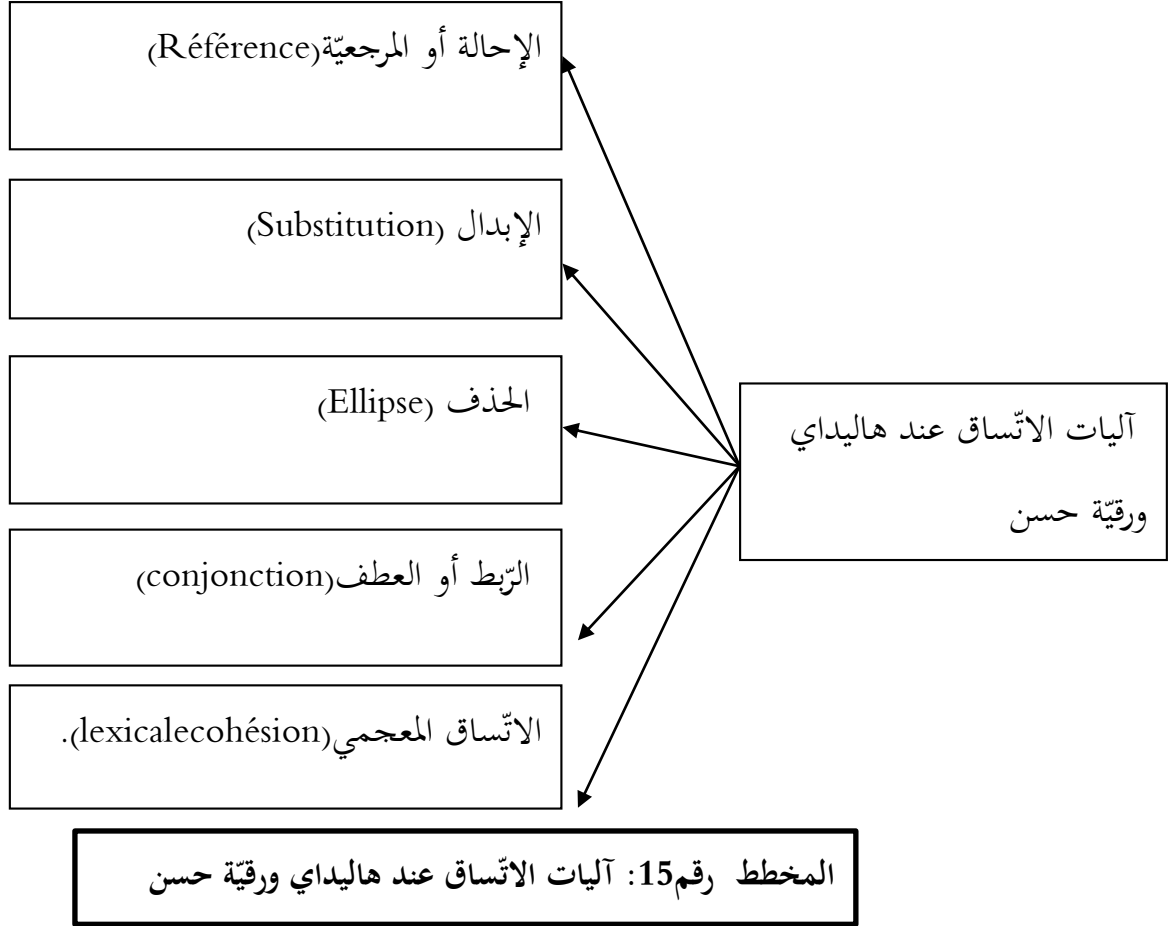
- 1- الإحالة أو المرجعية (Référence)
- 2- الإبدال (Substitution)
- 3- الحذف (Ellipse)

1 - تحليل الخطاب، براون ويول، ص 192.

2 - نحو النص، عفيفي، أحمد، ص 105

3 - المرجع نفسه، ص 211.

- 4- الرّبط أو العطف (conjonction)
5- الاتّساق المعجمي (lexicalecohésion).



1.3.1.1 الإحالة La référence

1.1.3.1 مفهوم الإحالة

تُعدّ الإحالة من أهمّ الآليات التي تتحقّق التحام النصّ وتماسكه، فهي القاعدة الأولى التي يعتمد عليها محلّل النصّ كي يُبيّن مدى تماسكه وذلك بالوصل بين أواخر مقطع ما، أو بين مختلف مقاطع النصّ غير أنّ العناصر المحيطة كيفما كان نوعها لا تكفي بذاتها من حيث التّأويل إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها؛ ولكنّه تعريف واسع شامل لم يحدّد طبيعة العنصر الإحالي.

وبتعريف أدقّ للإحالة فإنّها: «تتمثّل في عودة عناصر الملفوظ على عناصر أخرى نقدّها داخل النصّ أو في المقام»¹؛ وتطلق تسميّة (العناصر الإحاليّة) (**Anaphors**) على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلّة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النصّ، وهي تقوم على مبدأ التّماتل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، وهي لذلك تتميّز بالإحالة على المدى البعيد **cross-reference**²؛ بُعدا نصّيًا ومقاميًا، لأنّ عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري إمّا معجمي أو نصّي، جملة نصّيّة أو متواليّة جمل نصّيّة (مقطع)، أو مقاطع داخل عالم النصّ المبني من موضوع واحد، يُعتبر إحالة نصّيّة قريبة، ولكن ما عاد على عنصر إشاري في بعض موضوعات النصّ المكوّنة من أكثر من موضوع، فهنا إحالة نصّيّة بعيدة وأمّا عودة العنصر الإحالي على المقام، بمعنى خارج النصّ العام للإحالة فيه مقاميّة بعيدة، وسنفصل هذا في أنواع الإحالة.

وهكذا يتبيّن لنا أنّ الإحالة هي علاقة بين العبارات **Object** والأحداث **Event** والمواقف **Situations** في العالم الذي يدلّ عليه بالعبارات ذات الطّابع البدائلي في نصّ ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النصّ أمكن أن يقال عن هذه العبارات إنّها ذات إحالة مشتركة، ومع أنّ هناك أنواع كثيرة من الإحالة المشتركة، فإنّه قد اكتشف بأنّ الاشتراك في الإحالة من خلال الألفاظ الكنائيّة فقط، والألفاظ الكنائيّة من حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة، وبهذا تختلف الألفاظ الكنائيّة عن هذه العبارات بطرق نظاميّة³.

1 - أثر الاتساق في تماسك النصّ دراسة نصّيّة من خلال سورة يوسف، الهواوشة، محمود سليمان حسين، رسالة مقدّمة إلى عمادة الدّراسات العليا استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في التّحو والصرف، قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة مؤتة 2008م، ص 65.

2 - نسيح النصّ، الزناد، الأزهر، ص 118.

3 - النصّ والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ص 320.

وتُعتبر هذه الألفاظ الكنائية من حيث إمكانية التطبيق لها مدى أوسع، حيث تخضع لقيود على ورودها حتى لا يتحوّل الفهم إلى إشكال لا ضرورة له، وتُعدّ الضمائر أشهر أنواع من الكلمات الكنائية¹.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا النوع لاقى اهتماما بالغاً لدى النحاة العرب، وذلك عندما اشترطوا رجوع الضمير المطابق للاسم إذا كان بين الجملتين رابط²، كما اشترطوا أيضاً عودة الضمير على مرجع واحد سابق له، لأنّ هذا الأقرب في الكلام، وذلك لأنّ الضمائر كلّها لا تخلو من إبهام وغموض سواء للمتكلّم أو للمخاطب أم للغائب؛ وعليه فلا بد من شيء يزيل إبهامها ويفسّر غموضها.

و النحو العربي أيضاً عقد له باباً هو (ضمير الشان)، أو عودة الضمير على متأخر حيث يكون الضمير في صدر جملة بعده، تفسّر دلالاته وتوضّح المراد منه ومعناها معناه، وفي سبيل ذلك أعطى ابن هشام شروطاً لعودة هذا الضمير على متأخر³، والجدير بالذكر، أنّ النحاة شبّهوا الضمائر بالحروف، ولذلك كانت الضمائر البارزة تؤدّي وظيفتها في الربط كما تؤدّيها أدوات المعاني الرابطة لأنّ الضمير البارز يعتمد على إعادة الذكر، في حين تعتمد أدوات الربط على معانيها الوظيفية التي تحدّد نوع العلاقة المنشأة⁴، كما أنّ وجود الضمير يشير إلى تعلق الجملة الثانية بصاحب الضمير ولولا وجود الضمير لنشأ لبس في فهم الانفصال بين الجملتين⁵.

فالإحالة إذن من أهمّ عناصر الاتساق في ربط النص عند العرب أم عند علماء لسانيات النص وقد جمع الباحثان هاليداي ورقية حسن مفهوم الإحالة أيضاً في: الضمائر وأسماء الإشارة

1 - النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ص 320، 321.

2 - الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص 281.

3 - مغني اللبيب، ينظر ابن هشام الانصاري، (ت/ 761هـ)، تقدم أصيل بديع يعقوب، حسن جمد، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م / 1418 هـ، ص 205، 206.

4 نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لوخمان ط 1، 1997م، ص 152.

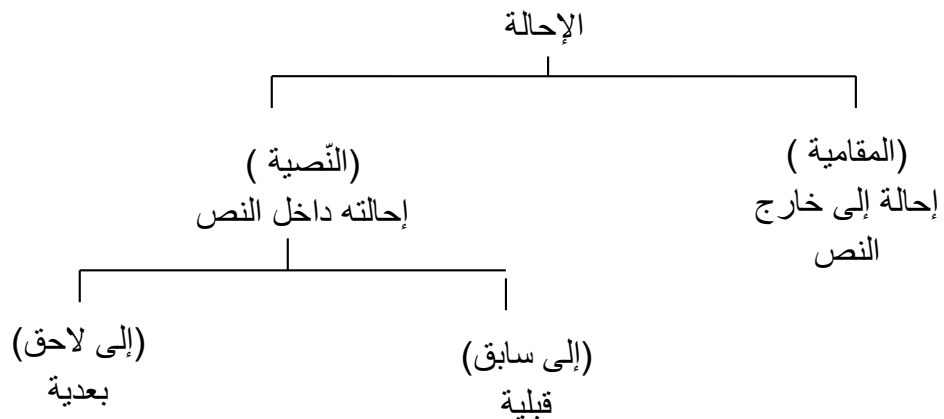
5 المرجع نفسه، ص 155.

وأدوات المقارنة والأسماء الموصولة، ومن ثمّ فالإحالة لا تخضع لقيود نحويّة إلا أنّها تخضع لقيود دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلاليّة بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، فالعلاقة إذن تُعدّ علاقة تطابقيّة تجعل النصّ متسقاً، لأنّ هذه الإحالة تربط خيوط هذا النصّ مع بعضه وعدم معرفة موضعها يجعل حلقاته مفقودة؛ وبالتالي يفقد النصّ نصيّته.

وبهذا تكون لهذه الإحالة جذور في نحونا العربي، كما نلمح اشتراكهم مع اللسانيين النصيين ومحلّي الخطاب في تبيّهم إلى دورها في إحداث الاتساق للنصّ. كان هذا عرض لمفاهيم الإحالة على النحو الذي قدّمه علماء لسانيات النصّ وتحليل الخطاب ومدى اتّصالها بالتراث العربي.

2.1.3.1. أنواع الإحالة

تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقاميّة (Situational) والإحالة النصّية (Textuel)، وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية (Anaphora) وإحالة بعدية (Cataphora) وقد وضع الباحثان رسماً يوضّح هذا التقسيم¹:



المخطط رقم 16: أقسام الإحالة عند هاليداي وحسن

1 مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص 17.

ويقول هاليداي ورقية حسن في هذا الصدد كقاعدة عامة يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية فإما إحالة خارج النص، أو إحالة داخل النص، وإذا كانت نصية يمكن أن تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق¹؛ وهذا ما سنبيّنه من خلال تحديد مفهوم كل نوع:

1.3.1.2.1 الإحالة المفاهيمية: Reference exophorique

هي إحالة خارج النص، أو إحالة إلى المقام إذ أنّها تربط اللغة بسياق المقام وتحدث نوعا من التفاعل بين النص والخطاب والموقف السياقي، فهي تعمل على إفهام النص وتأويله، وتخرج النص من حالة الانغلاق إلى حالة الانفتاح على عالم السياق والتداولية، و« تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بالسياق والمقام، إلا أنّها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر»²، ولكن تؤدّي إلى توسيع دلالة النص، إذ تساهم في التأويل لهذا النص وتعدّد الآراء والقراءات، فتزيد النص وضوحا دلاليا فهي تجمع كلّ الإحالات التي تعود على مفسّر دال على ذات ومتوقّرة في كلّ النصوص، وهذا لا يعني أنّها ضرورية³، ويطلق عليها أيضا إحالة إلى غير مذكور إذ يحيل فيها الضمير عادة إلى اسم سابق أو لاحق بدلا من تكرار الاسم نفسه، وهذا ما ذهب إليه ميرفي Murphy: « بأنّها تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمنا في النص الذي سبقه أو الذي يليه»⁴، وذلك بأن يعتمد معين في النص على عنصر آخر فالأول يفترض الثاني حيث أنّه لا يمكننا فكّ شفرته بنجاح إلا بالعودة إلى الثاني، لأن العناصر المحلية كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذا لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها⁵ وفهمها وتفسيرها حتّى يتمّ اتساق النص؛ وهنا معيار القصدية يكون حاضرا ليساعد المتلقّي على

1 - مدخل إلى انسجام الخطاب، خطاي، محمد، ص 17.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، بحيري، سعيد حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط، 1، 2004م ص 103، 104.

4 - مهارات التعرف على الترابط في النص، ربما سعد سعادة الجرف، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 7، ص 82.

5 - نسيج النص، الزناد، الأزهر، ص 118.

أن يلتقط منة الإشارات-عناصر الاتساق- ما يُعطي للنص/ الخطاب انسجامه فيكون بذلك نصًا ناضجًا منسجمًا غير ناقص للمتلقّي.

وحتى لا نقع في تكرار أمور سبق ذكرها، فإننا نشير بإيجاز إلى المثال البسيط الذي ورد عند هاليداي وحسن في كتاب الطبخ:

Wash and core six cooking apples, Put them into a fireproof dish.

اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضعها في صحن يقاوم النار. أحالت them في الجملة الثانية على الست تفاحات التي ذُكرت في الجملة الأولى، فكانت الوظيفة العائدية لها الفضل في تحقيق اتساق الجملتين، وشكّلت six cooking apples و them علاقة اتساقية نتج عنها كلّ موحد هو التسيج، كما توجد علاقات اتساقية هي الأخرى تساهم في نسيج النص وحتى أنّ استعمال الضمير لا يُعدّ الطريقة الوحيدة للتعبير عن الإحالة، يمكن أن يكون لدينا:

Wash and core six cooking apples, Put the apples into a fireproof dish.

اغسل وانزع نوى ست تفاحات للطبخ، ضع التفاحات في صحن يقاوم النار. العنصر **the apples** يقوم بوظيفة اتساقية وذلك من خلال تكرار كلمة **apples** مسبقة ب **the** كعلامة عائدية، فمن بين وظائف أداة التعريف (**définit article**) الإشارة إلى وجود تطابق إحالي مع شيء سابق.

بناء على ذلك فالإحالة المقامية (الخارجية) تعمل على خلق النص وتدعيم فكرته وتوضيحها وإثرائها على وجه العموم سواء بالتكرار أو بوظائف أداة التعريف، أو استعمال الضمير وغيرها فهي علاقة بسياق المقام الخارجي، فالإحالة المقامية جسر للتواصل الحضاري، وعنوان حياة النصوص¹.

1 - أثر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، الهاوشة، محمود سليمان حسين ص، 70.

1.3.1.2.2. الإحالة النصية (Endophora)

هي مستوى داخلي يختصّ بالنص المدروس، ويمثلها تركيب لغويّ يشير إلى جزء من عناصر النصّ التي ذكرت فيه صراحة أو ضمنا، لذا كان لها الدور الهام في خلق ترابط كثير من جزئيات النصّ ذلك أنّها تحيلنا إلى ملفوظ آخر داخل النصّ، ووجودها يبعد تشتت هذا النصّ، وهذا النوع من الإحالة لا بدّ على المتلقي العودة إلى عناصر المحال إليها فهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة فهي إحالة نصية، لأنّ « الضمائر التي تعمل داخل النصّ تحيل إحالات قبلية نمطية أو بعدية، وهي التي تعمل على الاتساق داخل النصّ وربط أجزائه ويندرج ضمنها ضمائر الغيبة أفرادا أو تثنية أو جمعا: هو، هي، هم، هنّ، هما...». وحين نتحدّث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة الشخص، فإنّ صيغة الغائب هي التي نقصد على الخصوص ويصدق كلّ ما قيل عن الضمائر المحيلة إلى الشخص على ضمائر الملكية¹؛ وهذه تنقسم بدورها إلى قسمين²:

- إحالة قبلية (Référence anaphorique)

وهي إحالة على السابق أو إحالة بالعودة، تعود على مفسّر سبق التّلفظ به³؛ تُوجّه القارئ أو المستمع إلى الرجوع إلى الجمل والخطابات السابقة حتى يتسنى له الفهم، وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثّل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النصّ قصد التأكيد، وهي الإحالة التكرارية (Epanaphora) وتمثّل الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة استعمالا في الكلام.

1 - لسانيات النصّ، خطابي، محمد، ص 18.

2 - نسيج النصّ، الزناد، الأزهر، ص 118.

3 - نحو النصّ، عفيفي، أحمد، ص 117.

- إحالة بعدية (Référence cataphorique)

وهي إحالة على اللاحق، أي عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري لاحق أو يكون مذكورا بعدها في النص، باستعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى سوف تستعمل في النص لاحقا، بحيث تعود على عنصر إشاري يذكر بعدها في النص ولاحقا عليها؛ وأبرز أبواب النحو العربي توضيحا لها ضمير الشأن¹، وكلّ هذا يوجه القارئ أو المستمع إلى قراءة جمل أو فقرات مذكورة لاحقا، بل تجرّ القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها. وتنفّر أدوات الاتساق الإحالية كما أسلفنا ذكرها إلى ثلاثة أنواع: الضمائر، وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة، وسيتناولها البحث على هذا الترتيب المشار إليه:

أ- الإحالة بالضمائر

للضمائر أهمية كبيرة بصفتها نائبة عن الأسماء والعبارات والجمل المتتالية، وتشكيل المعنى أو إبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص، فهي من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي، ممّا يدعو القارئ إلى البحث في مساحات النص، والنظر في العلاقات بين وحداته للعثور على ما يحيل عليه، « فالضمير مربوط دائما إلى المفسّر، بحكم كونه لا يستعمل بدونه في الغالب »²، وتنقسم الضمائر إلى قسمين:

- ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن... الخ، فالضمير الدال على المتكلم (أنا) والدال على المخاطب (أنت) يحيلان مباشرة على الخارج، أمّا الضمير (هو) فيحيل على الداخل وبهذا تتحقّق أول مقابلة في هذا القسم من الوحدات اللغوية.
- ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا...³.

بذلك يتبيّن أنّ الضمائر أهم أدوات الاتساق الإحالية، فهي أشبه بالخيط الذي تنتظم فيه حبّات العقد، ولذلك لا بدّ من أن يتحد المرجع مع الضمير حتّى يتمّ الاتساق ويتحقّق ذلك عبر

1 - علم اللغة النصّي، صبحي ابراهيم الفقي، ص 40.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - لسانيات النص، خطابي، محمد، ص 18

جانبين أساسيين هما؛ الجانب الموضوعي، والجانب الشكلي، ونفهم أنّ جانب الموضوع يأخذ الضمير « إلى عدم تفكك النص الواحد فوجوده في سياق الكلام إشارة واضحة إلى أنّ المتحدث عنه في بداية الكلام-على سبيل المثال- هو نفسه في وسطه أو آخره، وهو في الوقت نفسه جانب شكلي يهتدي القارئ من خلاله إلى رؤية ذلك الترابط، فالضمير وما يحيل إليه يعملان على تماسك النص»¹.

ومن الملاحظ دائماً أنّه لا يخلو نص من وجود ضمائر فهي لا تشير إلى أناس وأشياء فقط ولكنها تشير إلى فقرات ذكرت سابقاً؛ ومن خلال الدور المهم الإحالي النصي للضمائر يتبين أثر تقسيماتها فعندما تُقسّم إلى ضمائر ظاهرة ومستترة، ومن حيث الاتصال، إلى منفصلة ومتصلة ومن حيث الدلالة ضمائر الحضور وضمائر الغيبة، ومن حيث الجنس كذلك: مذكر(هو) ومؤنث (هي)، ومشارك (نحن)، ومن حيث العدد: الأفراد، التثنية والجمع، يكون قادراً على تخصيص العنصر الإشاري المحال عليه بدقة أكثر من الأسماء الإحالية، كأسماء الإشارة مثلاً.

وفيما يخصّ الضمائر بصفة عامة يرى لبقفي مثلاً: « أنّ الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى في سورة الفاتحة نوع من التكرار؛ ذلك أنّ الضمائر تحل محلّ الأسماء الظاهرة»²، وهو بذلك قد وسّع باب التكرار على حساب الإحالة، في حين أنّ الشاوش يرى: « عدم توسيع باب المقارنة حتّى لا تبتلع دور غيرها، ومرد هذه الاستدراكات عند الدارسين عدم ثبوت الأطر لنحو النص بعد»³.

ب- الإحالة بأسماء الإشارة

هي الآلية الثانية من آليات الاتساق الإحالية، ويذهب الباحثان هاليداي ورقية حسن إلى أنّ هناك عدّة إمكانيات لتصنيفها، إمّا حسب الظرفية: الزمان (الآن، غداً)، والمكان (هنا هناك)

1 - من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف)، العبد الله، مراد حميد عبد الله، مج 5، جامعة ذي قار، قسم البحث والتطوير، العراق، 2010م، ص 57.

2 - علم اللغة النصي، الفقهي، ص 129.

3 -أصول تحليل الخطاب، الشاوش، ص 130.

أو الانتقاء (هذا، هؤلاء) أو حسب البعد (ذاك، تلك) والقرب (هذه، هذا)، وقد أدخل (هاليداي ورقية حسن) في العناصر الإشارية أداة التعريف¹.

وتنتمي إحالة أسماء الإشارة إلى الكنائيات مثل الضمائر إذ المقصود بالكنائيات: الضمائر والإشارات والموصولات؛ فإذا كانت «الضمائر تحدد مشاركة الشخص في التواصل أو غيابها عنه فإن أسماء الإشارة... تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي مثلها لا تُفهم إلا إذا رُبطت بما تُشير إليه»²؛ إذ ترتبط أسماء الإشارة بالإبهام، وهذا الإبهام بحاجة لوجود ما يزيله فأسماء الإشارة لا تؤدي المعنى منفردة وإنما تحتاج إلى مفسر أو موضح هو المشار إليه، فهي مثل الضمائر لا تفسر إحالتها إلا إذا ارتبطت بما تشير إليه وإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخص في التواصل أو غيابها عنه فإن أسماء الإشارة (...) تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي تماماً مثلها لا تُفهم إلا إذا رُبطت بما تشير إليه؛ وتقوم أسماء الإشارة بالربط القبلي والبعدي، وهي تقوم بشئ أصنافها بإحالة القبليّة؛ بمعنى أنّها تربط جزءاً بجزء سابق ومن ثمّ تسهم في اتساق النص³.

وقد قسم كارل بالر **Karl Baller** العبارات الإشارية (deictic expressions) حسب العناصر التالية الشئ المكان، الشخص، الزمان، اليوم، الحركة، وصيغة الفعل، وتندرج كلّها في إطار الأبعاد الإشارية (deictic dimensions).

وهي تتمثل في الجدول التالي⁴:

1 - إشكالات النص، جمعان، بن عبد الكريم، ص 348، 349.

2 - نسيج النص، الزناد، الأزهر، ص 117، 118.

3 - اللغة والمعنى والسياق، لاينز، جون، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م ص19.

4 - Holger Diessel, Demonstratives in use and grammar, Max planck, institute for evolutionary anthropology, p.04.

نقلا عن بلوحت شريفة، الإحالة. www.unirsm.sm/dcom/2003/functional/abstract/diessel.

دراسة نظرية، ص26.

البعيد	قريب	البعد
that (ذلك)	This هذا	شيء
There (هناك)	here (هنا)	مكان
you (أنت)	I (أنا)	شخص
then (بعدئذ)	now (الآن)	زمان
yesterday (أمس)/ tomorrow (غدا)	today (اليوم)	يوم
go (اذهب)	come (تعال)	حركة
past (الماضي) / future (المستقبل)	present (الحاضر)	صيغة فعل

الجدول رقم 03: التّعابير الإشاريّة في الإنجليزيّة

حدّد كارل بالر ثلاثة أطر للإحالة، وهي كالتالي¹:

1- مقام الكلام المباشر الذي يحيط بالمتكلمين.

2- المقام الخيالي الموجود في السرد والوصف.

3- البعد الخطّي للخطاب المتواصل.

واعتماداً على هذه الأطر الثلاثة، ميّز بين ثلاثة استعمالات، وهي:

1- deixis ad oculus أي الإشارة في العالم الخارجي

2- deixis am phatasma أي الإشارة في المقام الخيالي

3- anaphoric deixis (الإشارية العائدية)

1 - Holger Diessel, Demonstratives in use and grammar evolutionary, p.27

قامت ديرين أوكلي بتحليل نظرية كارل بالر وقارنتها بنظرية هاليداي وحسن على ضوء ما جاء في كتاب¹ Cohesion in English، حيث استخلصت أن:

Endophora عند هاليداي وهو بمعنى الإحالة الداخليّة يُقابل anaphora عند كارل بالر و exophora أي الإحالة الخارجيّة يُقابل كل من ad oculus² و am phantasma².

1.3.1.3.1 الإحالة بالمقارنة

لقد اعتبر الباحثان هاليداي وريقة حسن المقارنة أحد أدوات الاتساق إلى جانب الإشارة والضّمائر، فهي تعمل أيضا على ترابط النصّ واتّساقه، تُبنى على طرفين أحدهما يقوي الآخر، المقارنة «وجود عنصرين يقارن النصّ بينهما وتنقسم إلى المطابقة والتشابه، وتقوم على ألفاظ من مثل وصف الشيء بأنه شيء آخر أو يُماثله أو يوازيه، وبعضها يقوم على المخالفة كأن تقول يضاد أو يعاكس أو أفضل أو أكبر أو أجمل³»؛ وقد صنّفا المقارنة إلى صنفين⁴:

- عامة: يتفرع منها التّطابق، ويتمّ باستعمال عناصر مثل: (Same...نفسه)، والتّشابه: وفيه تستعمل عناصر مثل: (Similar...متشابه)، والاختلاف: باستعمال عناصر مثل: (Other Otherwise...، آخر بطريقة أخرى).

- خاصة: تتفرع إلى كميّة تتمّ بعناصر مثل: (Mor...أكثر) وكيفيّة (أجمل من، جميل...). وتقوم بوظائف اتّساقية تربط بين أجزاء النصّ.

وقد ذكر الباحثان أنّ نفس المبادئ التي تعمل في أنواع الإحالة الأخرى، تعمل في المقارنة أيضا⁵. ممّا سبق نستشف أنّ الضمير واسم الإشارة والمقارنة كلمات قد ساعدت كل من يستعمل النصّ على الاحتفاظ بمحتواه من دون حاجة منه لإعادة ذكر كلّ شيء بالتّفصيل.

1-Le problème de l'anaphore sans antécédent , Dairine O'Kelly, Cynos Vol. p23

2 - الإحالة دراسة نظريّة، بلحوت، شريفة، ص28.

3 - لسانيات النص، خطابي، محمد، ص 19.

4 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5 - نفسه، الصفحة نفسها.

2.3.1. الاستبدال (Substitution)

يعرّف عادةً بأنه عملية من عمليات التماسك النصي التي تتم في المستوى التحويلي والمعجمي بين كلمات أو عبارات من النص، ويكون بتعويض عنصر لغوي في النص بعنصر آخر فهناك إذن استمرارية في الدلالة (أي وجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة) ويستخلص من كونه عملية تتم داخل النص أنه نصي، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية¹؛ أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم.

ويعرّفه النصيون بقولهم: « هو إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النص، ويُسمى التعبير الأول من التعبيرين (المنقول) المستبدل منه والآخر الذي حلّ محله المستبدل به، وإذا وقع المستبدل منه، والمستبدل به في مواقع نصية متوالية فأثما يقعان حسب هارفيج في علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض»²؛ فإذا كانت « العلاقة بين المحيل والمحال عليه علاقة تطابق، فإنّ العلاقة بين المستبدل والمستبدل علاقة تقابل»³.

وفي هذا محمد الأخضر الصيحي يذكر مثالا عن الاستبدال في كتابه، حيث يقول: ومن أمثلة الاستبدال المعجمي العبارة التالية: «سيارتي قديمة يجب أن أشتري أخرى جديدة»؛ فكلمة «أخرى» عوضت كلمة «سيارة» وقامت مقامها، مما زاد في تعلق الجملة الثانية بالأولى، وهذا ما يمكن أيّ كاتب من عرض أفكاره دون تكرار نفس الكلمات، ودون استعمال مفرد للضمائر، الأمر الذي ينعكس سلبيًا على مقروئية النص.

كما يُعدّ الاستبدال من أهم عناصر الاتساق النصي لما يحققه من التلاحم والاستمرارية في النص وهو مصدر أساسي شأنه في ذلك شأن الإحالة إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم على المستوى التحويلي المعجمي داخل النص (lexico grammatical)، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، إضافة إلى هذا فإنّ معظم حالاته قبلية وذلك أنّ العلاقة بين الكلمات

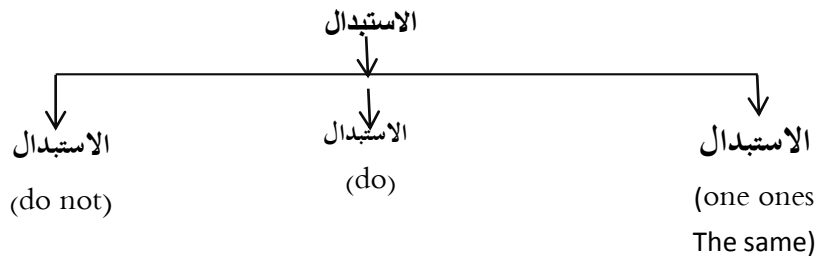
1 - لسانيات النص، خطابي، محمد، ص19.

2 - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، النجار، نادية، مجلة علوم اللغة، مج10، ع02، 2007م، ص19.

3 - محاضرات في لسانيات النص، حمداوي، جميل، شبكة الألوكة للنشر، ط1، 2015م، ص73 بتصرف.

فيه تكون بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدّم، كما يرى بعض الباحثين أن الاستبدال يلتقي من الناحية الإجرائية مع عنصر الحذف، حيث أنّ لهما نفس الدور في الاتساق، فالحذف يمكن أن نقول عنه أنّ شكل من أشكال الاستبدال، إذ إنّ المادة اللغوية فيه تستبدل بلا شيء وكلاهما علاقة على المستوى النحوي المعجمي؛ فالحذف في هذا المجال يُعدّ نوعاً من أنواع الاستبدال إذ يمكن أن يعرف على أنّه استبدال بدرجة الصّفر¹؛ ويُشار إلى « أنّ العلاقة بين الاستبدال والحذف هي علاقة التّضمين فالاستبدال يتضمّن الحذف»².

ويذهب كل من هاليداي ورقية حسن إلى أنّ الاستبدال علاقة نحوية بين الكلمات أكثر من كونها بين المعاني، وعلى هذا يقسمان أنواع الاستبدال على أساس الوظيفة النحوية لعنصر الاستبدال وهي: (الاسم والفعل والجملة)، ووفقاً لهذا فالأنواع الثلاثة للاستبدال هي: استبدال اسمي واستبدال فعلي، واستبدال قولي³. وهذا المخطط يبيّن ذلك:



المخطط رقم 17: أنواع الاستبدال

الاستبدال الاسمي: Substitution Nominale

هو أن تحلّ مجموعة من الأسماء محلّ أخرى مؤدّية وظيفته التركيبية، ويتمّ بواسطة one – ones في حالة الجمع - و Same. ويُستعمل كل من one و ones كبديل لعنصر يُعتبر الكلمة الرئيسية في المجموعة الاسمية.

فمثال ما لا يمكن أن يكون فيه ones معوّضاً لأنّه لا يمكن عدّه.

1 - لسانيات النص، خطابي، محمد، ص 20.

2 - علم لغة النص، عزة، شبل، ص 113.

3 - نحو النص، عفيفي، أحمد، ص 123، 124.

(3.7a) This biscuits are stale. Get some fresh ones.

« هذا البسكويت ليس كلّه جيّدا. خذ بعض الجيّد منه »

وفي الحالات التي يتحقّق فيها الاستبدال، فإن العبارة المستبدلة تميّز عن العبارة المستبدلة؛ ويمكن أن يكون أن تكون الأولى مجموعة جزئية من هذه الأخيرة كما هو الحال في:

(3.8 c) Which kind of engines do you want? ones with whistles.

Or ones without?

أي نوع من القاطرات تريد؟ التي بالصفارات أو التي بدونها.

كما يمكن أن يكون مجرد إعادة تعريف كما بيّنه المثال:

Do you remember that thunderstorm we had the last time.

We were here? That was a terrifying one.

« أتذكر تلك العاصفة التي ضربتنا في الماضي؟ لقد كانت واحدة مرعبة »¹.

ويقول مفتاح بن عروس: « إنّ خاصيّة تفارق السياقات في الاستبدال بين المبدل به والمبدل تميّز ظاهرة الاستبدال الاسمي عن ظاهرة الإحالة. ففي حين أنّ الإحالة تشترط المحافظة على وحدة الإحالة (l'identité référentielle) بين الضمير أو اسم الإشارة والعبارة المفترضة التي يحيل عليها، فإنّ الاستبدال الاسمي يقع فيه دائما إعادة تعريف (redéfinition) أو إعادة تحديد (redétermination) للمحيل عليه وهذا ما يبرّر غياب الاستبدال في الأعلام »².

ولكن هناك حالات في الإنجليزية تجيء فيها كلمة ONE ولكنها لا تقوم بدور اتّساق لأنها ببساطة لا تعدّ عنصرا مستبدلا، فقد تكون ضميرا (مثل they, you, we أو عددا (1))، أو أداة تنكير... الخ؛ أمّا العنصر Same فيكون مسبوqa بأداة التعريف the ويستعمل كبديل لمجموعة اسميّة.

1 - الاتساق والانسجام في القرآن، بن عروس، مفتاح، ص 172.

2 - المرجع نفسه، ص 173.

2.2.3.1. الاستبدال الفعلي (Substitution Verbale)

الاستبدال الفعلي: « هو أن يحلّ الفعل محلّ آخر مؤدّيًا وظيفته التركيبية ؛ وهو الذي «يعبّر عنه بالفعل البديل/ الكنائي (فعل)، (...). حيث يأتي إضماراً لفعل أو لحدث معيّن أو عبارة فعلية ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل/ العبارة الفعلية الأكثر تحديداً»¹.

وحسب هاليداي فإنّ الاستبدال الفعلي يتحقّق باستخدام فعل وما يتعلّق به من عناصر، ومن يقوم بهذا الدوّ غالباً هو الفعل **Do**، وهذا الفعل يقوم بربط الجملتين ليحقّق علاقة اتّساقية ويمكن أن يعوّض فعلاً أو فعلاً وتوابعه، ولكن لا يمكن أبداً أن يكون الفاعل ضمن هذا الجزء المبدّل ولذلك يسمّيه هاليداي بالاستبدال الفعلي، ويُعطي مثالا لذلك:

A-...The words did not com the same as they used to do.

B- I don't **know the meaning of half those long words**, and

What's more, I don't believe you do either!

أ-...الكلمات لا تأتي مثلما يستعملونها.

ب- أنا لا أعرف معنى نصف هذه الكلمات الطويلة، وما أكثرها. أنا لا أصدّقك مهما فعلت.

ففي المثال الأوّل يرتبط الفعل **Do** بالفعل **come** وفي المثال الثاني يرتبط **do** بالفعل ومتعلقاته

know the meaning of half those long words.

غير أنّ do في المثالين لا يلعب دوراً في الاتّساق لأنّه يندرج ضمن الجملة وهو بذلك لا يحقّق علاقة بين جملة وجملة. ولكن يغلب على الاستبدال الفعلي تجاوز حدود الجملة الواحدة ليحقّق بذلك العلاقات الاتّساقية كما هو الحال:

He never really succeded in his ambitions.He might have done, one felt, had it not been for the restlessness of his nature.

واقعيًا هو لم ينجح قط في طموحاته. وبإمكانه أن ينجح.

إحساس واحد، لم يجد مكان راحته في طبيعته.

1 - علم لغة النص، عزّة، شبل، ص 114.

فالفعل do هنا يرتبط استدلاليًا بـ succeeded in his ambitions وبذلك فهو يرتبط الجملتين ويحقق علاقة اتساقية ومن ثم يشبه الاستبدال الاسمي الذي تقوم به الوحدة one. وإذا كان one يرتبط استدلاليًا دائمًا باسم، فإن do يرتبط بفعل أو بفعل وما يتعلق به من عناصر كما تبينه الأمثلة التي أوردناها.

1.3.2.3.1 الاستبدال القولبي أو الجملي (substitution Clausal)

الاستبدال القولبي: « هو الاستبدال الذي يكون استبدال الجملة بكاملها إذ تقع أولاً جملة الاستبدال ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة»¹، والاستبدال بهذا المعنى بديل في النص يتضمن استمرارية للعنصر المستبدل أولاً، لأنّ العنصر البديل لا يفهم من دون العودة إلى متعلّق به من قبل في النص، والشرط هنا أن يتم استبدال الوحدة اللغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة حيث يجب أن يدل كلا الشكّلين اللغويين على الشيء غير اللغوي في نفسه، وانطلاقاً من هذه العلاقة يستمدّ الاستبدال قيمته الاتساقية.

ولو رجعنا إلى هاليداي نجده يضع خلافاً بين الاستبدال الفعلي **verbale Substitution** والاستبدال الجملي **clausal substitution**، فرأيه أنّ الفعل do يمكن أن يعوّض فعلاً أو فعلاً وتوابعه، ولكن لا يمكنه نهائياً أن يكون الفاعل ضمن هذا الجزء المبدّل، أمّا الاستبدال الجملي فيأتي على كلّ الجملة أي عناصر الجملة بما في ذلك الفاعل، يقول هاليداي وحسن في هذا السياق « يوجد نوع آخر من الاستبدال حيث لا يكون المفترض من العناصر هو عنصر من الجملة ولكن الجملة كلّها»².

ويذكر العنصرين اللذين يحقّقان عملية الاستبدال القولبي بـ: so و not وهما يشبهان الوحدتين no (لا) و yes (نعم). ومثّل لذلك:

(3.96c) Is there going to be an earthquake? It says so.

1 - علم لغة النص، عزة شبل، ص 115.

2 - الاتساق والانسجام في القرآن، بن عروس، مفتاح، ص 177.

«هل تتجه إلى أن تكون هزة أرضية؟ قالت هذا.» فso يكون

عوضاً للجمله thereis going to be an earthquake ويوجد في جملة ثانية ممّا يجعله يلعب دوراً اتساقياً ويحقق بذلك التّسّيح.

كما يشير هاليداي ورقية حسن إلى أنّ هذا النوع من الاستبدال يتمّ في ثلاث أنواع من الجمل¹:

- الخطاب المنقول.

- الجملة الشرطية.

- الجمل الموجهة.

وبعد أن بيّنا ما تطرّق إليه مفتاح بن عروس، وحتّى لا نقع في الإسهاب، خشية تكرار أمور سبق ذكرها عنده، فإننا أشرنا بإيجاز إلى مختلف أنواع الاستبدال مع الأمثلة التوضيحية التي ذكرها لنصل في الأخير أنّ الاستبدال يؤدّي إلى الإيجاز ومن ثمّ يسهّل المعنى ويقوّيه للقارئ، كما يحقق تنوعاً في الشكل على مستوى أنواعه من استبدال اسمي، واستبدال فعلي، إلى استبدال قولي ويُسهم في تحقيق الترابط والتواصل النصّي واتساقه، وهذا من خلال إسهام كلّ من (الفعل والفاعل والضمير والتّركيب والقول وغيرها) بدور فعّال لتبيّن أثرها في الاتساق النصّي من جهة، وتبيّن للمتلقّي النصّ والمعنى المراد منه من جهة أخرى.

1.3.3. الحذف (Ellipse)

الحذف أحد صور التماسك النّحوي النصّي حيث حدّد تعريفه الباحثان هاليداي ورقية حسن بأنّه: «علاقة داخل النصّ وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النصّ السابق وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية»²، أمّا روبرت آلا ندي بوجراند فقد أطلق على الحذف اسم (الاكتفاء المبني العدمي) أي أنّ البنّيات السّطحية في النّصوص غير مكتملة غالباً، بعكس ما يبدو في تقدير الناظر، فيعرّفه بقوله: «استبعاد العبارات السّطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم

1 - الاتساق والانسجام في القرآن، بن عروس، مفتاح، ص 177.

2 - مدخل إلى انسجام النصّ، خطّابي، محمد، ص 21.

في الذهن أو يوسع، أو أن يعدّل بواسطة العبارات التّاقصة، وأطلق عليه تسمية الاكتفاء بالمبنى العدمي¹ فالحذف هنا مرتبط بالنّص لا الجملة حيث تكون العلاقة داخل الجملة الواحدة علاقة بنيوية لا يؤدي الحذف فيها إلى تماسك من نوع ما، ومن ثم يكون الحذف واقعا بين جملتين حيث نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يبحث المتلقي عنه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو في النّص السابق.

أما الحذف في تراثنا العربي الإسلامي القديم فقد تناوله اللّغويون في مباحث علم المعاني كسياقات الكلام التي يرد فيها حذف أحد أطراف الإسناد²، والحذف عند اللّغويين ينطلق من قاعدة تسمى (أصل الوضع) وهي تفرض أنّ التركيب لا بد أنّ يشتمل في أبسط صورة على طرفين يقال لهما المسند والمسند عليه ويُطلق عليه الفضلة أو القيد فإذا ما اقتضى المقام وطبيعة الكلام الاستغناء عن شيء منها ساعدهم اعتبار ذلك الأصل على معرفة المستغنى عنه وتقديره وبيان مواضعه، وقد اصطلحت البلاغة العربية على الحذف بمصطلحات عدة منها: الإيجاز والإشارة والاختصار وقسمته إيجاز حذف وإيجاز قصر³؛ « واعلم أنّ العرب... إلى الإيجاز أميل وعن الإكثار أبعده⁴ ».

ومّا تجدر الإشارة إليه أيضا أنّ الجرجاني أولى أهميّة كبيرة للحذف - سنتطرق لها بالشرح والتحليل في الفصل التّطبيقي -، فيقول هو: « باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسّحر؛ فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبين⁵؛ فيجعل بهذا للحذف أكبر

1 - مدخل إلى انسجام النص، خطابي، محمد، ص 27.

2 - Cohesion in English language. Halliday, M. A.K and R Hassan, optic, p 144.

3 - البلاغة بين عهدين في ظلال الذوق الأدبي وتحت سلطان العلم النظري، أحمد محمد نايل، دار الفكر العربي، القاهرة 1994م ص 151.

4 - الخصائص، ابن جيّ، تحقيق الشيخ محمد علي النجار، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ج، 1، 1987م، ص 260.

5 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 146.

فائدة من فائدة الذكر أحيانا كثيرة « إذا كانت بعض العناصر النحويّة تؤثر بوجودها فهناك بعضها المحذوف الذي يؤدّي حذفه إلى تأثير آخر»¹.

وبعد هذه اللّمحة القصيرة لما أتى به المتقدّمون من العرب نجد أنّه: « لا فرق من حيث التعريف اللّغوي العربي وبين لسانيات النّص؛ فما مرّ علينا من تعريف روبرت آلا ندي بوجراندي للحذف هو نفسه ما ثبت عند اللّغويين القداماء، إنّما الفارق بينهما في نوع الحذف؛ فأنواع الحذف عند القدماء لا تؤدّي وظيفة السبك التّصي كُلهما؛ بل الذي يؤدّي هذه الوظيفة هو نوع واحد فقط هو ما عرف عندهم ب (الاحتباك)؛ فالحذف هو اعتداد بالمبنى العدمي»².

والحذف باعتباره وسيلة من وسائل التماسك لا يختلف عن الاستبدال وهما متشابهان جدّا غير أنّ الحذف استبدال من الصفر³؛ لأنّ الحذف - كما يصفه بعض الدارسين - أي أن المستبدل به لا يذكر وإنّما يترك فراغا يملأه القارئ أو السامع باعتماده على النّص السّابق⁴؛ ويلجأ إليه مستعملو اللّغة طلبا للحقّة ولعلم المخاطب به، وغالبا ما يكون المحذوف قد ورد ذكره في الكلام السّابق فتستثقل إعاداته⁵، لكن شرطه في اللّغة أن « لا يتمّ إلّا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مُعنيّا في الدّلالة، كافيا في أداء المعنى. وقد يحذف أحد العناصر لأنّ هناك قرائن معنويّة أو مقالّيّة تومئ إليه وتدلّ عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره»⁶، وهذا إن دلّ فإنه يدلّ على أن كلّ قول محذوف من نص ما، لو بقي لشكّل عدم توازن في هذا النّص، لأنّه حتما سيقع الحشو والإطناب لا فائدة من ورائهما، يؤدّي حتما إلى ذكر معلومات فائضة، النّص في غنى عنها

1 - الإبداع الموازي، حماسة، محمد عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنّشر، ط، 1، 2001م، ص 58.

2 - السّبك النّصي في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في سورة الأنعام، أحمد حسين حيال، الجامعة المستنصرية للنّشر، العراق 2001، ص 86، 85.

3 - Cohésion in English Halliday, M. A.K and R Hassan, optic, p142.

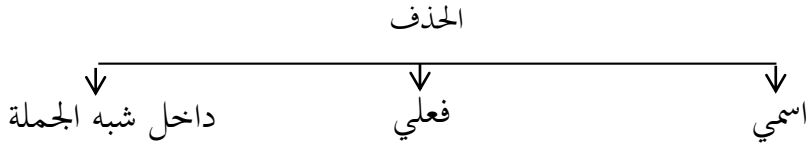
4 - ظاهرة الحذف في الدرس اللّغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعيّة للطباعة والنّشر، الإسكندريّة، 1998م، ص 6.

5 - المرجع نفسه، ص 144، 146.

6 - بناء الجملة العربيّة، حماسة، محمد عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنّشر، القاهرة، مصر، 2003م، ص 208.

خاصة إذا كان يشتمل على قرائن حالية أو مقامية تغني عنها « والذي يُساعد على كثرة الحذف في النصوص دور الجمل المنفصلة إذا كان النص بناءً يقوم على التماسك والاتساق وهذان العاملان يُساعدان منسئ النص على الاختصار وعدم الإحالة بذكر معلومات فائضة»¹.

وينقسم الحذف إلى ثلاثة أقسام²:



المخطط رقم 18: أنواع الحذف

1.3.3.1 الحذف الاسمي (Ellipse nominale)

وهو حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل:

Which hat will you wear? - This is the best

(آية قبة سترتدي؟ - هذه (هي) الأفضل)

ويشير هاليداي ورقية حسن إلى أنّ الحذف الاسمي لا يقع إلا في الأسماء المشتركة (Noms communs)³، فهو في أغلب الأحيان يرد في الإجابة عن الأسئلة والمجموعة الاسمية يجب أن تحلل وفق بعدين: بعد منطقي وبعد تجريبي أو عملي، من حيث أنّ كل مكّون يعكس نوعاً خاصاً من التجربة.

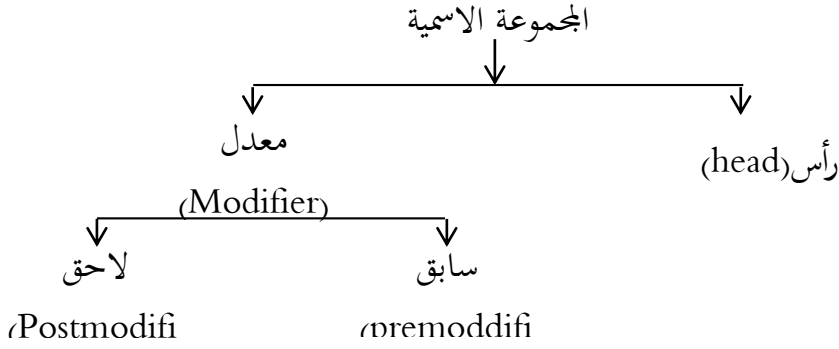
فمن ناحية البعد المنطقي تحتوي المجموعة الاسمية على مكّونين: مكّون رأسي (head) ومكّون معدل (modifier) يمكن أن يحتوي المعدل على عناصر تسبق وعناصر تلحق المكّون الرأسي وفي هذه الحالة تتكلم على معدّل سابق ومعدّل لاحق⁴؛ وهذا المخطط يُبين ذلك:

1 - الدلالة والتحو، صلاح الدين صالح حسنين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2005م، ص 253.

2 - نحو النص، عفيفي، أحمد، ص 127.

3 - لسانيات النص، خطاي، محمد، ص 22.

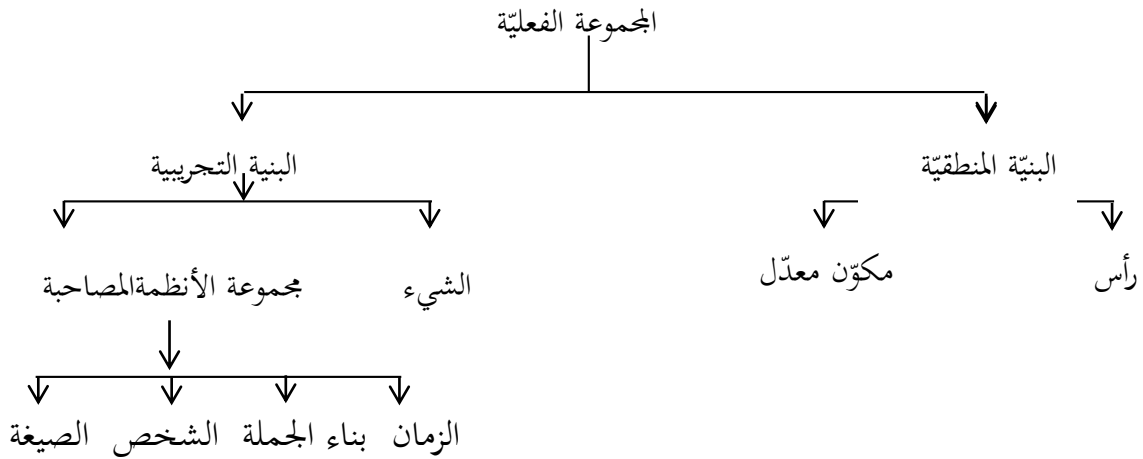
4 - الاتساق والانسجام في القرآن، بن عروس، مفتاح، ص 180.



المخطط رقم 19: مكونات الجملة الاسمية

2.3.3.1. الحذف الفعلي (Ellipse verbale)

وهو حذف داخل المجموعة الفعلية، أي أنّ المحذوف يكون عنصراً فعلياً (يتم بحذف فعل داخل مركب فعل)، وفي هذا يقول هاليداي ورقية حسن أنّ بنية المجموعة الفعلية تتكوّن في بعدها المنطقي من رأس ومكوّن معدل وتتكوّن البنية التجريبية من شيء (يتمّ التعبير عنه بواسطة الفعل المعجمي) ومجموعة من الأنظمة (الزّمان، بناء الجملة للمعلوم أو المجهول، الشّخص الصيغة (mode)، ويمكن تمثيل هاتين البنيتين هكذا¹:



المخطط رقم 20: مكونات الجملة الفعلية

1 - الاتساق والانسجام في القرآن، بن عروس، مفتاح، ص 182.

وما ذكر مفتاح بن عروس في رسالاته أنّ الحذف يمكن له أن يقع على الفعل المعجمي كما يمكن أن يقع على الأداة الفعلية، ففي الحالة الأولى يكون هذا الحذف من اليمين وتكون بهذا كل مجموعة فعلية لا تحتوي على الفعل المعجمي دالة على حذف، ومثّل لذلك ب:

«هل سيأتي جون» (4-58) - Is John going to come?

«هو يقدر. يمكن أن يأتي ولكنه لا يقدر» -He might.He was to, but he may not

«يجب، إذ أراد يؤخذ اسمه بعين الاعتبار» -He should, if he want his name

to be considered.

ف should, may not, waste, might هي مجموعات فعلية دالة على الحذف لأنها تتكوّن من أداة موجهة (modal operator) ويمكن إكمالها بالفعل com. وهذا يعني أن الحذف يقع من اليمين لأنّ أصل البناء هكذا:

-He **was to** come. -يمكن أن يأتي

- He **may not** com. -لا يقدر أن يأتي

- He come **should**. -يجب أن يأتي

3.3.3.1 الحذف داخل شبه الجملة (الجملي) (Ellipseclausal)

تُعبّر الجملة عن أنواع الوظائف التبليغية المختلفة، إذ من الممكن أن تكون سؤالاً أو جواباً أو غير ذلك، مثل: كم ثمنه؟ عشرون ديناراً. والتقدير ثمنه عشرون ديناراً¹؛ وهي بذلك تنقسم إلى جزأين هما: العنصر الموجه (Modal element) والعنصر الجملي propositionl element وهذا مثال توضيحي لهذا القسم:

البطة كانت ذاهبة The duck was going to plant a row of poplars (4.96) لغرس بدور

شجرة الحور العنصر الجملي العنصر الموجه

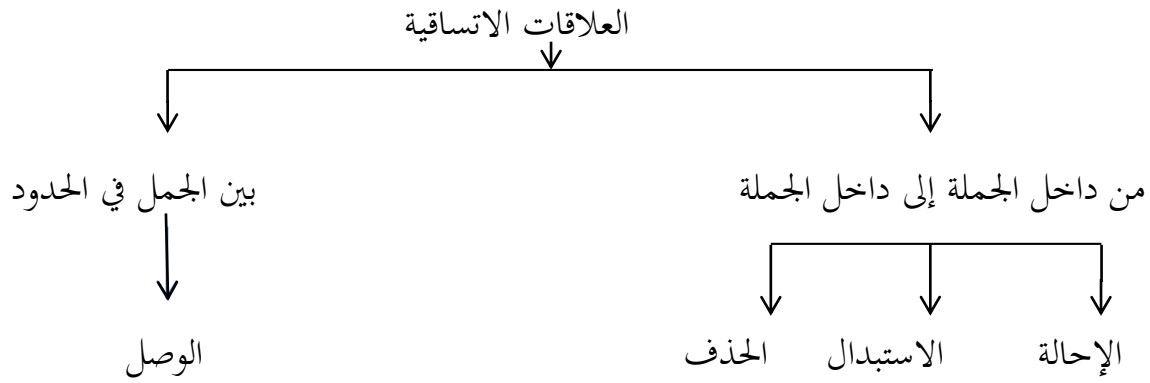
1 - نحو النص، عفيفي، أحمد، ص 127، وانظر أيضاً: لسانيات النص، خطابي، ص 23.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحذف إجراء يوجد بكثرة في اللغة المنطوقة، أي يتوسل به مستعملي اللغة أثناء حديثهم، ولو تأملنا في كلامنا لوجدنا أنّ: «البنيات السطحية في النص غير مكتملة غالبا بعكس ما قد يبدو في تقدير الناظر»¹، أو المتلقي الذي لا يشعر بعدم اكتمال هذا الوجود «قرائن معنوية أو مقاليتية تومئ إلى (المحذوف) وتدلل عليه»².

ومانستشفه من خلال ما سبق أنّ الحذف آلية المنتج للنص، بحيث يجعل هذا الأخير متماسكا منطقيًا سواء بحذف بعض الجمل أو بعض المعلومات، وإبقاء بعضها الآخر مع مراعاة العلاقة بين الذي حُذف والذي تُرك، وهنا يكمن إبداع المتلقي في التأويل، وفهم السياق وربط النص بالمقام.

4.3.1. الوصل (La conjonction)

يُعدّ الوصل الظاهرة الرابعة من مظاهر الاتساق، وهو مختلف عن كلّ أنواع علاقات الاتساق السابقة (الإحالة والاستبدال والحذف)، ويمكن تمثيل هذا الاختلاف كما يأتي³:



المخطط رقم 21: علاقة الوصل بالاتساق

ويعرّف الوصل أيضا على أنّه: «تعيين للطريقة التي يتصل فيها اللاحق بالسابق اتصالا منتظما⁴ لتأتي أهميته من كون النص عبارة عن متالية من الجمل، وأنّه لا بدّ لكي تدرك كلبنة

1- النص والخطاب والإجراء، دي بو جراند، ص 340.

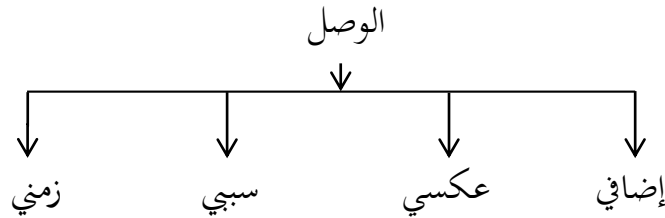
2- الاتساق والانسجام في القرآن، بن عروس، مفتاح، ص 249.

3- المرجع نفسه، ص 186.

4- التماسك النصي من منظور الدراسات الحديثة، مصطفى صلاح قطب، ص 188.

متماسكة من توفر أدوات رابطة تفرض كل نوع منها طبيعة العلاقة بين الجمل، وتسمى هذه الأدوات الأدوات المنطقية، وذلك لدورها في تحديد أنواع التعلق بين الجمل، وإسهامها كذلك في بناء النص بناءً منطقيًا¹.

وبهذا يشير مفهوم الوصل أو الربط لدى الغربيين إلى العلاقات بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات، كما أشار هاليداي ورقية حسن إلى أن علاقة الوصل تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق على نحو منظم معنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً ولكن تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص وقد قسم الباحثان الوصل إلى أنواع وهي: الوصل الإضافي (Additif)، العكسي (Adversatif) السببي (Causal)، والوصل الزمني (Temporal)²، ويمكن أن نمثل له بالمخطط التالي:



المخطط رقم 22: أنواع الوصل

1.4.3.1 الوصل الإضافي (Relation additive)

ويُستعمل فيه **and** و **or** ، كما يدرج هاليداي وحسن علاقات أخرى ضمن الوصل الإضافي هي³:

- علاقة التماثل الدلالي، باستعمال روابط من نوع: «بالمثل».
- علاقة الشرح، وتتم بتعابير مثل: أعني، بتعبير آخر...
- علاقة التمثيل، المتجسدة في تعابير مثل: نحو، على غرار...

1 - نسيج النص، الزناد، الأزهر، ص 37.

2 - النص والخطاب والإجراء، دي بو جراند، روبرت، ص 346، وما بعدها.

3 - لسانيات النص، خطابي، محمد، ص 23.

وفيه «مطلق الجمع: يربط بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان مُتحدتين من حيث البيئة أمتشابهتين، وتؤدي إلى تكثيف الدّلة، والتّخيير (Disjuntion)¹

2.4.3.1. الوصل العكسي (Relation adversative)

يتمّ باستعمال أدوات مثل: But و Yet «لكن، مع، ذلك» وتعابير مثل nevertheless however، أي: «على أيّة حال، على الرّغم من، غير أن...» وهو يجسّد تعارض بين القضيتين الذي يعني على عكس ما هو متوقع.

وقد سمّاه براون ويول Brown and Yule : المقابلة²؛ ويرى النّصّيون أنّ بنية الخطاب تتشكّل من تفاعل النّص مع السّياق الخارجي ومن خلال ذلك يمكن استخراج بعض الرّوابط التي تساهم في التّماسك النّصي «والأدوات النّحويّة التي تستخدم في كتابة هذه البنية كثيرة، وبها يستطيع الكاتب الانتقال من بنية كبرى إلى بنية كبرى ثانية، وتربط مثل هاتيك الأبنية باستخدام تعبيرات ولكن... ومن أجل ذلك... وبناء على ذلك، يجعل النّص، أو (المقال) كلّ شديد الانسجام أو الاتّساق والرّابط»³.

3.4.3.1. الوصل السببي (Relation causale)

يتمّ باستعمال أدوات مثل: So, thus, hence, therefore... الخ، ويقابلها في العربيّة «بناء على ذلك، لهذا ومن ثمّ، وهكذا...»، ويسمّيه روبرت آلا ندي بوجراند «التّفريغ» (Subordination)⁴ أي (التعليق)، ويربط بين قضيتين (قضايا) تحقّق إحداها يتوقّف على الأخرى، لعبّر أساسا عن علاقات منطقيّة موجودة بين الجمل تتمثل في السّبب والنتيجة، «والشّكل البسيط للعلاقة السببيّة هو تعبير عنها من خلال الكلمات (لهذا، بهذا، لذلك، لأنّ)، وعدد التّعبيرات مثل: (نتيجة ل سبب ل) فضلا على «العلاقات الخاصّة كالنتيجة والسّبب

1 - النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص 346.

2 - تحليل الخطاب، براون ويول، ص 229.

3 - في اللّسانيات ونحو النّص، ابراهيم خليل، ص 226.

4 - علم لغة النّص، النّظريّة والتّطبيق، عزة شبل محمد، ص 105.

والشَّرط، وهي - كما سبق و ذكرنا- علاقات منطقيّة ذات وثيقة بعلاقات عامّة هي السَّبب والنتيجة¹، ناهيك عن علاقة الغرض فهي من العلاقات الخاصّة المنطقيّة.

1.3.4.4. الوصل الزمّني (Relation temporelle)

يتمّ باستعمال عناصر مثل then, next, after, that, subsequently، ممّا يفيد التعاقب والتتابع الزمّني بين القضايا و« أبسط تعبير عن هذه العلاقة هو Then (ثمّ)»²؛ وهذا ما يؤكّد أنه « يجسّد علاقة اتّصال بين جملتين متتابعين زمنيًا»³.

وما يمكن أن نخلص له في الأخير من أهميّة الوصل فهي تتحلّى من خلال الوظيفة التي يقوم بها في ربط أجزاء النص رغم اختلاف نوع أدواته ومعانيها، إلى أنّها تقوّي وشائج الرّبط بين المتتاليات والنصوص وظيفية الوصل هي تقويّة الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنّه لا محالة يعتبر علاقة اتّساق أساسيّة في النص ؛ ولا يمكن أن ينحصر أثره في تحقيق الاتّساق على مستوى واحد ولكن له عدّة مستويات متنوّعة يتوزّع عليها، فيكون على مستوى الألفاظ وعلى مستوى الجملة، وقد يكون على مستوى الجمل والفقرات والنصوص، وأيضا لا ينحصر على مستوى سطحيّة النص فقط، وإمّا له أثر في « وصل المعاني بعضها ببعض، وربط أجزاء الكلام وتحقيق الفائدة منه»⁴.

وقد تحدث علماء النّحو القدماء عن الوصل حيث قال سيّويه أنّ وظيفة العطف هي وصل الكلام بعضه ببعض والاشترار بين المعطوف والمعطوف عليه⁵، وأدوات العطف علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النصّ وتحدث عن هذه الوظيفة من قبل مع بيان دور العطف في تلاحم الجمل ابن آبي الإصبع المصري.

1 - لسانيات النصّ، خطّابي، محمد، ص 23.

2 - المرجع نفسه، ص 105.

3 - نفسه، ص 23، 24.

4 - نحو النصّ، عثمان، أبو زيد، ص 132.

5 - الكتاب، سيّويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تع: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، ط، 1، 1411هـ 1991م ص 347، 348.

ومّا سبق يتبين إدراك علمائنا العرب لأهمية حروف الوصل في تحقيق الاتساق على مستوى الجملة والجملتين، وأكثر على مستوى النصّ.

كما أنّ الفصل يأتي مع الوصل وتناوله الغربيون في إطار العلاقة القائمة بين الجمل من غير النظر إلى أدوات لفظية تربط بينها¹، وقد يكون الربط بين صورتين أو أكثر بالجمع بينها أو بالاستدراك وبالتدرج.

وقد يكون الفصل لدى القدماء من العرب في أدوات منها: (ضمير الفصل، الجملة المعترضة الاستثناء المنقطع، وطرح الواو)، وكلّ هذا أشار إليه القدماء مثل سيويوه والمبرد والفراء وابن جني وابن وهب والطبري والجاحظ و عبد القاهر الجرجاني.

والجدير بالقول أنّ كل هذه الآليات (الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل) تعتبر عاملا أساسيًا في اتساق النصّ وانسجامه، ممّا تمنحه تمثين التماسك بين جمل النصّ.

1.3.5. الاتساق المعجمي (Cohesion Lexical)

آخر مظهر من مظاهر اتساق النصّ، ويسمّى أيضا «الرّبط الإحالي» الذي يكون عماده المعجم وما يقوم بين وحداته من علاقات²، يتحقّق بواسطة المفردات عن طريق إحالة عنصر لغوي إلى آخر وهو التماسك الذي تحدّثه العناصر اللّغوية (الكلمة عبارة جملة) في النصّ بوصفها عناصر معجمية ويتم ذلك عن طريق التكرير (Reiteration) والمصاحبة اللفظية (التضام)³ (collocation) وهناك من يصطلح عليه بالتلازم.

ويرى هاليداي ورقية حسن أنّ الأمر يسهل في حالة الاتساق النحوي مقارنة بالاتساق المعجمي ففي حالة الاتساق النحوي تكون العمليّة واضحة نسيبًا، إذ تفترض الإحالة مثلا أو

1 Cohesion in English ,Halliday.M.A.K and Roquaya Hassan, Longman ,London,p227

2 - أصول تحليل الخطاب في النّظرية النّحويّة العربيّة، الشاوش، محمد، تأسيس نحو النصّ، المؤسسة العربيّة للتوزيع، تونس، 2001م، ص138.

3 - التماسك النصي من منظور الدراسات الحديثة مصطفى صلاح قطب، ص225.

الاستبدال أو الوصل بعض العناصر المماثلة، «أما إذا تعلق الأمر بالاتساق المعجمي، فإنّ المسألة تتجاوز حدود التعامل مع مجموعة محدّدة من العناصر، ولكن كل المعجم يكون قابلا للاستعمال. ومن ثمّ فهو يتميز بالتنوع والاتساع ولا يتحكّم في المسألة حينئذ إلا ما يختاره المتكلّم. فالمعجم من ناحية التعريف يتميّز بالانفتاح»¹؛ وينقسم إلى نوعين:

1.1.5.3.1 التكرار (Réitération /Récurrence)

1.1.5.3.1 مفهوم التكرير

التكرار أو التكرير عملية تتم عن طريق إعادة ذكر عنصر معجمي أو التعبير عنه مرّة أخرى بمرادف له في الجملة أو شبه مرادف، أو عنصر مطلق أو اسما عاما، أي اعتمادا على ما يوفره معجم اللّغة من إمكانات الترابط الوحدات المعجمية فيما بينها كالترّاص والاحتواء والعموم²، وهذا المخطط يبيّن ذلك:

شرعت في الصعود إلى القمة

سهل للغاية

يكون التكرار بـ:



إعادة عنصر معجمي

الصعود



مرادف أو شبه مرادف

التسلّق



عنصر مطلق

العمل



اسم عام

الشيء

المخطط رقم 23: أنواع التكرار

1 - الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، بن عروس، مفتاح، ص 189.

2 - الاتساق النصي مفهومه وآلياته، فاتح، بوزي، مجلة الممارسات اللغوية، ع10، 2012م، ص 53.

ويعرّفه ديفيد كرسنال David Crystal بأنه: «التعبير الذي يكرّر في الكلّ والجزء»¹؛ وقد أدرجه بعض علماء لسانيات النص ضمن الإحالة، فق اعتبره الأزهر الزناد إحالة تكرارية وعرفها «بأنّها الإحالة بالعودة وتتمثّل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النصّ قصد التأكيد، فالشيء إذا تكرر تقرّر، وهي أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام»²؛ ومن ثمّ يتحقّق ترابط الوحدات بإحالة اللفظ المكرّر على اللفظ الأوّل السّابق الذكر، ويحدث الاتّساق النصّي، وهذا ما يقرّه جون ميشال آدم John Mitchel Adam في تعريفه للنصّ: «سلسلة من المقطعيّة المترابطة والمتنامية نحو النّهاية»³.

ويعرفه هاليداي ورقية حسن بقولهما: «فتكرار كلمة معينة، أو استخدام مرادف معين ينشأ عنه تماسك معجمي Lexical أو صوتي Phonological وكلّ تكرار في الوزن، والقافية يعمل على تحقيق التماسك النصّي ويعضده»⁴؛ وقد أوّضح صبحي الفقي دوره بقوله: «أنّ التكرار زيادة على كونه يؤدّي وظائف دلالية معيّنة فإنّه يؤدّي كذلك على تحقيق السّبك النصّي، وذلك عن طريق امتداد عنصر من بداية النصّ حتى آخره، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النصّ مع مساعدة عوامل السّبك الأخرى»⁵.

ولكن روبرت آلا ندي بوجراند نبّه على أنّه من الرّغم من أنّ التكرار هدفه تحقيق الرّبط بين أجزاء النصّ إلى أنّه قد يؤدّي إلى إحباط الإعلاميّة، وذلك إن لم يحسن استخدامه⁶، كما أنّه يمكن أن يؤدّي إلى عدم تماسك النصّ فينتج عنه عدم قبوله من طرف المتلقّي، وذلك إذا أكثر منه الكاتب لأنّ ذلك يُعتبر دليلا على فقره اللّغوي.

1 - علم اللّغة النصّي، صبحي ابراهيم الفقي، ص 19.

2 - نسيج النصّ، الأزهر الزناد، ص 119.

3 - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغويّة تداوليّة، عبد الهادي بن ظافر الشّهري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط 1 2004م ص 493.

نقلا عن: في اللسانيات ونحو النصّ، إبراهيم خليل، ص 231، 232. Cohesion in English, p229 - 4

5 - علم اللّغة النصّي، الفقي، صبحي، ص 22.

6 - النصّ والخطاب والإجراء، دي بو جراند، ص 306.

وقد تناول علماء التراث العربي القديم خاصّة البلاغيين منهم ظاهرة التكرار أيضا باعتباره من أهمّ الوسائل البلاغية التي يعنى بها المتكلم ويقصد إليها لتقوية قوّة المنطوق الإنجازيّة¹؛ كما وصفوه بأنّ أصل من أصول البديع فتعرّضوا لعدّة قضايا له: معناه وأنواعه، وأهميته، ووظيفته وأغراضه وفوائده ووقفوا عند الظاهرة أيضا في موضوع الإطناب الذي يُعدّ ظاهرة تركيبية تقابل الحذف والإيجاز ومن أبرز مظاهر الإطناب التكرار والزيادة اللفظة التي لا يمكن للتركيب الاستغناء عنه وستناول بالشرح والتحليل هذا المظهر في القسم التطبيقي كغيره من آليات الاتساق عند الجرجاني، حيث أنّه عدّه من معاني النحو التي ثبت في نظم الكلام، وانسجامه، واتساقه وتناسقه.

وبهذا يمكننا القول أنّه وعلى الرّغم من اختلاف المصطلح لدى الغربيين وعلماء التراث العربي القديم إلى أنّ المدلول واحد.

2.1.5.3.1 أنواع التكرير

تتنوّع صور الرّوابط التكرارية وفقا لتصنيف هاليداي ورقية حسن، إلى أربع درجات²:

أ- تكرار الكلمة نفسها (إعادة عنصر معجمي):

ويتحقّق بإعادة لفظ أو عدد من الألفاظ مع بداية كل متتالية جمالية من جمل النص، ومن شأن إعادة اللفظ من الناحية النفسية أن تركز الانتباه، فإنّ العناصر المكررة ينبغي أن تنطبع في الذاكرة ومن ثمّ ينبغي للعملية الإجرائية أن تكون سهلة، إذ أنّ نقطة الاتصال في نموذج العالم ذي الاستمرار النصي أن تكون واضحة³، لتؤدي وظيفة الإفهام والتأكيد والتقرير.

ويتمظهر هذا النوع في النصّ بشكلين⁴:

1 - النصّ والخطاب والاتّصال، العبد محمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط، 1، 2005م، ص318.

2 - البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، ص 79، 80.

3 - النصّ والخطاب والإجراء، دي بو جراند، ص304.

4 - نحو النصّ، عفيفي، أحمد، ص106، 107.

- التكرار المحض أو التكرار الكلي (**The direct repetition**) : ويعني تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد.

-(I turned to the axent of peak. The axent is perfectly easy)

- (شرعت في الصعود إلى القمة، الصعود سهل للغاية).¹

يتبين من خلال المثال أنّ كلمة الصعود تكررت ذاتها دون تغيير، وقد أطلق هوي **Howie**

على هذا النوع مصطلح «التكرار المعجمي البسيط»².

ويضمّ هذا النوع أيضا نوعان هما:

- التكرار مع وحدة المرجع: وهو الذي يكون فيه المسمّى واحداً.

- التكرار مع اختلاف المرجع: وهو الذي يكون فيه المسمّى متعدداً.

- التكرار الجزئي أو الاشتقائي (**Partial repetition**): يُعنى بالتكرار الجزئي تكرار عنصر سبق

استخدامه، ولكن في أشكال وفتات مختلفة، أي تشترك الكلمة المكررة في الجذر مع الكلمة التي

تحيل إليها، وهذا ما يُسمّى في اللغة العربيّة بالاشتقاق إذ ليس شرطاً أن تتكرر الكلمة نفسها،

لأنّه يمكن تغييرها بأحد مشتقاتها لتحقيق التماسك النصي ويُطلق عليه هوي (**Howie**) مصطلح

(**Complexe lexical répétition**)، لتُترجمه عزة شبل محمد ب: « التكرار المعجمي

المركّب»³؛ وهو من نوع آخر إذ لا يذكر الشيء نفسه، بل تذكر بعض أصنافه وأنواعه»⁴؛ لتأخذ

هذه العلاقة تنوعاً دلاليّاً في شبكة من الدوائر المتداخلة سمّتها تحقيق الاتساق بين أجزاء ووحدات

النص.

1 - لسانيات النص، خطابي، محمد، ص 24.

2 - علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص 106.

3 - المرجع نفسه، ص 106.

4 - أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجميّة تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، الحلوة، نوال بنت ابراهيم

بن محمد، مجلّة أم القرى لعلوم اللغات والآداب، السعودية، ع، 8، ماي، 2012م، ص 55.

ب- التكرار بالتّرادف أو شبه التّرادف (Synonyme)

ويشمل التّكرار في هذا النّوع بواسطة تكرار المعنى واللفظ مختلف، كما يشمل أيضاً التّرادف وشبهه، والعبارة المساوية في المعنى لعبارة أخرى¹؛ ولتوضيح ذلك أعطى هاليداي و رقيّة حسن المثال التّالي:

-(I turned to the axent of peak the climb is perfectly easy).

-(شرعت في الصّعود إلى القمّة، التّسلق سهل للغاية).

والتأمّل للمثالين يجد أنّ الاتّساق بين الجملتين تحقّق بواسطة استبدال كلمة الصّعود بكلمة مرادفة لها وهي التّسلق، وقد أطلق روبرت آلا ندي بوجراند ودريسلر على هذا النّوع مصطلح إعادة الصّيغة paraphrase²، أمّا هوي (hoey) فقد أطلق عليه مصطلح إعادة الصّيغة البسيطة وأشار إلى أنّه يمكن تقسيمها إلى قسمين³:

- إعادة الصّيغة الجزئية: وذلك إذا تمّت عمليّة الاستبدال في اتجاه واحد كقولنا: (كرسي مقعد).

- إعادة الصّيغة المتبادلة: وذلك إذا تمّت عمليّة الاستبدال في اتجاهين كقولنا: (هدأ الرّيح سكن الرّيح)، كما لفت الانتباه إلى أنّ السّياق هو الذي يحدّد إن وجدت هذه العلاقة أو لا.

ج- التكرار بالكلمة الشّاملة (asuqerordinate word)

محمد خطابي ترجم هذا المصطلح بالاسم المطلق⁴، ولتوضيح هذا النّوع أعطى هاليداي ورقية حسن المثال التّالي:

-(I turned to the axent of peak the tast is perfectly easy).

-(شرعت في الصّعود إلى القمّة العمل سهل للغاية).

1 - التّرابط التّصي في ضوء التّحليل اللّساني للخطاب، خليل ياسر البطاشي، ص 67.

2 - علم لغة النّص، عزة شبل محمد، ص 107.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 - لسانيات النّص، خطابي، محمد، ص 25.

تمّ هنا استبدال كلمة الصّعود بكلمة العمل، وتعدّ كلمة شاملة تنضوي تحتها كلمة الصّعود ومشابهاها، فحدث الاتّساق بين الجملتين وهو مثال محدّد للكلمة الأكثر تعميماً منها وهي العمل.

د-الكلمة العامّة (a general word)

قسم هاليداي ورقية حسن الكلمة العامّة على مجموعة صغيرة ومحدّدة من الكلمات لها إحالة عامّة وهي كالتالي¹:

- اسم إنسان مثل: (طفل، امرأة، رجل، شخص، شعب).
- اسم مكان مثل: (مكان، موضع، ناحية، ...).
- اسم الدّال على حقيقة مثل: (سؤال، فكرة، شيء أو موضوع).
- المخلوقات غير الحيّة التي يمكن عدّها مثل: (obeject things).
- المخلوقات غير الحيّة التي لا يمكن عدّها (stuff now computable).
- المفاهيم المجردة.
- الأفعال. (do more).
- الأماكن. (place).
- المخلوقات غير الأدميّة.

وقد مثّل هاليداي ورقية حسن عن الكلمة العامّة ب:

(- I turned to the axent of peak the thing is perfectly easy.

- (شرعت في الصعود إلى القمّة العمل سهل للغاية).

والملاحظ أنّ التماسك بين الجملتين قد تمّ عن طريق استبدال كلمة (الصّعود) بكلمة (

العمل) وهي كلمة عامّة إذ أنّها تتضمّن كلمة الصّعود².

1 - علم لغة النّص، عزة شبل محمد، ص 108، 109.

2 - التماسك النّصي في قصّتي يوسف وموسى عليهما السّلام- من القرآن الكريم-، زاوي، ليندة، ص 286.

وبناء على ما سبق نخلص أنّ التّكرار بكلّ صورته المختلفة يُسهم في تحقيق الانسجام بين وحدات النّص واتساقها، عن طريق فكّ شفراته الدلاليّة والشّكليّة، مع إعادة عنصر ما من بداية النّص إلى نهايته بهدف إبرازه، وحتّى وإن ثبت عكس ذلك فإنّ استخدام المترادفات يكون أفضل من تكرار الكلمة نفسها، فنجد روبرت آلا ندي بوجراند يقول: «ومن صواب طرق الصّيغة أن تخالف ما بين العبارات بتقليبها بواسطة المترادفات، ولكن قد يحدث ألا يكون هناك إلّا اسم واحد للمدلول المطلوب، وفي التّقارير العلميّة يجب أن يكون هناك استقرار على استعمال المصطلحات المحدّدة على الرّغم ممّا يتطلّبه مبدأ الإعادة، ويبدو أنّ السّامعين والقراء يُهيّتون إرهاساتهم للاستجابة لهذه العوامل»¹.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ علماء النّص قاموا بدراسة ظاهرة التّكرار كأداة يتحقّق بها كلّ من التّماسك الشّكلي والدّلالي بين أجزاء النّص، وجعلوه واحد من عوامل آليات الاتّساق التي تحقّق استمراريّة نسيج النّص وامتداده عن طريق إعادة عنصر من بداية النّص إلى نهايته، في حين نجد علماء العربيّة المتقدمون أخذوا التّكرار في سياقه البلاغي العام، مقتصرين على ذكر فوائده ووظائفه التي تأتي لأهداف منها وضوح الدّلالة وإيصال المعنى للمتلقّي، وهذا ما يحمل في طيّاته وظيفة تدعم الدّراسة النّصيّة وتخدمها بصفة غير مباشرة.

1.2.5.3.1 التّضام / التّلازم La collocation

1.2.5.3.1 مفهوم التّضام

مصطلح التّضام آلية من آليات الاتّساق النّصي المعجمي، ويقابله في التّراث العربي في علم البلاغة مصطلح (المصاحبة المعجميّة)، لذا عدّه العلماء القدماء ضمن باب البديع، و يعني عند الغريين توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطها بحكم بهذه العلاقة؛ فهذه الألفاظ تكون دوما مصاحبة فذكر أحدها بالضرّورة يحيل ويستدعي ذكر الآخر؛ وهذا يعني أنّ المفردات تميل إلى التّصاحب بصور مختلفة تكون انتقائيّة متغيّرة مصاحبة لألفاظ معيّنة دون غيرها، «فالمفردة

1- النّص والخطاب والإجراء، دي بو جراند، ص 306.

هنا لا تصاحب مع كلّ المفردات اللغوية الأخرى، بل تصاحب مع مفردات من نوع معيّن، وهذه المصاحبة تصبح جزءاً مهماً من معنى الكلمة¹، وتكون هذه الألفاظ دليلاً لدرجة الترابط والاتساق الذي هيمنت عليه مقصدية المتكلم وأوضاع المخاطب ومقتضيات الأحوال والمقام وجنس الخطاب.

وحسب ما ذهب إليه المؤلفان هاليداي ورقية حسن أنّ التلازم يختلف عن التكرار من حيث أنّه لا يتأسس على الاتساق المعجمي، ولكن على انتماء الوحدات المعجمية إلى حقول دلالية أو فضاءات دلالية مشتركة فهي بهذا ذات طابع تألفي، فإن العلاقة النسقية التي تحكم الأزواج في خطاب ما هي علاقة التعارض مثلما هو الأمر في كلمات مثل: ولد/بنت جلس/وقف /أحب/كره الجنوب/الشمال... الخ ؛ وهناك علاقات أخرى مثل الكل/الجزء الجزء/الجزء، عناصر من نفس القسم العام: كرسي/طاولة (الاسم العام هو التجهيز)².

وللتوضيح أكثر تناول هاليداي ورقية حسن المثال التالي:

Why does this boy wirggle all the time? Girls don't wriggle.

(ما لهذا الولد يتلوى في كلّوقت وحين ؟ (البنات لا تتلوي).

فكلمتي «الولد» و «البنات» هنا ليس مترادفين، ولا تحيل «البنات» على «الولد»، لكن ورودهما في الخطاب يُسهّم في تحقيق علاقة «التضاد» التي ساعدت في الترابط أو النصية بين الجمل ويدركها مستعمل اللغة « بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات»³.

1 - الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، علي جمال الدين عزّت عثمان، ص 31.

2 - مدخل إلى انسجام الخطاب، خطاي، محمد، ص 24.

3 - المرجع نفسه، ص 25.

1.3.2.2.5. أنوع التضام

لقد عدّد هاليداي ورقية حسن أهم المصاحبات المعجمية، أو العلاقات الرابطة بين الكلمات وهي¹:

أ- علاقة التباين (Complémentarités) ويكون اللفظان فيها:

- متضادّين، مثل Deserted (فارغ)، crowded (ممتلئ) - dry (جاف)، wet (مبلل).
- متعاكسين، مثل: Obey (طاعة)، order (أمر) - sell (بيع)، Buy (شراء).
- متخالفين، مثل: Saturday (السبت)، Thursday (الخميس)، Thesday (الثلاثاء) - South (الجنوب)، North (الشمال).

ب- علاقة التنافر (In compatibility)

ويرتبط التنافر بفكرة التّفي وينقسم بدوره إلى عدّة أنواع:

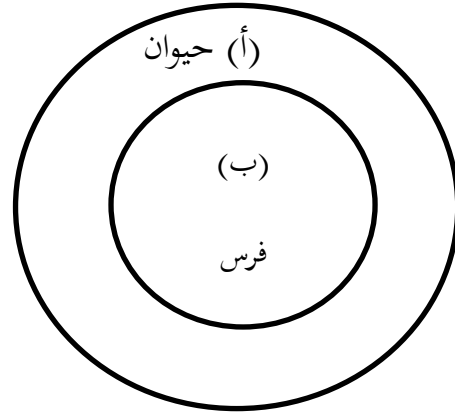
- التنافر بالرّتبة، مثل: ملازم، رائد، عقيد، لواء.
- التنافر بالألوان، مثل: أحمر، أبيض، أخضر، ... الخ.
- التنافر بالزّمن، مثل: فصول، شهور، أعوام، ... الخ.

ج- علاقة الاشتمال (Hyponymy)

تعتبر هذه العلاقة من العلاقات المهمّة في السيّمانيك التركيبي، والاشتمال يختلف عن التّرادف في أنّه تضمّن من طرف واحد، فيكون مثلاً: (أ) مشتملاً على (ب)، في حين يكون (ب) أعلى في التّقسيم التّصنيفي أو التّفريغي، مثال ذلك كلمة (فرس) الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى (حيوان)² فالفرس نوع من الحيوان وليس جزءاً منه، ويمكن توضيح ذلك بالشّكل الآتي:

1 - البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات التّصية، جميل عبد المجيد، ص 108.

2 - علم الدّلالة، أحمد مختار عمر، ص 99.



المخطط رقم 24: علاقة الاشتمال (نوع من أنواع التضام)

د- علاقة الكلّ بالجزء (Part-Whole relation)

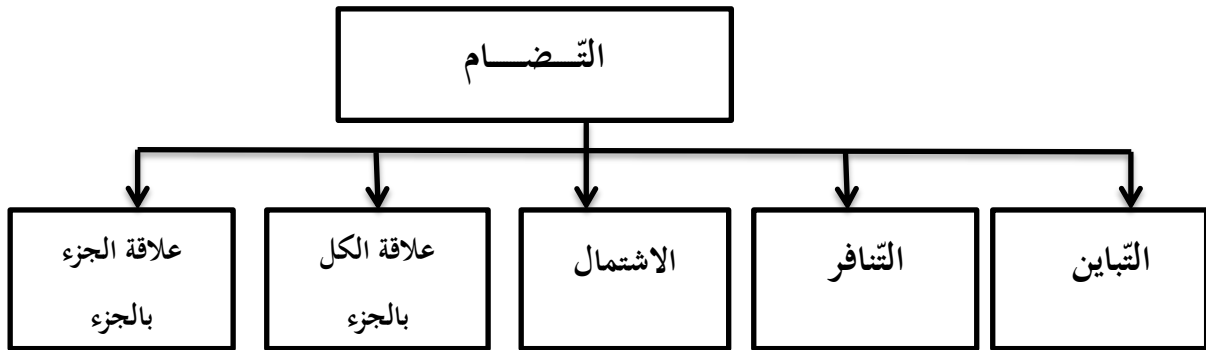
وتسمّى بالعلاقة الكلّية، كعلاقة السيّارة بالفرامل والصندوق بالغطاء، فالسيّارة كلّ والفرامل جزء من هذا الكلّ، وقس على هذا علاقة الصندوق بالغطاء.

Brak (مكبح)، car (سيّارة) - nose (أنف)، Mouth (فم).

ه- علاقة الجزء بالجزء

مثل: Mouth (فم)، chin (الذّقن)، فالفم والذّقن جزءان أو عضوان من الكلّ وهو جسم الإنسان.

والمخطط الآتي يبيّن هذه العلاقات تحت عنوان التّضام:



المخطط رقم 25: نظام علاقات التّضام

وقد تناول علماء العربية القدماء موضوع التّضام وأطلق عليه مصطلح المطابقة في علم البديع وتسمّى الطّباق والتّضادّ وأما علماء البلاغة فقد تناولوا في هذا الإطار مفهوم الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل والآخر نوع تعلق مثل: التسمية واللّزوم.

وبهذا تساهم هذه الظواهر البلاغية في اتّساق النّص، وحين نقول اتّساق النّص فهذا يعني أنّها أدوات شكليّة تظهر على سطح النّص، وهذه الأدوات أو المظاهر سمّاها علماء لسانيات النّص مظاهر الاتّساق المعجمي وسبب هذه التسمية كونها عناصر معجمية أوّلاً، وأنّها تسهم في اتّساق النّص، أي ترابطه الشكلي اللفظي ثانياً.

وبالتالي فإنّ هناك أدوات شكليّة ودلاليّة إذا خلا منها النّص يصبح جملاً مترابطة لا رابط يجمعها إنّّه جسد بلا روح، وهذا يعني أنّ النّظم ووسائله عند عبد القاهر الجرجاني، والاتّساق ووسائله عند علماء لسانيات النّص، إذ انتفيا في النّص، يخرج عن نصّيته عند المحدثين، كما كان يخرج عند القدماء إلى سوء التّأليف، وسوء النّظم، الأمر الذي يدفع القارئ إلى استهجانته لأنّ من أساسيات النّظم البحث في علاقات الكلمات المتجاورة أو المتباعدة عن طريق الرّوابط النحوية¹.

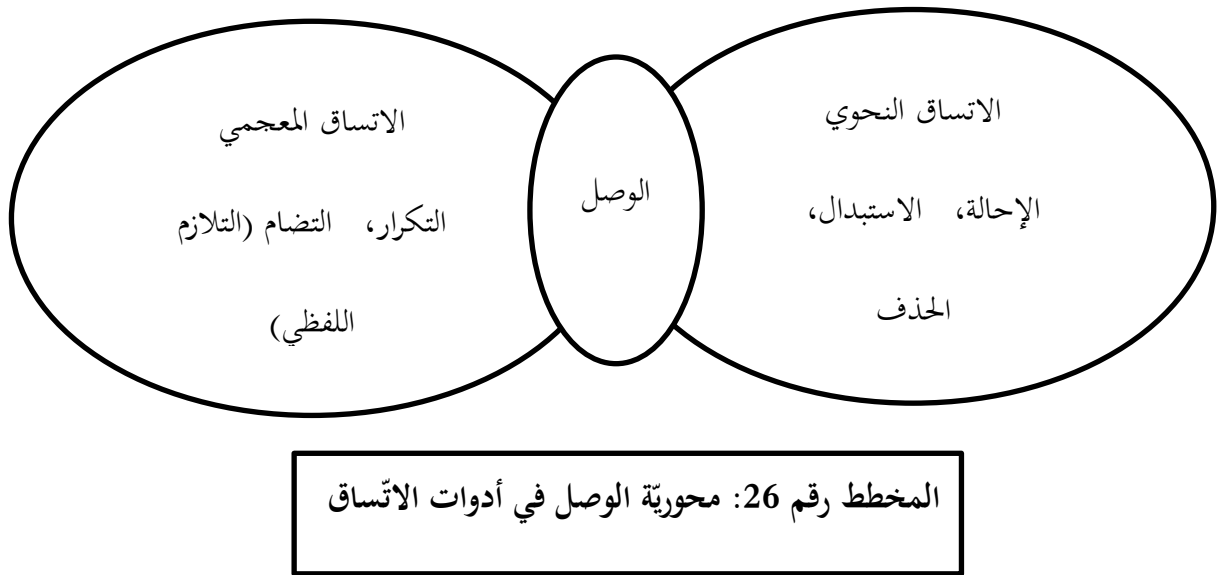
إذ ليس النّظم -عند الجرجاني- إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وهذه المعاني يعقد لها أبواب مثل: التّقديم والتّأخير والحذف والذكر والفصل والوصل والتّعريف والتّنكير، وكل ما يحدث النّظم في النّص شكلاً ودلالة، فالجرجاني يؤكّد على أنّ ليس هناك كلام يوصف بصحة أو فساد إلّا ويرجع ذلك إلى معاني النّحو وأحكامه، ويدخل في أصل من أصول النّحو وباب من أبوابه، فما النّظم في الحقيقة إلّا تّوحي هذه المعاني وتعلّق الذهن بها لكيفية المزج فيها، والترتيب الذي أحكمت به، بانضمام بعضها إلى بعض².

وهكذا يتبيّن لنا أنّ ما قاله بعض اللّغويين، وبحث فيه البلاغيّون القدماء، لا يختلف كثيراً عمّا توصّل إليه علماء لسانيات النّص -وسنؤكّد هذا بالشرح والتحليل أيضاً في القسم التّطبيقي حتى لا

1 - النحويين عند عبد القاهر وتشو مسكي، محمد عبد المطلب، ص28. وينظر للاستفادة، الدلائل، عبد القاهر الجرجاني ص 108، 109.

2- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 133، 134.

نقع في الإسهاب والتكرار- حيث أنّ هاليداي ورقية حسن جعلاً لأدوات الاتساق أهمية بالغة في تحقيق اتّساق النص، وهذا يكون بكيفيات مختلفة حدّدها الباحثان في: الإحالة، والاستبدال والحذف والاتساق المعجمي بنوعيه، كلّ هذه الأدوات يكون الوصل هو الجامع بينها لتتعامل كلّها مع مفهوم النصّ الذي يتأسّس على ربط العلاقات الداخليّة من جهة والعلاقات الخارجيّة من جهة أخرى فيصل إلى الوحدة الكلية المعروفة بالنسيج، ويمكننا تمثيل ذلك بالخطاطة التالّية:



الفصل الثاني

نظرية النّظم النشأة و المفهوم

1.3. التعريف بالمصطلحات

2.3. نشأة نظرية النظم وتطورها

3.3. مفاهيم متعلقة بفكرة النظم

4.3. أركان نظرية النّظم:

5.3. أسس النظرية الجرجانية:

الفصل الثاني : نظرية النظم النشأة و المفهوم

أنزل القرآن الكريم فأعجز العرب بتأليفه العجيب ونظمه البديع، فانكبوا يدرسونه وانبثقت لهم منه كثير العلوم والفنون، ومن ذلك أنهم فصلوا القول في إعجازه ونظمه وتأليفه، ولاشك أن جهود علماء المسلمين في تفسيرهم لتراكيب القرآن الكريم وأوجه قراءاته كانت قيد الدراسة والتحليل بوضعهم العلوم التي ساعدتهم على ذلك كعلمي النحو واللغة وذلك من أجل فهمه فهما عميقا دقيقا والوقوف على نظمه وتأليفه بالقراءة والتحليل، فشجعهم ذلك على التأليف حول القرآن والشعر والبيان، وخير دليل ما جاءوا به من آراء قيّمة حول النظم العربي؛ حيث اكتست معظم الدراسات البلاغية والتقدية العربية أهمية بالغة خاصة ما ذكر حول مصطلح «النظم» الذي تطوّر بعدما كان مجرد إشارات وُضعت ضدّ عهود مضت إلى أن أصبح نظرية قائمة بحدّ ذاتها وهذه الأهمية لا يمكن أن نثبتها إلا من خلال الوقوف على الأثر الذي أحدثته في مختلف القضايا العربية القديمة والحديثة منها، ولعلّ إعجاز القرآن الكريم أولها وأهمها على الإطلاق.

تعدّ نظرية النظم من أبرز القضايا التي تناولها التقاد والبلاغيون العرب، فكانت شغلهم الشاغل في جلّ أبحاثهم فهي نظرية لم تولد من فراغ ولم توجد هكذا فجأة دون إشارات وإرهاصات هُيئت لها، بعدما كانت فكرة عفوية، فكلمة «النظم» وجدت منذ أن عُرف نظم الكلام نثره وشعره لكنّها لم تكتمل ولم تصل إلى مثل هذا النضوج وهذا التّكامل والوضوح لتصبح نظرية علمية أرسّت جذورها واستقرّت لتُعدّ من أهم إنجازات النّقد العربي، لما أضافته إلى تراث الإنسانية من قيم علمية فذة تُحسب لرائدها الجرجاني عبد القاهر أوّلا وللعرب ثانيا، الذي جمع فتات آراء لعلماء سبقوه من علماء نحو وعلماء التفسير والإعجاز وعلماء النّقد وغيرهم، ووحّد بين هذه الآراء في إطار منظّم ثم وضع خطوط ورسم الحدود، وأبرز المعالم في القرن الخامس للهجري ليرجع النظم إلى نظرية علمية - كما سبق الذكر - أساسها نظم الكلام، وجاء منهجه اللغوي واضحا فيها.

لذلك نظرية النظم لم تكن وليدة اللحظة بل لأنعد صدفة ولكنها سابقة لفكرة الإعجاز على العموم، فالنظم لا يخص القرآن فحسب، بل يخص فنون القول عامة، فهي نتائج جهود فكرية وتراكم معرفي متواصل وهذه حقيقة تبنّاها كلّ الباحثين في مجال الفكر والمعرفة بالدراسة والتحليل منذ عصر الجاحظ (ت255هـ) أو قبله بكثير.

وحقّ وإن اقترنت نظرية النظم بالجرحاني فإنّها -رغم ذلك- لها جذور تاريخية منذ القدم فالإشارات الأولى التي وصلتنا من الكتب العربية كانت عند أبي المقفع (ت142هـ) جاء على لسانه: «فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا قولاً بديعاً، فليعلم الواصفون المخبثون أن احدهم وإن أحسن وأبلغ لي زائداً على أن يكون كصاحب فصوص، وجد ياقوتا أو زبرجداً ومرجاناً، فنظّمه قلائدً وسموطاً وأكاليلاً، ووَضَعَ كلّ فصٍّ مَوْضَعَهُ، وجمَعَ إلى كلّ لون شبهه، ممّا يزيد حُسْنًا، فسُمِّيَ بذلك صانعاً رقيقاً»¹.

ولقد أخذ علماء البلاغة هذا الكلام، وذكره في كتبهم لكنهم لم يُشيروا إلى سبق -ابن المقفع- في ذلك، ومع هذا فإنهم أجزوا في تذوق القيمة الجمالية الكامنة في النظم حتى تشبّع لديهم الفكر التقدي والبلاغي لكن معظمهم نظروا إلى مصطلح النظم نظرة مجملّة، ولم يعطوه مضمونا مضبوطا دقيقا ولم يحلّوه تحليلا لغويّا يكشف عن طاقات اللّغة وإمّا محاولات للوصف والتعريف إمّا باقتران اللفظ بمفردات قريبة من مجاله الدلالي (كالضم والتّركيب والتّرتيب)، وهذا ما سنتطرق إليه في التعريف اللّغوي؛ وإمّا محاولات للتفسير ومثال ذلك ما قاله الخطابي حين عرّف ببلاغة النّظم: (إنّما وضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به الذي إذا أبدل مكان غيره، جاء منه إمّا تبديل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام وإمّا ذهاب الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة)².

1 - الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفّع، دار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت، ط1، 1977م، ص19.
2 - التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن6هـ، ينظر حمادي، صمود، منشورات الجامعة التونسية، 1981 ص27.

وإن صحَّ القول فإنَّ محور النَّظريَّة البلاغيَّة العربيَّة ومركزها يتمثَّل في نظريَّة النَّظْم ولهذا وجب علينا التَّعرُّف على أصول هذه النَّظريَّة والكشف عن تعاريفها ورصد صداها، وتحديد آفاقها وذلك بأن ندقِّق في تلك الخيوط المبعثرة التي جُمعت، وتلاحمت لتصنع نسيج هذه النَّظريَّة، فنمر بعلماء الإعجاز والنَّحو والتفسير لنستطيع الولوج إلى كيفية نشأتها منذ أن كانت مصطلحا مبعثرا بين أمَّهات الكتب حتَّى وُضعت لبنة لا يمكن تجاوزها أو نسيانها وهذا ما نحاول في بحثنا معرفته وماهنا إلا دليل على أنَّ الفضل يعود إلى هؤلاء العلماء خاصة منهم عبد القاهر الجرجاني في تحديد معالم هذه النَّظريَّة التي أطلق عليها اسم - نظريَّة النَّظْم - بعدما كانت تحمل تسميات مختلفة وكذا الارتقاء بها إلى أوجِّ مراحلها وذلك من خلال تطبيقها على مختلف مسائل اللُّغة .

ولنكشف هذه النَّظريَّة، وحققيتها العلمية، وبيان قيمتها ومعالمها وأثرها، وكذا اتِّصالها بلسانيات النَّص وجب علينا أن نتوقف أوَّلا عند مدلولاتها اللُّغوية والاصطلاحية.

1.3. التعريف بالمصطلحات

مما لا شك فيه أنَّ العرب القدماء جعلوا فكرة النَّظْم تشيع بين النَّقاد والأدبيين منذ أمد بعيد حيث عُدت من أهمِّ إنجازات النَّقد العربي القديم، ولم تقف هذه الفكرة على مجرد أُمَّها مصطلح متداول بين العلماء آنذاك، وبُنيت على أساس من العلم والفن مازةً بمراحل مختلفة من دراسات ومحاولات فردية بسيطة إلى نظريَّة مكتملة يتفاضل بها البلغاء، حيث أضاءت طريق البحث والدراسة والفضل كل الفضل لعبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري وقبل التَّفصيل في كلِّ هذه الجهود فإنَّه لا بدَّ من تعريف مصطلح النَّظْم، وكذا مصطلحي اللَّفْظ والمعنى، ليكون ذلك بتقديم التَّعريفين اللُّغوي والاصطلاح، وهذا لما فيهما من أهميَّة في تمكينهما من التَّمهيد لجهود النَّقاد والبلاغيين العرب في هذه النظريَّة.

1.1.3. مفهوم النظم

1.1.1.3. لغة :

ورد في لسان العرب لابن منظور نظم: « النَّظْم، التَّأْلِيفُ نَظْمَهُ يَنْظُمُهُ نَظْمًا وَنَظَامًا وَنَظَمَهُ فَانْتَظَمَ وَتَنْظُمٌ وَنَظَّمْتُ اللَّوْلُؤَ أَي جَمَعْتَهُ فِي السَّلَكِ، وَالتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَّمْتُ الشَّعْرَ وَنَظَّمْتَهُ...، وَالتَّنْظَامُ كُلُّ مَا نَظَّمْتُ فِيهِ الشَّيْءَ مِنْ خَيْطٍ وَغَيْرِهِ وَكُلُّ شَعْبَةٍ مِنْهُ وَأَصْلُ نَظَامٍ وَنَظَامٍ كُلُّ أَمْرٍ : مَلَائِكُهُ وَالجَمْعُ أَنْظَمَةٌ وَأَنْظِيمٌ وَنُظْمٌ، وَالانْتِظَامُ الْإِتْسَاقُ، وَالجَمْعُ أَنْظَمَةٌ وَأَنْظِيمٌ وَنَظْمٌ»¹.

وجاء في معجم العين للخليل « نَظَمَ النَّظْمُ نَظْمَكَ حَرَزَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فِي نَظَامٍ وَاحِدٍ وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى قِيلَ: لَيْسَ لِأَمْرِهِ نَظَامٌ أَي لَا تَسْتَقِيمُ طَرِيقَتُهُ، وَالنَّظَامُ: كُلُّ خَيْطٍ يُنْظَمُ بِهِ لَوْلُؤٌ أَوْ غَيْرُهُ فَهُوَ نَظَامٌ»².

ويعرفه الزمخشري بقوله : « نَظْمٌ نَظْمَتُ الدَّرِّ وَنَظْمَتُهُ وَدَّرَ مَنْظُومٌ وَمُنْظَمٌ وَقَدْ انْتَظَمَ وَتَنَظَّمُ لَهُ نَظْمٌ مِنْهُ، وَنَظَامٌ، وَنُظْمٌ فِي مَجَازِ الْكَلَامِ، هَذَا نَظْمٌ حَسَنٌ وَانْتَظَمَ كَلَامَهُ وَأَمْرُهُ وَهَذَا الْبَيْتَانِ يَنْتَظِمُهُمَا مَعْنَى وَاحِدٍ»³.

فالواضح هنا أنّ معنى النظم هو ضمّ الأشياء بعضها إلى بعض وتنسيقها على مبدأ معين كما تضمّ حبات اللؤلؤ أو الدرر في نظام يجمعها على نحو الاتساق وهذا ما سيؤكدده القاموس المحيط .

1- لسان العرب، ابن منظور، ص686.

2 - العين، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تح: مهدي الخرومي، وإبراهيم السامرائي، ج8، مؤسسة الأعملي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ. 1988م، ص165.

3- النظم بين القرآن والشعر في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، بن ضالة، فطنة، دار العنقاء للنشر والتوزيع والدعاية المغرب، 2013م، ص78.

ويقول الفيروز أبادي في القاموس المحيط: النظم: « التّأليف، وضّم شيء إلى شيء آخر، والمنظوم ... ونظم اللؤلؤ ينظمه نظماً ونظاماً، ونظّمه: ألّفه، وجمعه في سلكٍ، فانتظم وتنظّم ... والنّظام: كلّ خيطٍ ينظم به لؤلؤ ونحوه»¹.

أمّا الزّبيدي فقد قال: « النّظم، التّأليف، وضّم الشيء إلى شيء آخر، وكلّ شيء قرنته بآخر فقد نظمته، والنّظم (المنظوم) باللؤلؤ والخرز، وصف بالمصدر، يقال: نظم لؤلؤ والنّظم: (الجماعة من الجراد) يقال: جاءنا نظّم من الجراد، وهو الكثير، كما في الصحاح وهو مجاز...، والنّظم (التّريّا) على التّشبيه بالنّظم من اللؤلؤ... (ونظم اللؤلؤ ينظمه نظماً ونظاماً)، بالكسر (ونظّمه) تنظيماً: (ألّفه وجمعه في سلكٍ فانتظم وتنظّم، ومنه: نظمتُ الشّعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل وله نظم حسن، ودرّ منظوم ومنظّم»².

فمن خلال هذه التعريفات الواردة أعلاه نستنتج أنّ المفهوم اللّغوي لكلمة النّظم حتّى وإن تشعبنا في قائلها وأطلقنا في تعريفها لكن جُلّ المعاجم لها نفس التّعريف الذي يكمن في أنّ النّظم عبارة عن خيط تنتظم وقفه حبات اللؤلؤ، كما أنّ النّظم حمل في معناه الجمع والكثرة كما قيل أثنان من الجراد أي صف كثير منه، وأفاد الضّم والتّسويق؛ أي ضمّ شيء إلى آخر وتنسيقهما معاً؛ وثالثاً جعل بمعنى الاستقامة والقوّة؛ ولذلك يقال ليس لأمر نظام؛ أي استقامة.

وهذه النّقاط المستفادة من مفهوم النّظم لغة موجودة في القرآن الكريم، حيث أحكمت آياته وسوره وفيها من القوّة والاستقامة مما جعل الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ أَقْبَلًا يَتَدَبَّرُونَ أَلْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء، الآية 81).

1- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين، ص 1162.

2- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد، بن عبد الرزاق، المطبعة الخيرية، مصر، 1888م، ص 496.

2.1.1.3. اصطلاحا:

جاء في معجم التعريفات: «النظم هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل»¹، كما أتى في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب بأنّ النّظم هو التّأليف الشّعري عامّة الذي يلتزم قواعد متواضعا عليها من حيث الوزن خاصة والعروض عامة.

ويعرّفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: «واعلم أن ليس النّظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها»²؛ فالنّظم عند الجرجاني تركيب الكلمات والتّنسيق بينها، بحيث يأخذ بعضها ببعض، ولذلك وجب على الأديب أن يدرس النّحو لأنّ النّظم في جوهره هو النّحو في أحكامه، إذ به يعرف ما ينشأ عن الكلمات حين تتغيّر مواضعها من المعاني المتحدّدة المختلفة للكلمة المفردة لاقيمة لها عند الجرجاني قبل دخولها في التّركيب، ودليل هذا في معنى قوله: أنّك تجد الكلمة فتروك في موضع، ثمّ تجدها هي نفسها في موضع آخر فتعفّها.

وبهذا يكون اللفظ بمفرده لا اعتبار له دون إفادته المعنى -وهذا ما سنوضّحه لاحقا- لنقف على أنّ النّظم والنّحو تجمعهما علاقة تكامل ولا يمكن تقديم أحدهما على الآخر؛ أمّا الجاحظ (ت225هـ) فقد أولى أهميّة بالغة للتّمهيد للبيان والتّبيين ومنح لغة الشّعور المرموقة ببسط أسباب الانسجام اللّساني حيث قال: «... وأجود الشّعور ما رأيت متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغًا واحدا، وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللّسان كما يجري الدّهان»³.

1 - معجم التعريفات، الشريف، الجرجاني، ص 203.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص24.

3 - البيان والتّبيين، الجاحظ، ص75.

الجاحظ هنا جعل النظم يأخذ معنى التثبيت والتمسك والربط والتأليف القائمة جميعها على اختيار الكلمات وضمها إلى بعضها البعض هذا ما تتبعنا أثره عند القدماء، أما عند المحدثين نأخذ تعريف صالح بلعيد فيقول: «النظم هو تأليف وضم مجموعة من العناصر المتحددة في العملية ليكون الكلام حسنا حسب خصائص معينة¹:

- حسن الاختيار لأصوات الكلمة.

- تعليق الكلمة في ذاتها.

- تعليقها بما تجاوزها وليس بضم الكلمات كيفما جاءت.

- مراعاة الموقع النحوي الأصيل حسب ما تقتضيه بيئة العربي.

- مراعاة المعنى المباشر(السطحي)غير المنزاح، والمعنى غير مباشر (المنزاح).

نستخلص مما سبق أنّ الدراسات تُجمع على أنّ النظم وضع الكلم حسب ما يقتضيه الحال ليصبح السبك والتأليف والتعليق والبناء وميزات ومقاييس يتحقق بها نظم الكلام ليصبح حسنا مقبولا؛ وهذا حسب قول الجرجاني في موقع آخر: «فليس الغرض بنظم الكلم أن توات أفاظها في التطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»².

فيكون لا بد للنظم من أمرين جعلناهما أساس قيام هذه النظرية، -وسبق الإشارة لهما- ألا وهما المعنى الذي نريد التحدث عنه، ويليه اللفظ الذي عن هذا المعنى فإن اختلف المعنى الذي نريد التعبير عنه فلا بد أن يختلف اللفظ حتى وإن كانت مادته واحدة هناك إذن الصورة والمعنى

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 24.

2 - المصدر نفسه، ص 64.

الذي نعبر عنه بهذه الصورة¹؛ فالكلام يقتضي أن يكون مرتباً متألّفا وأنت تنطق به قد صمّم تصميمًا تاماً ليتوافق مع المعاني التي تريد التعبير عنها، فيحدث النّظم.

ومثال ذلك ما قدّمه فضل حسن عباس من شرح وتحليل عندما قال: قد يسألك سائل: هل حفظت سورة البقرة؟ يمكنك أن تجيبه بالجملتين: (حفظت سورة البقرة) (سورة البقرة حفظت) ولكن هل الجملتين في هذه المعنى سواء؟

سنجد أنّ هناك اختلاف في المعنيين، وهذا لا بدّ أنّه يحيل مباشرة إلى وجود اختلاف بين اللفظين رغم أنّ اللفظ في كلتا الجملتين واحد، لكنّ الاختلاف يكمن في النّظم، أي ترتيب الكلمات فالجملة الثانية (سورة البقرة حفظت) قدم المفعول على الفعل، وهذا التّقديم يفيد القصر والاختصاص معنى هذا أنّي لم أحفظ إلا هذه السورة، أمّا في الجملة الأولى (حفظت سورة البقرة) لا تدل على أنّي لم أحفظ غير هذه السورة.

وهكذا ندرك أنّه إذا كمن الاختلاف في المعنى الذي نريد التعبير عنه في أنفسنا فلا بدّ أن يختلف اللفظ الذي نريد أن نعبر به².

هذا ما يجعلنا نقف عند قول الجرجاني في قضية توضيحه لمفهوم النظم وفهم سرّه في ذلك: «... والفائدة في معرفة هذا الفرق، أنّك إذا عرفته عرفت أنّ الغرض بنظم الكلم أن تواتر ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل»³.

ويرى محمد مندور فكرة النّظم عند عبد القاهر ابتدأت بنظرة فلسفية في اللّغة حيث تحدّث عن دلالات اللفظ وحكمه في المواضع وتأثيره مفرداً أو مركباً.

1 - البلاغة فنونها وأفانها - علم المعاني -، عباس فاضل، دار الفرقان ، عمان، ط4، 1999م، ص85، 86.

2 - إعجاز القرآن الكريم، عباس، فاضل (بالاشتراك): دار الفرقان، عمان، ط4، 2001م، ص80 نقل بتصرف.

3 - دلائل الإعجاز الجرجاني، عبد القاهر، ص 40، 41.

ثم انتهى إلى الذوق الشخصي الذي هو المرجع الأخير لكلّ باحث ودارس¹.

يُستخلص ممّا تقدّم أنّ نظريّة النّظم قد بيّنت علاقة الفكر باللّغة، فوضّحت المعاني التّحوية في أدائها الدّلالي، يقول الشريف الجرجاني في تعريفه للنّظم كذلك: « النّظم هو تأليف الكلمات والجمل مرتّبة المعاني متناسبة الدّلالات حسب ما يقتضيه العقل»²؛ فيكون الشريف الجرجاني قد استمدّ تعريفه من تعريف عبد القاهر الجرجاني الذي أكّد هذا المفهوم ورسّخه في أذهان من جاءوا بعده.

هذه عصارة لمفهوم النّظم -اصطلاحاً- فأنتجت فكراً لم يولد من فراغ أو يُبنى على هواء بل نظريّة علميّة قائمة بحدّ ذاتها في كلّ العصور كانت على يدّ أحد عظماء هذه الأُمَّة -رحمهم الله- الإمام عبد القاهر الجرجاني.

2.1.3. مفهوم اللفظ و المعنى

تختلف اللّغات باختلاف المجتمعات وكلّ متكلم بلغة من هذه حسب بيئته اللّغات تتكوّن لديه من تعلّمه وممارسته لها عادات خاصة تتعلّق بكيفية تأليفه للكلم والجمل فيتعودّ عليها كما يتعود على نطق أصوات لغته ومقاطعها وكلماتها، لتصبح جملاً بطريقة لاشعورية ضمن استعمال لغوي ليرقى إلى نظم في التّأليف الكلمات لاسيما وأنّ هذا النّظم يصدر عنه بإرادته وهكذا يتمّ التّفاهم الإنساني وتلتقي المعاني مرتّبة بالترتيب الذي يقدمه إلينا الكلام ؛ أي في الصور أو الأشكال اللفظيّة التي يظهر بها الكلام³.

لذلك تعلّقت نظريّة النّظم بهذه الألفاظ وما تقدّمه من معنى، فكانت لشائبة اللفظ والمعنى النّسيج واللّبنة التي قامت عليها نظرية عبد القاهر الجرجاني، ولهذا سنتطرّق لتعريف كلّ منهم لغة

1 - في الميزان الجديد ، مندور ، محمد ، ص193.

2 - الجرجاني، الشريف، التعريفات، ص242.

3 - علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، السعران، محمود، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص225، 226.

واصطلاحا والوقوف على أهميتها في التأسيس لهذه النظرية ، بعد أن درس عدّة جوانب منها خاصة ما كان من صراع بين التقاد وأدباء البيئة العربيّة من مناصر لقضية اللفظ، وآخر لقضيّة المعنى ووقوف وقفة الناقد المتبصّر الذي يحكم فكره وحسّه وذوقه في كلّ ما يقرأ وليست مهمّتنا أن نقف طويلا أمام قضيّة اللفظ والمعنى، ونتعمّق في تفاصيل نشأتها و تاريخ تطوّرها، أو الأسباب التي أدّت إلى قيامها، وإّما نعرض بإيجاز بعض الحقائق حولها خاصّة ما تعلق حولها فيما يفيدنا في بحثنا.

1.2.1.3 مفهوم اللفظ

1.1.2.1.3 لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ): « لفظ اللفظ: أن تقوم برمي شيء كان في فيك، والفعل لَفَظَ الشيء. يُقال لَفَظْتُ الشيء من فَمِي أَلْفَظُهُ لَفْظًا رَمَيْتُهُ، وَذَلِكَ الشَّيْءُ لُفْظًا»¹.

2.1.2.1.2 اصطلاحا: جاء في التعريفات للشريف الجرجاني أنّ اللفظ هو: « ما يتلفظ به الإنسان أو في حكمه، مهملًا أو مستعملاً»².

كل ما تقدّم إشارات فقط لمفهوم مصطلح اللفظ والمعنى، ونظرا لأهمّيتها لا يسعنا المقام للخوض في التحليل والتفصيل في هذه القضية، ولكن ما يمكن أن نستخلصه أنّ للفظ والمعنى ارتباط كبير بمختلف العلوم ومجالات المعرفة الإنسانية قديما وحديثا فكلّ ما له علاقة بالكلمة واللغة هيمن عليه كلا المصطلحين وشغل بال اللغويّون والنحاة والفقهاء والمتكلمون، وتضاربت حولها الآراء واختلفت المناهج والمصطلحات من حقل لآخر، ومن ناقد لآخر فمن الذين فصلوا في هذه القضية الثنائيّة الجاحظ(ت255هـ)، أبو هلال العسكري (ت395هـ) ، ابن قتيبة (ت276هـ) القيرواني (ت456هـ) وغيرهم من البلاغيين؛ ... ويعدّ إمام جرجان رحمه الله -عبد القاهر- أحد

1 - لسان العرب، ابن منظور، ص 4053.

2 - التعريفات الجرجاني، الشريف ، ص189.

أعلام العرب الذي أثار ظلمات هذه الثنائية وأحالتها نورا بعدما تصارع عليها علماء كثر ليصطلح عليها فيما بعدب:(نظرية النظم) هذه الأخيرة التي كانت بمثابة المولود الجديد الذي أنجبتة قضية اللفظ والمعنى خاصة عند العرب ، حيث صاغ فلسفتها البلاغية التي جعل محورها نظرية النظم رابطا فيها بين اللفظ والمعنى وبين دلالة الألفاظ الأسلوبية ودلالاتها الثانوية ، وجعل النظم وحده هو مظهر البلاغة والقيمة الجمالية في النص الأدبي.

يتّضح لنا من خلال هذين التعريفين أنّ المعاني التي في نفس الإنسان يستطيع التعبير عنها عن طريق ما يسمّى بـ «اللفظ» وهو أسير شيء لاستخدام أنواع عدّة من التعبيرات لمطلب واحد أو عدّة مطالب في تعبير واحد .

2.2.1.3. مفهوم المعنى

1.2.2.1.3 لغة: ورد في المعجم الوسيط أنّ «المعنى» ما يدلّ عليه اللفظ جمعه معاني والمعاني: ما للإنسان من الصفات المحدودة؛ يقال فلان حسنُ المعاني¹.

2.2.2.1.3 اصطلاحا :

المعنى عند الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات هو: « الصّورة الذهنية من حيث إنّه وضع بإزائها الألفاظ والصّور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنّه وضع إنّها تحصل من اللفظ سمّيت: معنًى، ومن حيث إنّها في العقل تحصل من اللفظ في العقل سمّيت: مفهوما، ومن حيث إنّها مقول في جواب ماهو، سمّيت ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج، سمّيت: حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأغيار سمّيت هوية»².

1 - المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، وآخرون، ص633.

2 - التعريفات، الجرجاني، الشريف، ص214.

نستنتج من خلال ما قاله الشريف الجرجاني أنّ المعنى هو الذي يستقرّ عليه القلب ويطمئن له عند إرادة اللفظ .

2.3. نشأة نظرية النظم وتطورها

القرآن الكريم عربي المبني، فصيح المعنى، لقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَيَّ فَلْيَكَلِّ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ ﴾ (سورة الشعراء، الآية193،195).

واستناداً لهذه الآية الكريمة جاء القرآن الكريم، فأعجز العرب بتأليفه العجيب ونظمه البديع، إذ أنّهم عجزوا ووقفوا أمام نظمهم مذهولين، فتحدّاهم القرآن أن يأتيوا بمثله، وهو كتاب الله المعجز، أو حتى أن يطعنوه أو يشكّكون في إعجازه خاصّة ما وقع من الفتنة التي أحدثها بعض الزنادقة والتي سُميت بفتنة خلق القرآن في آخر الخلافة الأموية في ق2هـ.¹

وما كان إلاّ على علماء الإسلام أن يتصدّوا لهذه الأفكار والفتن المعادية للقرآن الكريم حتى نشأت فكرة كانت هي الأساس في خدمة العقيدة الفكرية، كلمة شاعت عند الأشاعرة، وجرى الحديث بها على ألسنتهم ونشأت في كنف بيئتهم هي كلمة النّظم حتى وإن ضربت جذورها عند المعتزلة أمثال الجاحظ وغيرهم.

وفي شأن تاريخ فكرة النّظم فقد بمرحلتين يمكننا إجمالها في الآتي:

1.2.3. النظم قبل الجرجاني

يتفق الباحثون في نظريّة النّظم على أنّ هذه الكلمة كثر تداولها وشاع استعمالها على أقلام الكتابين في قضية الإعجاز القرآني، منذ القرن الثاني الهجري، غير أنّ الفكرة لم تأخذ معنى واضحاً بل نجد في جلّ النصوص المكتوبة سوى ما يتبادر إلى الذهن من المعنى لكلمة النّظم، والسبب راجع إلى أنّ علماء العرب المتقدّمون لم يحدّدوا أسسها لما تعرّضوا لها، ولم يقصدوا توضيحها

1 - النظم عند القاهر الجرجاني في كتابات المحدثين، واكي راضية، مجلة التنوير جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين المجلد/العدد:14، دار المنظومة، جميع الحقوق محفوظة، ص414.

بذاتها¹؛ - كما سبق وأشرنا- بل أشاروا مجرد إشارات أصبحت فيما بعد مهذا لإرساء نظرية قيمة اعتبرها الدارسون أنّها لم تولد من العدم، وكان الفضل لعبد القاهر الجرجاني.

ومن هذا المنطلق تكون المرحلة الأولى لنشأة فكرة النظم مرحلة تُعتبر من قبيل الإشارة إلى مفهوم هذه الفكرة، وشيء من مضمونها في معظم كتابات ذلك العصر منهم ابن المقفع (ت142هـ) سيويه(ت180هـ)، بشار ابن المعتمر المعتزلي(ت200هـ)، والرّماني (ت384هـ) وغيرهم ويُعدّ ابن المقفع أوّل من كانت له الأسبقية للإشارة إلى النظم حيث قارن فيها بين عمل الأديب وعمل الصّايغ، فالأوّل ينظّم الكلام، والثّاني يُنظّم الياقوت والزبرجد في قلائد وسموط فيقول: «فإذا خرج النّاس من أن يكون لهم عمل، وأن يقولوا قولاً بديعاً، وليعلم الواصفون المخبرون أنّ أحدهم وإن أحسن وأبلغ ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدا فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليل، ووضع كل فصّ موضعه، ويجمع إلى كلّ لون شبهه ممّا يزيد به بذلك حسناً فيسمّى بذلك صائغاً رقيقاً وكصاغة الذهب والفضّة صنعوا فيها ما يعجب النّاس من الحلّي والآنية»² فتلتقي نظرة ابن المقفع مع المدلول اللّغوي لكلمة نظم.

أمّا اختيارنا فقد كان عالم النّحو سيويه نظراً لالتماس العلماء بدايات إشارات لكلمة النّظم عنده حتّى ولو لم تكن لفظاً ولا مصطلحاً، لأنّ النّحو العربي احتاج في بحثه إلى تحليل الكلام وهذا بدوره يقوم على تحليل ودراسة وحدات تُبنى على التّناسب والانسجام، فكان النّحاة العرب يبحثون عن أفكار تساهم في تأسيس البناء النّحوي منذ سيويه حتّى الجرجاني الذي استطاع توظيف كلّ هذه المعاني النّحوية في بناء فكرة النّظم.

1 - نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مقدماتها، أركانها، قيمتها، خالد ربيع الشافعي، مجلة الدراسات الشرقية، ع37

جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، مصر، يوليو2006م، ص359.

2 - أثر النحاة في البحث البلاغي، حسين عبد القادر، دار قطري ابن الفحاء، قطر، ط2، ص398،399. (بتصرف).

3.1.2.1. سيويه (ت180 هـ)

جعل النّحة هذا الاتجاه مجالا قدّموا فيه جهودا ودراسات جليلة تاركين من خلالها آثارا فاعلة في إبراز جوهر هذه النّظرية حتى أرسى القواعد اللّغوية، وألبست الدّراسات اللّغوية ثوبا زاهيا بهيا يتمثل في تأسيس نظريّة النّظم كنظريّة للفكر اللّغوي العربي وقد برز سيويه من خلال كتاباته في محاولاته دائما أن يُقيم الرّوابط ويقوّي الوشائج بين الأسلوب المستخدم والمعنى المراد، من صدق أو كذب، ويؤلّف العبارة وما فيها من حسن أو قبح أو استقامة أو إحالة، كلّها من باب نظم الكلام، ويؤكّد هذا في أوّل الكتاب بقوله: « هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، ويفسر قوله هذا بأنّ المستقيم حسن، فقولك أتيتك أمس وسأتيك غدا، فهو ما استوفى شروط الصّحة لفظاً ونظماً ومعنى؛ وأمّا المحال أن تنقض أوّل كلامك بآخره ومثل له ب: أتيتك غداً أو سأتيك أمس والصّواب أن تقول أتيتك أمس، وسأتيك غدا ليتوافق الفعل الذي افتتح به الكلام مع الظرف الّتي اختتم به وهو مخالف لقواعد النّظم في كلام العرب، ولهذا قال أبو الحسن سعد بن مسعدة الأخفش تلميذ «سيويه» في هذا القسم، هو ما لا يصحّ له معنى، ولا يجوز أن تقول فيه صدق ولا كذب لأنّه ليس له معنى، ألا ترى أنّك إذا قلت: أتيتك غدا لم يكن للكلام معنى تقول فيه صدق ولا كذب الكتاب»¹.

وفي موضع آخر يأتي القبيح الذي هو وضع اللفظ في غير موضعه ومثّل سيويه لهذا: قد زيداً رأيت، وكي زيداً يأتيتك ... والأصل أن يُقال: قد رأيتُ زيداً، وكي يأتيتك زيداً... فهو كما ترى صحيح اللفظ لكنّه ضعيف النّظم، قد يُفهم منه مقصده، ومعناه، ولكنّه معيب تركيبياً وإعرابياً بسبب دخول «قد» و «كي» على الاسم بدل الفعل؛ وهذا دليل على قبح النّظم وفساده وما دليل هذا عند عبد القاهر إلّا توخّي معاني النّحو، ووضع الألفاظ في موضعها الصحيح فإن لم تراعى ذلك فسد النّظم وخرج عن كلام النّاس .

1 - الكتاب، سيويه، ص 26.

وأما الكذب فممثل له ب: حملت الجبل وشربت ماء البحر، ولعلّه قصد به ما استوفى شروط الصّحة في لفظه ونظمه، لا معناه فكأنّ سيبويه يحاول أن يشير إلى أنّه لا مزية في جعل اللفظ أساس النّظم دون أن تحتاج إلى طلب المعنى؛ وعبد القاهر يحقّق القول في البلاغة والفصاحة بين اللفظ ومعناه فيقول: « وأنت إن أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال، وإّما تطلب المعنى، وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك، وإزاء ناظرك، وإّما كان يتصوّر أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى، أن لو كُنْتِإِذَا طلبت المعنى فحصلته ، احتجت إلى أن تطلب اللفظ على حدة، وذلك محال، لا يقبله العقل»¹.

فمن هذا المنطلق يخالف الجرجاني سيبويه في ما أتى به لينطلق بقوة شرحه وتشبّعه واثقا بأنّه لا نظم في الكلام ، ولا ترتيب، حتّى يعلق بعضه ببعض ويبنى بعضه على بعض، وأنّ اللفظ تبع للمعنى في النّظم.

والمستقيم يُتصد به ما استقامت ألفاظه ولم تنتقض، لأنّ سيبويه جعل هذا القسم مقابل للمحال الذي عرّفه بانتقاض أوّله بآخره، ولأنّه جمع بين صفة الاستقامة، وصفة الكذب التي عُني بها على الرّاجح ما لم يصحّ معناه، وصحّ لفظه، وتركيبه حيث مثل له بقوله شربت ماء البحر وجمع بينها وبين القبيح الذي عني به، ومثّل له ب: قد زيدا رأيت ... فيفهم من هذا أنّه لم يعني بالاستقامة صحّة المعنى أو العيب في النّظم أو التّركيب سوى استقامة اللفظ وصحّته-والله أعلم-. ومهما يكن الأمر على التّفصيل فالأرجح أنّ سيبويه قد راعى النّظم واعتبره مقياسا ومعيارا يوزن به الكلام وينتقده، ليكون سيبويه أوّل من ميّز بين السّلامة الرّاجعة إلى اللفظ (المستقيم الحسن القبيح) والسّلامة الخاصّة بالمعنى (المستقيم، المحال).²

وفي موضع آخر من علاقة النّظم والدّراسات النّحوية الاهتمام بالعلاقات المتنوّعة بين الكلمات ثم بين الجمل، وما يصيبها من تقدّم وتأخير وحذف وما فيه من فصل ووصل وغيرها من الظواهر

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 45 وما بعدها-بتصرف-.

2 - الكتاب، سيبويه، ص 25، 26.

اللغوية التي تطرأ على الكلام، وهذا ما أسماه سيويه ائتلاف الكلام وما يؤدي إلى صحته وفساده¹ كما تناول سيويه لفظ البناء الذي يدل على معنى النظم فالجملة عندما تنتظم كلماتها تكون بناء متراصاً فقال في باب المسند والمسند إليه: « وهما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، مثل ذلك: يذهب عبد الله فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدء من الآخر في الابتداء»².

وأشار في موضع آخر إلى ما عُرف عند اللغويين بعده من أن كلّ تعبير في المبني يؤدي بالضرورة إلى تعبير في المعنى، فيقول: « وهذا أكثر من أن أصفه لك في كلام العرب فقد يكون الاسمان مشتقّين من شيء والمعنى فيهما واحد، وبنائهما مختلف، فيكون أحد البنائين مختصاً به شيء، دون شيء ليفترق بينهما»³، وقد ترك هذا المبدأ أثراً بالغاً واضحاً عند من تحدّث في النظم في مرحلة تالية، كما أنه يشير في حديثه إلى مفهوم الخبر والإنشاء واستخدام الخبر في معنى الإنشاء⁴.

وهذا ليس بالأمر المستغرب في حقّ إمام النحو وشيخه سيويه الذي ازدهر في عصره النحو ورُسمت له خطوط كبرى لتطور الدراسات النحوية بعده انطلاقاً من كتابه الذي أخذه عنه النحاة والبلاغيون أصوله، ووضعوا نظريّتهم على ما أتى به، بيد أنّ سيويه وغيره لم يستموا ذلك «نظماً» ولكنها تُعدّ خطوة في طريق النظم، مهّدت لغاية حتّى وصلت إلى مستواها عند عبد القاهر الجرجاني

2.1.2.3. الجاحظ: (ت 255هـ)

يُعدّ الاهتمام بنظم الكلام قديماً قدم الأبحاث اللغوية ذلك أن عبد القاهر الجرجاني، لم يكن أوّل من اهتم بالنظم - كما سبق الدّكر - حيث أنّ المرحلة الثانية لفكرة النظم كانت مرحلة

1 - الكتاب، سيويه، ص 25.

2 - المصدر نفسه، ص 23.

3 - نفسه، ص 102.

4 - نفسه، ص 504.

استخدام هذا المصطلح بلفظه؛ ويعتبر الجاحظ أول من تكلم صراحة عن النظم في كتاباته خاصة ما تعلق منها بالقرآن الكريم مقارنة بسائر الكلام.

ليكون أول من برزوا في القرن الثالث الهجري، وأشهر من عرض لمعجزة القرآن الكريم في مؤلفاته حيث سُمي أحد كتبه (نظم القرآن)، ومما قاله في هذا: « وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه، البديع الذي لا يقدر على مثله العباد»¹، وتناول كذلك النظم في رسائله التي تحدثت عن معجزة سيدنا «محمد صلى الله عليه وسلم» المتمثلة في القرآن ونظمه بقوله: «ولا يعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه، وأنه حجة لمحمد(صلى الله عليه وسلم) على نبوته غير كتاب الجاحظ»² فالجاحظ يؤمن أنّ القرآن معجز بنظمه وتأليفه رغم أننا لا نستطيع أن نعرف بدقّة ما كان يقصده بكلمة النظم؟ وما هو مدلولها المحدد في كتابه الذي يُعدّ ضمن الكنوز المفقودة في تراثنا العلمي على حدّ قول أحد أعلام المعتزلة أبو الحسين الخياط كما أنّ الجاحظ قد وصف كتابه (نظم القرآن) فقال: «ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن لتعرف فضل الإيجاز والحذف، وفرق بين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة كما أنّ علماء عصره وضعوا أنّها يعرف للنظم مكانته وتعظيم شأنه لما فيه من قدر وفضل للكلام الذي لا يستقيم إلّا به فقال في هذا: «... ولو أنّ رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة قصيرة أو طويلة، لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنّه عاجز عن مثلها ولو تحدّى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها»³.

يرى أنّ القرآن معجز بنصّه وأسلوبه ليوضح أكثر القرآن حقّ وليس تأليفه بحجّة، ثم يذهب إلى أنّ الإعجاز بالنظر إلى ذات القرآن يتّصل بنظمه، وكان دليله على هذا أنّ الله سبحانه وتعالى طلب إلى العرب « أن يأتوا بعشر سور مثله في النّظام، والرّوعة والتّأليف، حتّى ولو حوى التّأليف

1 - الحيوان، الجاحظ، ص 90 .

2 - إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، سلطان، منير، منشأ المعارف الإسكندرية، ط3، 1986، ص 47.

3 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 190.

كلّ باطل مفترى لا معنى له»¹؛ وهذا ما سيأخذنا فيما بعد إلى قضية الصّرفة والنّظم حتّى ولو كانت -مجرّد إشارة-.

فالجاحظ عرّف النّظم، أو جعل له كلمة وردت مرادفا هي «التّأليف» كقوله: « إنّ الرسول تحدّى البلغاء والخطباء والشّعراء بنظمه وتأليفه»²؛ كما ورد عنده في عدّة مقامات أخرى بمعنى البيان والإنشاء، وهذا يُجمع على أنّ الجاحظ بإشاراته قد رسم خطوطا لنظرية النّظم وأنّ الجرجاني قد استفاد ممّن سبقوه وسار على خطاهم.

ولا نعتبر الجاحظ وحده صاحب هذا الرأي فيما يخصّ النّظم البديع، والتّأليف العجيب لكلام الله عز وجل، بل هناك كتب موسومة بنظم القرآن منها: لعبد الله بن أبي داود السجستاني (ت316هـ) أبي زيد البلخي (ت322هـ)، كتاب محمد بن يزيد الواسطي (ت306هـ) الذي يجمع في عنوانه بين عبارتي الإعجاز والنّظم.

وفي شأن النّظم أيضا يذهب الجاحظ إلى دراسة الأدب وفنونه، وأغراضه لكي يعرف القارئ الفرق بين التّظمين فيقول: « فزق بين نظم القرآن وتأليفه فليس يعرف فروق النّظم، واختلاف البحث في الشّعر والنثر إلّا من عرف القصيد من الرّجز والمخمس من الأسجاع والمزدوج من المنشور وحتّى يعرف العجز العارض الذي يجوز ارتفاعه من العجز الذي هو صفة الذات فإذا عرّف صنوف التّأليف عرف مبانيه نظم القرآن سائر الكلام»³.

وتحدث عن الكلمة أيضا ليجعلها ركيزة أساسية للنّظم واشترط فصاحتها فقال: « يجب أن تكون بريئة من تنافر الحروف حتّى تبدو وكأنّها بأسرها حرف واحد»⁴.

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص75.

2 - البلاغة العربية في دور نشأتها، سيد، نوفل، مج، 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م، ص20.

3 - قضية الإعجاز القرآني وآثارها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ص34.

4 - المرجع نفسه، ص177.

وفي نظره كذلك أنه لابد من تلاحم الكلم وتشبث بعضها ببعض، وعدم تفرقتها، وحسن سبكها فأجود الشعر حسب ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفرغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان.

وهذا الكلام وإن حُمل بعضه على المعنى الاصطلاحي للنظم يكون صريحاً مباشراً في أنّ النظم هو تأليف الكلمات وضم بعضها إلى بعض، وإن لم يكن ضمن نظرية علمية مقننة ومضبوطة وكأنه ومن سبقه مهما كثرت أقوالهم حول الكلمة لا يستعملونها إلا في مفهومها العام لأنهم تعرّضوا للمصطلح (النظم) في صورة جملة، ولم يحلّوه تحليلاً لغوياً يكشف عن طاقة اللغة وما توقّره للمستعمل من إمكانيات التركيب والتأليف .

ولقد أجمع الباحثون أنّ الجاحظ من الأوائل الذين أشاروا إلى «النظم» خاصة في نظم القرآن الكريم وتأليفه في مقدمة كتابه المشار إليه نظم القرآن قوله: « فلم أدع فيه مسألة لرافضيّ، ولا لحدثي ولا لحشويّ، ولا لكافرٍ مُبادٍ، ولا لمنافقٍ مقموع، ولا لأصحاب النّظام، ولمن بجم بعد النّظام، ممن يزعم أنّ القرآن خلق، وليس تأليفه بحجّة، وأنّه تنزيلٌ وليس برهان ولا دلالة»¹ ليوضح الجاحظ جوانب الإعجاز في التأليف والنظم على الرغم من أنّه في مواضع أخرى يبيّن ميله إلى القول بالصّرف في إظهار العرب عن مجازات القرآن والإتيان بمثله .

فنستشف من هذا أنّ آراء الجاحظ وما عثارها من جدل حول قضية النظم في الإعجاز القرآني هل كانت عنده بالصّرف أم بالنظم، أم بهما معاً؟ لكنّه أديب ذواق ولا تخفى عليه مواطن البلاغة القرآنيّة، حتّى امتدّت إلى دراسات ساهمت في نشأة وفتوة الدراسات اللغويّة والتي شملت القرن الثاني والثالث الهجري عكف فيها علماء اللغة الذين وجدوا الطريق معبداً بمختلف آراء الجاحظ والتي اعتنوا بها عناية فائقة مكنتهم من معرفة خبايا نظم القرآن والعناية بأسراره، وتحليلها أمثال القدامة بن جعفر (ت 310هـ) علي بن عيسى الرّماني (ت 384هـ) ابن قيس الخطابي وغيرهم.

1 - حجج النبوة، نظم القرآن ضمن رسائل الجاحظ، ج3، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة لسان العرب، الناشر: مكتبة الخانجي، مصر، ص287.

كما أنّ الجاحظ قد فطن إلى أنّ لألفاظ القرآن الكريم ميزة جعلت منه الكلام البديع والتأليف البليغ والنظم الصنيع وهي: «إتيان بعض ألفاظ المقترنة متصاحبة، لا تكاد تفترق كالصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار، والرغبة والرّهبة، والمهاجرين والأنصار والجنّ والإنس»¹؛ ليثبت رأيه بفطنته هذه إلى قوة الإعجاز القرآني، وبلاغته بالنظم.

وفكرة النظم عند الجاحظ لم تقتصر على نظم بديع القرآن الكريم فقط بل كانت شائعة كذلك في الشعر لقوله: « وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا جيّداً، وسبك سبكا واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»². الجاحظ من خلال نصه يؤكّد على ضرورة سبك المخارج، وحسن تأليف الكلم وجودة اللفظ كلّها تجتمع وتتناسق وتنسجم لتخرج في النهاية قصيدة راقية، ومتميّزة مترابطة ذات طابع فني بعيدة عن كلّ ما يجعل منها متنافرة الأجزاء.

وبهذا قد صرّح الجاحظ بثلاثة ركائز أساسية ليتحقّق النظم عنده وهي « التلاحم والسبك والإفراغ»، فقد كان مقياسه يكمن في جزالة اللفظ وجودة السبك وحسن التّركيب وعلى هذا بنى نظريته المعروفة: « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والبدوي والقروي والمدني، إنّما الشّأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وصحّة الطّبع وجودة السبك فإنّ الشعر صناعة (أو صيانة) وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير»³.

فيكون معبّراً بكلامه هذا عن فكرة انتصاره للألفاظ دون المعاني، ليضع الأناقة والجودة والجمال في الألفاظ بقوله: « حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأنّ المعاني مبسّطة إلى غير غاية وممتدّة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصّلة محدودة»⁴.

1 - البيان والتبيين، الجاحظ، ص19، وأثر القرآن في تطوير النقد العربي، محمد زغلول سلام، ص81.

2 - المصدر نفسه، ص67.

3 - الحيوان، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، ص131، 132.

4 - المصدر نفسه، ص76.

موضحا بهذا أنّ الاهتمام بصياغة اللفظ، وجودة السبب في الشّعْر لبيدو سهل المخرج كما ذكرنا-سلفا- يتّجه إلى القلب والعاطفة، لأنّ الشّاعر بذوقه المرهف وحسّه اللّطيف يملكهما. ويُعدّ الجاحظ من الأوائل الذين نادوا بالابتعاد عن الغريب من اللفظ والمعاني، إذ يؤكّد هذا بقوله: « والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق من غير أهل البادية بغض...»¹. ويرى أنّ الكلمات الغريبة والغامضة الغير واضحة التي يلجأ إليها الكتاب عادة ما هي إلّا دليل قاطع على ضعف ملكتهم اللّغوية وعجزهم عن استعمال الكلمات المناسبة لمقتضى الحالوفي سياقها الأنسب؛ ولكنّ الجاحظ قد فضّل اللفظ عن المعنى، وكان ممّن قدّموا العناية للشّكل والصّورة دون المعاني، فكانت قضية اللفظ والمعنى من أهمّ القضايا التي أثارها الجاحظ للمرة الأولى في تاريخ الأدب عند العرب، وكان أوّل من فتح شرارة هذا الجدل بين العديد من الباحثين-سواء من القداماء أو المحدثين-؛ فتحدّث عن اللفظة المفردة واشترط فيها شروطا بقوله: « ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيّرا في جنسه، وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد، حبّب إلى النفوس واتّصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشتت إليه الأسماع، وارتاحت إليه القلوب وخفّت على ألسن الرواة»².

يبرز جليا أنّ نص الجاحظ يجعل تلاحم أجزاء الكلام، وحسن سبكه واختيار ألفاظه وبُعدّه عن التعقيد، ممّا يُسهل وصوله إلى النفس، فيؤكّد مرّة أخرى اهتمامه بالنّظم ليتلاقى مع ما أتى به الجرجاني؛ من أنّ النّظم تلاحم الكلم وتعلّق بعضها ببعض، وما يجدر ذكره أنّ جهود الجاحظ هي عرض تمهيدي وملح أوّلي لنظرية استقت جذورها من هؤلاء لتنمو ويشتدّ عضدها.

ولكن هذا لا ينفي اهتمامه بالمعاني رغم اهتمامه بالألفاظ؛ فاللفظ عنده له شأن في تقويم الأدب وللمعنى أثر لا يقل أهمية عن ذلك ليزيد من روعته وجماله، حيث جعل اللفظ والمعنى هما

1 - الجاحظ، البيان والتبيين ، ص134.

2 - المصدر نفسه، ص8.

الجسد والروح، فيصريح بأن اللفظ للمعنى بدن، والمعنى للفظ روح فاللفظ يوجد بعد أن يوجد المعنى فلا لفظ دون معنى ولا معنى دون لفظ.

ويمكن القول أنّ الجاحظ كان مثالا ملموسا من واقع الحياة الأدبية، صاحب التصانيف في كل فن زعيم البيان العربي من غير منازع، جعل هو ومن عاصره من الباحثين اللغويين وغيرهم من قضية اللفظ والمعنى نظرية لم تكتمل أركانها إلا في القرن الخامس الهجري على يد عبد القاهر الجرجاني لتكون نظرية النظم بهذا فكرة تبلورت نتيجة جهود فكرية متواصلة من عدة قضايا وطريقا معتمدا مستهديا بأراء علماء جعلوا منها نظرية علمية دقيقة قائمة إلى اليوم.

3.1.2.3. الباقلاني (ت 403 هـ -1012م)

يُعتبر القرن الخامس الهجري قرن نضج فيه الفكر اللغوي؛ وعلى قدر أهمية القرون التي سبقتهم كانت أعمال اللغويين والبلاغيين، وكتابتهم غنية ومهمّة فاقت سابقاتها خاصّة ما تعلق بالإعجاز القرآني حيث تميّزت بعمق الفكرة وشمول النظرة، في مدى استيعابهم لحبايا وأسرار نظم القرآن وعباراته ومن المتكلمين في هذا النظم خلال هذه الفترة القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي (ت415هـ) ابن رشيقي القيرواني و أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني (ت403 هـ-1012م) الذين عالجوا قضية النظم من خلال البحث والتدقيق في الإعجاز فساهموا بأرائهم التي جمع شتاتها ووجد بينها الإمام الجرجاني في إطار منظم ليؤسس نظريته، ويجعل منهجه فيها واضحا.

وفي شأن النظم يأتي الباقلاني وكان من أهل السنة، حيث اهتم بالنظم وبفنون البديع في القرآن الكريم، وبفضله بدأ مصطلح النظم النقدي بالظهور، إلا أنه لم يكن يستند إلى قواعد لغوية أو نحوية كما رأينا عند سابقيه من النحاة والبلاغيين، فقد أراد هو الآخر بالنظم «التأليف» ويثبت هذا في قوله: « ولقد كان نظم القرآن معجزا، لأنّ نظمه خارج عن جميع وجوه النظم المعتادة في كلامهم ومباين لأساليب خطابهم، و من ادعى ذلك فلا بد من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر، ولا السجع و لا الكلام الموزون غير المفصّل لأنّ قوما من كفار قريش ادّعوا أنّه شعرو من الملحدة من يزعم أنّ فيه شعرا، ومن أهل الملّة من يقول إنّ كلام مسجع، إلا أنّه أفصح ممّا اعتادوه من

أسجاعهم، ومنهم من يدعى أنه كلام موزون، فلا يخرج بذلك عن أصناف ما يتعارفونه من الخطاب»¹.

ليؤكد من خلال نصّه أنّ القرآن الكريم معجز بنظم حروفه وكلماته التي تحمل دلالات وعبارات تدلّ على الإعجاز؛ وأنّ التّحديّ إنّما كان ب: « أن يأتوا بمثل الحروف التي نظم القرآن منظومة كنظمها متابعة كتتابعها، مطردة كإطرادها، ولم يكن بأن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثيل له»² ثم يقول الإمام في موضع آخر أنّ نظم القرآن مفارق لجميع نظوم الكلام وهو بديع، عجيب فصيح فيقول: « نظمه مفارق لجميع نظوم كلامهم و أوزانهم فهو على طوله و امتداده قد جاء على أعلى درجات الفصاحة والتّناسب والتّشابه في البلاغة، و قد خلا من الوحشيّ المستكره، والغريب المستنكر وليس فيه صنعة أو تكلف ومع ذلك فمطلبه عسير وممتنع، ولا يقع في الوهم أن يستطيع لشخص مجارته وهو يرى أنّ ترتيب الألفاظ في العبارة يتّبع ترتيب معانيها في النفس؛ وهذا يُجمع على أنّ الباقلاّني قد اتّفق مع الجاحظ في إشارتهما لمصطلح النّظم ولو ضمينا دون أن يذهبا إلى التّحليل والتّفصيل ، وهذا راجع ربّما إلى البيئة ذاتها و العلماء ذاتهم الذين اكتفوا بالإشارة دون التفصيل.

هذه النظرة تنبئ عن واسع فكر الباقلاّني، ودقّة ملاحظته حتّى وإن لم يصل بهذا الفكر إلى ما وصل إليه الجرجاني، فأثبت النّظم من خلال تطرّقه لقضيّة اللفظ والمعنى، وماهما من أثر الصّيّاعة فجعل اللفظ من النّظم يوجّه المعنى باعتباره أداة للتّعبير، ودوره البارز في دقّة المعاني، وتحقيق الدّلالة فطريق نظم الكلام عنده واضح، يقوم على اختيار الألفاظ للمعاني وهذا ما أكّده في نصّه السابق. وقد أعطى الباقلاّني للنّظم دلالة على تجسيد ثنائية اللفظ والمعنى، ولم يغيب حضورها في نصّه أو يزيح تصوّرها داخله، فجسّد النّظم في ما يشبه العقد الذي يأتي جامعا لعناصر لغويّة

1 - إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية، الباقلاّني، ص75.

2 - المرجع نفسه، ص 184، 185 و ما بعدها.

تشكّلت علائقها بوجود معنى ولفظ، ليظلّ الحديث على اللفظ والمعنى حاضر رغم مترادفات النظم العديدة و هذا الفهم يتوافق تماما مع مبادئ ما أتى به الجرجاني ونادى به لكنّه خالف رأي الجاحظ الذي كان من أنصار الألفاظ دون المعاني، ومهد الطريق لعبد القاهر لجمعه بين اللفظ و المعنى فتكتمل النظرية العلمية الدقيقة على يده.

وذهب أيضا إلى استنباط إشارات من إعجاز القرآن مبينا وجوه البلاغة العربية التي دافعت على صحة العقيدة وحقيقة القرآن، بنظمه وتأليفه وتناهيه في البلاغة، فجعل النظم هو الذي يحدّد الملامح الخاصة للبلاغة القرآنية فيقول: « تأمل السورة التي يذكر فيها النمل، وانظر في كلمة كلمة وفصل فصل بدأ بذكر السورة إلى أن بين أنّ القرآن من عنده فقال: وإنا لتلقي القرآن من لدن حكيم حميد، ثم أردف قوله: ثم أنظر في آية آية، وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الوصف؟ فكلّ كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أحوتها وضامتها ذواتها ممّا تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها؟»¹.

ومن هذا نستشف أنّ القارئ لهذا النص يلاحظ البيان الإجمالي لمواطن الإعجاز في نظم القرآن فيقف عند إحساس فتّي لما وصل إليه الباقلاني حتّى وإن كانت كلماته فتات لم تصل إلى أن تكون نظرية علمية محضة، لأنّه ركّز على التعميم سواء نظريًا أم تطبيقيًا وهذا هو الفرق بينه وبين عبد القاهر الذي لم يرض لنفسه أن يحكم عن الكلام بالحسن أو القبح دون أن يضع يدنا على موضع هذا الحسن أو القبح ويفسّره، وهذا ما افتقدناه عند الباقلاني الذي جعل من نظم للقرآن جنسا أدبيًا قائما بذاته يجيل النظر أكثر من مرة في بعض سور القرآن بتمامها مستدلا بذلك على صدق ما يذهب إليه سالكا منهجا يعتقد أنه لم يسبق إليه؛ حيث جعل من السورة نصًا كاملا يتناوله بالتحليل والتقد ليوكثر الوقوف أمام تخير اللفظ القرآني، و إثارة دون سواه في الموقع الذي يكون فيه فيقف عند قوله تعالى: ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾؛ (سورة غافر، الآية 04).

1 - إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 159.

ليقول: وهل تقع في الحسن موقع قوله (ليأخذوه) كلمة؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة؟ وهل يسدّ مسدّه في الأصالة نكتة؟ ولو وضع موضع ذلك (ليقتلوه) أو (ليرجموه) أو (لينفوه) أو (ليطردوه) أو (ليهلكوه) أو (ليذلوه)، ونحو هذا، ما كان ذلك بديعا ولا رائعا ولا عجبيا ولا بالغا.

وهذا ما يجعلنا مرة أخرى نفرّق بين ما أتى به الجاحظ والباقلاني، و ما أتى به الجرجاني فيما بعد حيث أنّ الباقلاني جعل من السّورة نصّا للتّحليل والنّقد - كما سبق الذكر - وما نادى به الجرجاني حيث جعل النّظم في توحي معاني النحو، جاعلا بحثه يركّز على الجملة أو العبارة، ولم يتجاوز هذا النّطاق، وإن جاوزه أحيانا كما سنرى فإنّما كان لذوق فتي يرى به تمام الصّورة لا يكون إلّا بمدّ البصر إلى آفاق أرحب من الجملة، ولكن رغم هذا فإنّنا لا نستطيع إنكار جهود الباقلاني في وضعه للبنات ساعدت الجرجاني في بناء نظريته، ومدى تأثيره به خاصّة وأن الباقلاني كان سبّاقا هو الآخر في إشاراته لقضيّة النّظم؛ حتّى وإن لم يكن محدّدا لمعاملها وموضّحا لقسماتها، وإمّا الفضل كلّ الفضل للجرجاني الذي وضّح معالم نظريّة النّظم، وألقى عليها مزيدا من الضّوء من خلال الدّراسة والتّحليل¹.

ووضعها في قالب جعلت منها نظرية ذات قاعدة محدّدة من سيّويه وصولا إليه، حتّى سيقت إلى مجالات التّطبيق الواسعة شاملة كل فنون القول، ولو أمعنا النّظر في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِذَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (سورة هود الآية 13-14) نستطيع أن نقول أنّه جعل للنّظم من خلاله وجوه البلاغة ما يرجع إلى البلاغة القرآن جميعه وما يرجع إلى أنّ نظم القرآني خرج عن عادة كلام الجنّ والإنس فهو فريد في نمطه

1 - مفهوم الجرجاني للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مج 10، ع 1، يونيو جمادى الآخر 1977م.

ونوعه لهذا صار معجزا ليخالف كلام الناس ، كما أنّ سهولة القرآن وخروجه عن الوحشيّ المستكره ، والغريب المستنكر جعل منه الفصيح البديع العجيب في التّأليف .
وهذا يمكّننا من أن نقول أنّ النّظم قبل الجرجاني قد مرّ بمراحل متطوّرة نجدها أحيانا تظهر كوميضة لا يلبث الضباب أن يلفّها ، وأحيانا أخرى تكون متساوية مع عدّة جوانب للإعجاز وغيرها لتتوصل إلى أنّ من سبق الجرجاني على اختلاف بيئاتهم العلميّة، جعلوا من الإعجاز أهمّ المثيرات التي دفعت بالنّظم لأن يكون من أقوى أدلته، إن لم نقل أقواها على الإطلاق حتى استوى على يد عبد القاهر نظريّة متكاملة، لا يقاس بها الإعجاز القرآني فحسب وإنما تصلح بكل أبعادها للتطبيق على كل نصّ أدبي بجميع مقوماته، ليضع الباقلائي بصمته هو ومن عاصره في طريق جعلت من فكرة النّظم نظريّة علمية يرجع إليها ويُعتمد عليها ويُقاس بها كلّ العصور نظريّا و تطبيقيا - كما سنرى-

وعلى هذا الأساس فإذا كان الجاحظ، هو أوّل من تحدّث عن بعض القضايا المتعلقة بالإعجاز في كتابه (نظم القرآن)، أو من سبقه من النحويين أمثال سيبويه، ومن تلاهما من المتكلمين أيضا أمثال الرماني والباقلاني والواسطي وعبد الجبار؛ لكنهم استغلوا بنزعتهم الكلاميّة فافتقدوا التدقيق الفنيّ للتّصويع وغابت عنهم حقائق كثيرة في إدراك مواطن البلاغة في الإعجاز القرآني وكان شغفهم أبعاد ما نكح لهم فصة التّعب والتّقسيم، لادراك الخصائص المشتبكة، والعامّة التي يصدر عنها كتاب الله عز وجل في تصويره وتعبيره إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني بنظرية -النّظم- فأدرك ما عجز عنه سابقوه، أو من عاصروه في مجال التّصوير الفنيّ داخل النّظم القرآني، فوضع لمصطلح النّظم نظريّة لازالت تُدرس وتحلّل.

2.2.3. نظرية النظم عند الجرجاني

1.2.2.3. الإمام عبد القاهر ونظرية النظم

حفل منهج عبد القاهر تعالى بإتباع علوم السابقين في الدرس اللغوي النحوي وتطوير ماوصل إليه هؤلاء بالتحليل والدراسة، وهذا ما صنعه مع قضية النظم، فقد درس ما تناثر في كتب السابقين أمثال سيوبه الذي يعتد به كثيرا من خلال دراساته، وأبي علي الفارسي الذي يعدّ شيخه الأوّل لذا فالإمام يربط الدراسة النحوية اللغوية والبلاغية بعامل النظم، ويربط عامل النظم بالعامل النفسي في عملية إنتاج الكلام، فجعل النحو هو الذي يفتح الألفاظ المغلقة على معانيها، وهو المعيار الذي يُعرف به فضل كلام على كلام، وهو مقياس الصّحة من العلة في الفكر حيث يقول عن الإعراب : « قد علم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها، حتّى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها متى يكون المستخرج لها، وأنّه هو المعيار الذي يتبيّن نقصان الكلام ورجحانه حتّى يعرض عليه»¹.

ليكون بفهمه للنحو أعاد للغة مكانتها، وبيّن قدراتها على أنّها تؤدّي المعاني المرادة عن طريق إدراك وجوه استعمال الكلام، وتذوق الأسلوب والتأثر به ليحصل النظم لتكون نظرية عبد القاهر متولدة من علوم سابقيه.

وقد كان عبد القاهر نحويًا، يعرف قيمة النحو الذي تنضبط معاني الكلام به، وبين العلاقات التي تربط بين الكلم وليست هذه العلاقات إلى معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصحّ أن يتفكر متفكّر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم، ولا أن يُفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه، وجعله فاعلا له، أو مفعولا، أو يريد منه حكما سوى ذلك من الأحكام ليفهمنا الإمام أنّ معاني النحو هي التي يتعلّق بها الفكر، وهي التي تمثّل العلاقات بين معاني الكلم في النفس، وإليها يستند ترتيب هذه المعاني في النفس.

1 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 23.

فكان عبد القاهر الجرجاني من الأوائل الذين بحثوا في بيان سرّ الإعجاز القرآني، وأسس نظرية النظم القائمة على توفّي المعاني التحوية في أجزاء العبارة وذلك يربطه بين النحو والبلاغة.

1.1.2.2.3 مفهوم النظم عند الجرجاني عبد القاهر

أنجبت جرجان أحد أئمة العربية والنحو، والكلام في القرن الخامس الهجري أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، فارسي الأصل، عربي اللغة واللسان جرجاني الدار وسني المذهب أشعري العقيدة، وُلد في أواخر القرن الرابع الهجري، أوائل القرن الخامس الهجري¹ في جرجان وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، لم يُعرف اليوم الذي ولد فيه، ولا ندري شيئاً عن طفولته وشبابه فكلّ ما وصل إلينا مبثور ومكتر، فربّما أنّ ما كتب ضاع ضمن ما ضاع من ترثنا العربي الأصيل، ولكنّ هذا لم يمنع من أنّه اشتهر بين علماء عصره فكان قبلة لطلبة العلم يأتون إليه من كلّ مكان يأخذون عنه علوم البلاغة والبيان واللغة والنحو².

توفي الجرجاني سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وقيل أربع وسبعين وأربعمائة، والقول الأرجح أنّه توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة(471هـ).

2.1.2.2.3 أساتذته وثقافته

كان حجّة في اللغة فقد نهل من مؤلّفات سبقت تنوعت من تراث أدبي نقدي وبلاغي، قرأ في النحو على الخليل وسيبويه، الزجاج وابن جنّي وغيرهم كثير من أعلام النحو، كما أخذ في التقد والبلاغة على الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وثلعب وقدامة بن جعفر وأبي هلال العسكري والقاضي الجرجاني³، تتلمذ على يد شيخه أبو الحسين محمد بن عبد الوارث الفارسي ابن أخت أبي علي

1 - نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية، وليد محمد مراد، ص48.

2 - فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاکر الکتبي، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ص370.

3 - المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، فوزي السيد عبد ربه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط، 2005 م ص296.

الفارسي الذي أخذ عنه كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ووضع عليه شروحا كثيرة في ثلاثين مجلداً أسماه المغني في شرح الإيضاح في النحو، ثم اختصره في ثلاثة مجلدات وسمّاه المقتصد¹. إلى أنّ عبد القاهر الجرجاني لم يكن يشير إلى اسم شيخه بل يكتفي بذكر وقال شيخنا رحمه الله أو أنشدنا شيخنا رحمه الله أو حكى شيخنا رحمه الله².

3.1.2.2.3. منزلته العلمية

لا ننسى أنّ الجرجاني قد حظي بمكانة رفيعة بعد أن تصدر مجالس العلم في جرجان لأنّه كان عالماً بالبلاغة إضافة إلى علمه هذا كان ذو خلق، تقياً، قنوعاً، قيل أنّه دخل عليه لص وهو يصلي فأخذ جميع ما في البيت وهو ينظر ولم يقطع صلاته، لذا فقد أثنى عليه علماء كثر فقد وصفه القفطي بقوله: «قرأ ونظر في تصانيف النحاة، والأدباء، وتصدر بجرجان وحثت إليه الرجال وصنّف التصانيف الجليلة»³، وقال أيضاً: «أنّه كان - رحمه الله - سيف الطعن لا يستوفي الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك واستدرك قائلًا: ومع هذا كلّه فإنّ كلامه وغوصه في جواهر هذا النوع يدلّ على تبحره وكثرة اطلاعه.

وقال عنه الباخرزي: «اتفقت على إمامته الألسنة وتحمّلت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة وأثني على طيب العناصر، وتثبت به عقود العناصر فهو فرد في علمه الغزير، لا بل هو الفرد في الأئمة المشاهير»⁴.

كما قال فيه الأبيوردي: «ما مقلت عيني لغويّاً، وأمّا في النحو فعبد القاهر الجرجاني»⁵؛ وما قال عنه السيوطي أنه كان من كابر الأئمة العربيّة والبيان.

1 - عبد القاهر الجرجاني ، بلاغته ونقده، مطلوب، أحمد ، وكالة المطبوعات، بيروت، ط1، 1393هـ، 1973م، ص14.

2- المرجع، نفسه، ص14.

3 - نفسه، ص17.

4 - منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني، في عرضه المسائل النحوية، دراسة تحليلية، عاطف، أحمد، محمد كلاب، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 1434هـ/2013م، ص07.

5 - المرجع نفسه، ص08.

وتعدّد مصنفاته زاد من منزلته الرّفيعه وذاع صيته بين علماء عصره، فمنها في مجال النّحو والبلاغة وعلوم القرآن، والأدب البعض وصل إلينا والبعض لم يصل فقد ضاع مع ضياع الكثير - كما سبق الذكر -.

فمن أشهر ما وصل إلينا من تراثنا العربي كتبه النّحوية والصّرفية: الإيجاز، المغني، المقتصد التّكملة العوامل المائة، الجمل، التّلخيص، العمدة في التصريف، كتاب في العروض المختار في الدّواوين المثني والبحثري، وأبي تمام، مختار الاختيار، التّدكرة، المفتاح¹؛ وأهمّ كتبه في الدّراسات القرآنية كتاب شرح الفاتحة، درج الدور في تفسير الآية والسّورة المعتضد الشّرح الصّغير - الرّسالة الشّافية أمّا عن كتب البلاغة فله : أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، المدخل في دلائل الإعجاز². وهذين الكتابين قد أكّد من خلالهما أهميّة البلاغة، وأعطاهما مكانتها بإزاحة الغموض عنها بعد أن كانت عبارات مفرقة، ومعلومات متداخلة، وانطلق من الفكرة الأساسية التي بنى عليها نظريته وهي فكرة النّظم التي تعدّ امتدادا وتوتيجا لمناقشات البلاغيين والمتكلمين لمسألة شغلت الفكر البياني العربي، وهي مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى³ - كما سبق الذكر -.

2.2.2.2. اللفظ والمعنى ودورهما في النظم

لقد وصلت هذه العصاره وغيرها في جميع العلوم (النحو، الفقه، الأدب...)، إلى عبد القاهر الجرجاني فكانت زاده الذي لا ينضب، وسماهه الذي زاده من قوّة وفطنة عقله ليضع نظريّة متكاملة هي نظرية النّظم، التي اعتنى بها عناية بالغة فقامت على توحي معاني النّحو وحسن الصياغة من خلال العلاقة التي جعلها قائمة بين اللفظ والمعنى، فالألفاظ عنده رمز للمعاني المفردة فهو يرى أنّ معرفة مدلول اللفظ يأتي أولاً، ثم اللفظ الذي يدلّ عليه ثانياً فالألفاظ عنده هي

1 - عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، مطلوب، أحمد، ص 25.

2 - الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، الخطيب القزويني، وضم حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د، ط، ت، ص 16.

3 - بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، الجابري، محمد عابد، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، ط 5، 1996م، ص 81.

سمات للمعاني ولا يمكن أن نتصور أنّ الألفاظ قد تسبق معانيها كأن تضع أسماء مثلاً ثم تأتي بمعانيها، وعليه فالمعاني تتزايد وهذا التزايد معلق بالألفاظ والربط بين اللفظ والمعنى عن طريق احترام قواعد النحو¹.

ونستشفّ من هذا أنّ الجرجاني جعل الألفاظ ظلال للمعاني توأكبها فتمنح المعاني للألفاظ المزيّة من حيث أنّها مادة يصوغها اللفظ، ويوضّحها حيث أنّ الألفاظ إذا كانت مجتمعة فإنّها تحدّد لكلّ لفظة دورها وهي لا تفيد حتّى تؤلّف ضرباً خاصاً من التّأليف وتثبت لها الفضيلة في أداء المعنى.

هذا فيما يخصّ اللفظ وأهميته في تأسيس نظريّة النّظم، أما المعنى فلا يقلّ أهميّة عن اللفظ فنظريّة النّظم تقوم على أساس المعاني كذلك، إذ لا قيمة للألفاظ المفردة عند الجرجاني حتّى تكون تابعة لمعاني لتكوّن جملاً، وعبارات صحيحة وأنّ الفصاحة والبلاغة راجعة إلى المعاني وإلى ما تدلّ عليه الألفاظ².

والمتملّ في كلام الجرجاني يدرك أنّ اللفظ والمعنى أساس النّظم، إذ أنّه قصد به توحي معاني النحو فيما بين الكلم، ونجد عبد القاهر يؤكّد على قضية نظم الكلم الذي يقتضي فيه آثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النّفس، من حيث أنّ الألفاظ إذا كانت أوعيّة للمعاني فلا يمكن الاستغناء عنها، لأنّها تتبّع المعاني في موقعها فوجب لمعنى أن يكون أولاً في النّفس ووجب لللفظ الدالّ عليه أن يكون مثله أولاً في النّطق³.

ولهذا لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى فكلاهما يكمل الآخر.

ونجد أن الباقلاني (ت453هـ)، قد اهتمّ باللفظ، والمعنى ودورها في الكشف عن الخلجات النّفسية وجعل للفظ أثر في الوجدان فالصياغة، والنّظم والعلاقة القائمة بين اللفظ، والمعنى أساس بحثه فاللفظ جزء من النّظم يوجّه المعنى.

1 - نظرية عبد القاهر في النظم، درويش الجندي، مكتبة نضفة، مصر، القاهرة، 1960م، ص51.

2 - أسرار البلاغة، الجرجاني، عبد القاهر، ص4.

3 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص52.

فطريق نظم الكلام واضح عنده وهو قائم على اختيار الألفاظ للمعاني¹، فمن الواضح أنّ الجرجاني قد استفاد من الباقلاني في قضية اللفظ، والمعنى وأهميتها في وضع أسس لنظريته على الرغم من اختلاف منهج الرجلين في الحديث عن النظم لأنّ من سبق الجرجاني، لم يتحدثوا عن النظم كنظرية بل أشار إليها مجرد إشارات، والباقلاني أحدهم حيث لم يحدّد النظم، ولم يضعه في الإطار الذي يضيفي عليه صفة النظرية العلميّة بالقدر الذي وضعه عبد القاهر فين ولاء المطلق لنظرية النظم، وجعلها مرجعا للدراسة والتحليل...، على اختلاف ما أتى به الجاحظ الذي كان من أنصار اللفظ دون المعنى واختلافه كان واضحا أدّى بنا إلى التساؤل: هل عبد القاهر قد تأثر بالجاحظ أم لم يتأثره عند حديثه عن النظم؟ وخاصّة مع تباين آراء العديد من النقاد والبلاغيين حول قضية اللفظ والمعنى لكنّ عبد القاهر رفض منطق هؤلاء، ورأى في النظم خلاصة فكره وزبدة بحثه لينتهي به هذا البحث إلى مفهوم للنظم بقوة الحجّة، وفصاحة البيان فيخرج من دائرة الشمول إلى الخصوصية في الجمع بين اللفظ والمعنى، ليكون الضم والتأليف؛ وهنا يكمن الفرق بين مفهوم النظم عند الجرجاني، والجاحظ الذي كان من أنصار اللفظ، وغلب اللفظ عن المعنى وخصّه وحده دون غيره في تعريفاته للنظم، إذ جعل تلاحم أجزاء الكلام وحسن مسبكه، وإفراغه واختيرا ألفاظه وبعده عن التعقيد مما يسهل وصوله إلى النفس وفهمه، وهذا يؤكّد على اهتمام الجاحظ بالنظم.

ورغم أنّ نقاد العرب كانوا يتنازعون فيما بينهم حول أيّهما أفضل؟ اللفظ أم المعنى؟ جاء إمام جرجان وحسم الأمر، بأنّ كلاهما مرتبط بالآخر، لا يمكن أن ينفصل عنه كارتباط الجسد بالروح وأنّ المعنى يترتب في الذهن أولا، ثم تأتي العبارة أو التركيب مناسباً للمعنى الذهني.

3.2.2.3. النظم عند الجرجاني

دافع عبد القاهر الجرجاني على فكرة النظم التي تأسست على دراسات استمدّها من سابقه لذا يعتبر هو من أصل لهذه النظرية وواضعها، وهو من أرسى كلّ قواعد النظم ودافع عنها حتّى

1 - الكتاب، سيبويه، ص128.

أصبحت نظرية متكاملة، انطلق فيها من استحالة الفصل بين قضية اللفظ والمعنى وجعلهما جسد وروح وتصدى لذلك التيار الذي اهتم باللفظ وأهمل المعنى.

يعرّف الجرجاني النظم فيقول: « اعلم أنّ ليس النّظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النّحو)، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرّسوم التي رسمت لم، فلا تخل شيء منها»¹، بمعنى أنّ النّظم هو وضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النّحو ويعمل على قوانينه وأصوله.

نلاحظ من خلال هذه المقولات أن مفهوم النّظم عند الجرجاني يقترب كثيرا من مفهوم الجاحظ في إشارته للكلمة وجعلها إحدى مفردات النظم، واشترط لفصاحتها فقال: « يجب أن تكون بريئة من تنافر الحروف حتى تدور وكأنها بأسرها حرف واحد»²؛ فجعل تلاحم أجزاء الكلم وتناسقها وحسن سبكها أساس اهتمامه بالنظم.

فيقول: « إنّهُ خصوصيّة في كفيّة النّظم، وطريق مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض حتّى تصفوا تلك الخصوصيّة وتبيّنوها وتذكروا لها أمثلة...»³.

ويؤكّد منهجه بأن يُقرّر في كلّ مرّة أنّ النّظم لا يتكوّن باللفظ وحده ولا بالمعنى وحده وإتّما بكلاهما شرط أن يوضعا الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي تُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها⁴، أو بعبارة أخرى « لا معنى للنّظم غير توخّي معاني النّحو فيما بين الكلم»⁵.

وهذا إن دلّ على أمر فقد دلّ على ثقافة عبد القاهر النّحوية، وإمامته بهذا العلم وشهرته فيه كانت من أهمّ الميزات التي ساعدته أثناء بحث النّظم، فقد أخذ من كتابات النّحويين الكبار

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 81.

2 - قضية الإعجاز القرآني وآثارها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ط 1، 1985م، ص 177.

3 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 30.

4 - المصدر نفسه، ص 63.

5 - نفسه، ص 64.

وخاصةً سيويه والفراء، وغيرهما وربط النظم بالنحو رباطاً لا ينفك هذا في الجانب النظري، أما الجانب التطبيقي فقد أقام بحثه على ما أتى به سيويه خاصةً ما يتعلق بأجزاء الكلام وبيان الحسن أو القبيح فيه، على أساس التمعن في العلاقات التحوية بين هذه الأجزاء ومدى توافقها في أداء المعنى الذي نريد التعبير عنه، لتكون هذه مقومات ساعدته وجعلته يتعمق في بحثه، ويدقق في تناوله لما أتى به سابقوه والذي نفهمه هو أن النظم في جوهره هو النحو في أحكامه، وبذلك فإنّ النظم له صلة وطيدة بالنحو، ولا يصلح أحدهما دون الآخر.

وبعد أن وضع لنا هذا التعريف للنظم يُتبعه بما يفسره ويرفع الستار عنه إذ يقول: «إنا لا تعلم شيئاً يتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه فينظر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق...»، وبخصوص هذا الشأن يعلّق محمد مندور: «إذا فمتهج الفكر العميق الدقيق هو منهج النقد اللغوي منهج النحو، على أن تفهم من النحو أنّه العلم الذي يبحث في العلاقات التي تقدمها اللغة بين الأشياء»¹.

يمكننا القول أنّ عبد القاهر كان عالماً لغويّاً، قبل أن يكون عالماً بلاغيّاً فهو لم يكتف بالوقوف عند حدود الظاهرة اللغوية فحسب، إنّما تناولها بعمق حتّى يستطيع أن يرى الرؤية السليمة والفهم الثاقب هذا ما جعله يدرك آلية الحركة اللغوية في مستوياتها المختلفة إدراكاً صحيحاً ودقيقاً.

فكان أساس فهم عبد القاهر للنحو هو نظريته الشاملة للنظم، فالنظم هو المحور الرئيسي الذي تدور عليه فلسفته مبرزاً نظريته للنحو، حيث لم يدرس هذا الأخير بوصفه علماً يقتصر على رفع الكلمة أو نصبها أو جرّها، بل نظر نظرة عميقة إلى النحو وبيان خصائصه وإبراز وجه الحاجة إليه في نظم الكلام، وتنسيقه فنستطيع أن نقول أنّ ما قاله الجرجاني مرآة عاكسة لمجمل علاقات الترابط النصي ويكون النظم بدوره ممثلاً لكلمة السر في نسج النص.

1 - النقد المنهجي عند العرب، مندور، محمد، دار النهضة، مصدر للطباعة والنشر، القاهرة، 1996م، ص336.

ولنوضح أكثر نظرية النظم ومفهومها عند الجرجاني يجب أن نعرِّج على عناصر كانت لها علاقة مباشرة بهذه النظرية العلمية.

3.3. مفاهيم متعلقة بفكرة النظم

1.3.3. اللغة والفكر

اعتبر الجرجاني العلم هو الذي يميّز الإنسان عن سائر المخلوقات، فالإنسان يفكر ويفهم ويدرك أموراً فيبحث عنها بالتحليل والتدقيق ليصل إلى نتيجة كان أصلها التفكير فالجرجاني ربط اللغة بالتفكير واتخذها سبيلاً يُبرز من خلالها دور هذا التفكير في نشوء اللغة، وسبب وجودها وبحث عن أصل اللغات الإنسانية ومفرداتها، وسبب وضع هذه المفردات¹؛ إذ يقول: «اعلم أن هنا أصلاً أنت ترى الناس فيه صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر، وهو أنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسنا، لكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد»²؛ مع أنّ الجرجاني لم يتوقف في شرحه هنا إلى أنّه تابع ذلك بالتفصيل أكثر في مناقشته لمفردات اللغة بداية من أنّ اللغة -مواضعة-، رجع ليناقد مرة أخرى مفرداتها بداية من أنّها إلهام فقال: «وإذا قلنا في العلم واللغات من مبدأ الأمر: أنّه كان إلهاماً، فإنّ الإلهام في ذلك إنّما يكون بين شيئين يكون أحدهما مثبتاً والآخر مثبتاً له، أو يكون أحدهما منفيّاً والآخر منفيّاً عنه»³؛ والفرق هنا بين القولين يكمن في أنّه تعرّض للمفردة في القول الأوّل وربطها بالوضع وأهمل الفكر في علاقته بها، في حين جعل الإلهام في القول الثاني أساساً في عملية الربط بين المثبت والمثبت له أو المنفي والمنفي له، وأنّ الكلام لا يعقل إلا بالجمع بين جزئين، فقد يكون: «اسم وفعل، أو اسم واسم، هنا نقف عند ما قرره الجرجاني، وما يقرره علماء اللسانيات اليوم من أنّ اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات»⁴.

1 - الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، دك الباب، جعفر، ص31.

2 - المرجع نفسه، ص02.

3 - نفسه، ص334.

4 - في الميزان الجديد، مندور، محمد، دار نضرة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص177.

وبناء على هذا وضع كل تفكيره اللغوي، وكان سبباً للنظريات الحديثة التي تؤكد على أن لا لغة بدون فكر ولا فكر بدون لغة.

نستشف من هذا أنّ فكرة الجرجاني حول الكلام، لا بد له أن يشتمل على جزئين في قوله « ومختصر كلّ الأمر: أنّه لا يكون كلام من جزء واحد، وأنه لا بدّ من مسند ومسند إليه»¹. ورأى جون ديوي نفس الفكرة بالنسبة لطبيعة العلاقة بين اللغة والفكر فعلى الرغم من أن اللغة غير الفكر، لكن هناك تلازم وترايط عضوي بينهما، وهذا ما لم يفصل فيه الجرجاني إلا فصلاً مظهرياً فقط، بل جعل نباح التعبير اللغوي ودلالته في الإبداع وترايط أفكاره، وترايط دلالتها مع دلالات كلمات أخرى يعود لطبيعة العلاقة العضوية التي لمسها عبد القاهر بين الفكر واللغة حيث أكّد ما شرحه بقوله: « ليس الغرض بنظم الكلم أن توات ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل... فلا صلة للفظ بصاحبها إذا عزلنا دلالتها جانباً ولأخذ الكلمة مكانها في العبارة ناشئ عن ارتباط معناها بجارتها، وترتيبها ناشئ عن ارتباط المعاني بالنفس، لذلك تنبّه الجرجاني إلى أطراف التّرايط العضوي بإشارات إلى الإعراب والموسيقى اللفظية وجمال الصّورة، وحسن الأسلوب والفكرة والرّمز والتّناسق والانسجام داخل جسم واحد بحيث يصعب على المرء أن يتخلّى عن أي رابط وإلا كان التّفكك وتهلّهل النّسيج»².

2.3.3. الكلام

الكلام هو اللفظ المركّب المفيد بالوضع، له بعدين أساسيين، بعد لغوي معجمي والثاني بعد أسلوب، فالأول يتميّز بأنّه واحد عند كل المتكلّمين، بينما الثاني يبيّن قدرة ودرجة الفهم والإلقاء والتأثير على المتلقّي، لتبرز أهميّة الدّوق عند المتلقي لما لها من تأثير على إحساسه وشعوره، حيث قال الجرجاني في باب الدّوق والمعرفة: « واعلم أنّه لا يصادق القول في هذا الباب موقفاً من

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص2.

2 - نظرية النظم وقيمتها العلمية، وليد، مراد، ص161، 159.

السّامع، ولا يجد لديه قبولاً حتّى يكون من أهل الذّوق والمعرفة، وحتّى يكون ممّن تحدّثه نفسه بأن لما يميء إليه من الحُسن واللّطف أصلاً، وحتّى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام، فيجد الأريحيّة تارة، ويعرف منها أخرى»¹.

والكلام الذي يؤدّي عن المتكلّم ويكون مقبولاً عند المتلقّي لا بدّ له أن يتوفّر على ثلاث عناصر اللفظ والمعنى، والنّظم، أمّا اللفظ هو تلك الحروف والكلمات التي تنطق بها ألسنتنا وتسطرها أقلامنا في جعله ضمّ بعضه إلى بعض حتّى يؤدّي دلالة ومعنى « لا يكون كلاماً من جزء واحد وأنّه لا بد مسند إليه، وكذلك السبيل في كل حرف رأيته يدخل على جملة (كان وأخواتها) ألا ترى أنّك إذا قلت (كأن) يقتضي مشبّها ومشبّها به، كقولك: كأنّ زيد الأسد وكذلك لو قلت «لو» و «لولا» وجدتهما يقتضيان جملتين تكون الثانية وجوباً للأولى»².

أما المعنى فهي تلك الأمور التي نجدّها في نفوسنا للتعبير عنها حتّى يدركها المخاطبون وعلى هذا فالألفاظ قوالب المعاني، فالمعنى هو المعبر عنه، واللفظ هو المعبر به، فهذه هي الصّلة التي نجدّها بين اللفظ والمعنى كما يجده كل واحد منّا في نفسه.

3.3.3 الفصاحة والبلاغة

اختلاف العلماء في قضية اللفظ والمعنى أدّى إلى اختلافهم في قضية معنى الفصاحة على الرّغم من اجتماعهم في معنى البلاغة، فمنهم من يقول أنّ الفصاحة مختصّة باللفظ والبلاغة مختصّة بالمعنى بمعنى أنّ اللفظ يكون فصيحاً ولا يقول عليه بليغاً إلّا إذا كان في جملة تبلغ المعنى المنشود فيصبح بليغاً، فيكون الفرق بينهما بأن يقال اللفظة فصيحة ولا يقال لها بليغة، بينما يقال للكلام فصيح وبليغ، فالبلاغة حسبهم أعمّ وأشمل، فكل بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغ.

ولكن ومع هذا الاختلاف القائم بين هؤلاء، نجد أنّ بعض المتأخّرين من الباحثين توصلوا إلى أنّ البلاغة والفصاحة عند الجرجاني كلاهما تعود إلى معنى واحد، وإثباتهم ما سنّه على أنصار

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 291.

2 - المصدر نفسه، ص 63.

اللفظ وأنصار المعنى من جملة، حيث حضت الفصاحة بالألفاظ، والبلاغة بالمعاني- كما سبق وذكرنا- فذهب يؤكّد أنّ الألفاظ بحدّ ذاتها لا تفاضل بينها من حيث دلالتها على مدلولاتها لأنّ ليس هناك لفظة أدلّ على معناها من لفظة أخرى.

وراح الجرجاني يعيب على من رأوا الفصاحة في اللفظ المفردة بقوله: « ليس للفظ المفرد من نصيب في الفصاحة، إذا صحّ لنا أن نقول ذلك، إلّا أن يكون أيسر على الألسنة وأكثر استعمالاً من الآخر وإمّا تُنسب الفصاحة إلى اللفظة من حيث اعتبار مكانها من النّظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جارّتها ومؤنستها لأحواتها»¹.

وأكدّ في هذا على أنّ الفصاحة تكمن في الكلام المنظوم، وليست من شأن الكلم المفردة وذكر أنّ النّظم ما هو إلّا الكلام الفصيح الذي يتمّ نظمه وتأليفه وضم بعضه إلى بعضم مراعاة قوانين النّحو وأصوله.

ويؤكد الجرجاني مرة أخرى على فكرته في أنّ الفصاحة تنسب إلى المعنى لا إلى اللفظ مخالفاً بهذا وهم من ظنّوا أنّ المزيّة تكون للفظ بقوله: « بما كانت المعاني تتبيّن بالألفاظ وكان لا سبيل للمرتب لها والجامع مع شملها، إلى أن يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكرة إلّا بترتيب الألفاظ في نطقه، تحوزوا فكنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ ثمّ بالألفاظ بحذف التّرتيب، ثمّ أتبعوا ذلك من الوصف والنعته ما أبان الغرض، وكشف المراد كقولهم لفظ متمكّن يريدون أنّه بموافقة معناه بمعنى ما يليه، كالشيء الحاصل في مكان صالح يطمئن فيه، ولفظ قلق ناب يريدون أنّه من أجل أنّ معناه غير موافق لما يليه كالحاصل في مكان لا يصلح فيه»².

عبد القاهر يعترف صراحة بأنّ العلماء قد سبقوه إلى التّنويه بالنّظم وعلو شأنه، حين يقول: « وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن «النّظم»، وتفخيم قدره والتّنويه

1 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر، الجرجاني، ص 123.

2 - المصدر نفسه، ص 50.

بذكره وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه»¹، حتى أن الجرجاني يستند إلى العديد من الأقوال لمن سبقه من العلماء تخدم فكرة النظم في كتاباته.

فمن سبقه من العلماء القدماء وقعوا في سوء فهم المزيّة التي يتفاضل بها كلام من ملام خاصّة في علم الفصاحة فلا يكفي أن نضع القياسات والوصف المجمل في نظم الكلام، بل لا تكون المعرفة إلا بالتفضيل والتحصيل في كيفية عرض الخصائص التي تتعلّق بنظم الكلام ونسقه، إلا أن من سبق الجرجاني لم يبيّنوا هذه الخصوصيات، حتى جاءت دراسة عبد القاهر للنظم محاولة لتحديد معالمه وتوضيح سماته، وترسيخ فكرته التي يشكّل القرآن أفقها الأرقى لكونه نصّاً فصيحاً إعجازياً، لا يمكن اكتناحه في ألفاظ الكلم بل في معانيها وهذه المعاني ليست إلا الدلالات المتولّدة من اتّساق الكلام وانتظامه، أو من سلك نظمه وتأليفه لتؤدّي الغرض الذي وصفت من أجله.

وفي آخر كلام الجرجاني عن الرّبط بين الفصاحة والبلاغة، هو نظم الكلم ومعرفة ربط الجمل بعضها ببعض، كما أكّد أنّ النّحو والبلاغة هو نظم الكلم ومعرفة ربط الجمل بعضها ببعض، كما أكّد أنّ النّحو والبلاغة هي السّدى واللّحمة في صناعة الكلام، ولا انفصال لأحدهما عن الآخر فالفصاحة والبلاغة في النّظم هو مراعاة قوانين النّحو.

4.3.3. النحو

اهتمّ الجرجاني بالنّحو واعتنى به كثيراً، حيث يُعرّف على أنّه مجموعة القواعد التي يميّز بها صحيح الكلام من فاسده، ومعاني النّحو هي المرحلة الثّانية التي تلي معرفة القواعد النّحوية، للوصول إلى أحسن نظم يمكن تجسيد الصّورة كاملة صادقة من عقل الملقي للقول إلى عقل المتلقّي له.

وفي هذا يقول الشريف الجرجاني: « النّحو هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التّراكيب العربيّة من الإعراب والبناء وغيرها... وقيل علم بأصول يعرف به صحيح الكلام وفساده»²؛ هذا هو النّحو

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 80.

2 - التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، د ت، 1985م، ص 259، 260.

وأحكامه هي مصنع الدقائق والأسرار، ومناكب اللطائف والمزايا التي هي جوهر البلاغة، ومعلوم أنّ مدار النظم على معاني النحو، فلا يقوم نصّ ولا جملة ولا تركيب إلّا بها وعلى هذا فمعاني النحو لا توجد المزيّة في كلّ كلام دون كلامي موضع دون آخر وفي القليل دون الكثير.

ولهذا فالنظم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنحو، وليس المقصود ارتباط النظم بالنحو أن يخضع لتلك القواعد الجافّة الشكلية من الرفع والنصب والجرّ والجزم وتقديم الفعل على المفعول، وتأخير الخبر على المبتدأ أو تقديمه عليه، فعبد القاهر لا يقصد هذا بل يقصد النحو البلاغي أو البلاغة التحوية ومعاني السطر مقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الكلمات في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ فيه

وحيث يكون النظم هو توخي معاني النحو لا نقصد به تلك القواعد الأساسية التي ذكرناها فقط بل يعني ذلك كلام العرب بطرائقها وأساليبها، اللامتناهية في التعبير¹، وها هو عبد القاهر يصرّح بذلك، وإذا عرفت أن مدار النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق، التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أنّ الفروق كثيرة ليس لها غاية نقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها.²

5.3.3. البيان

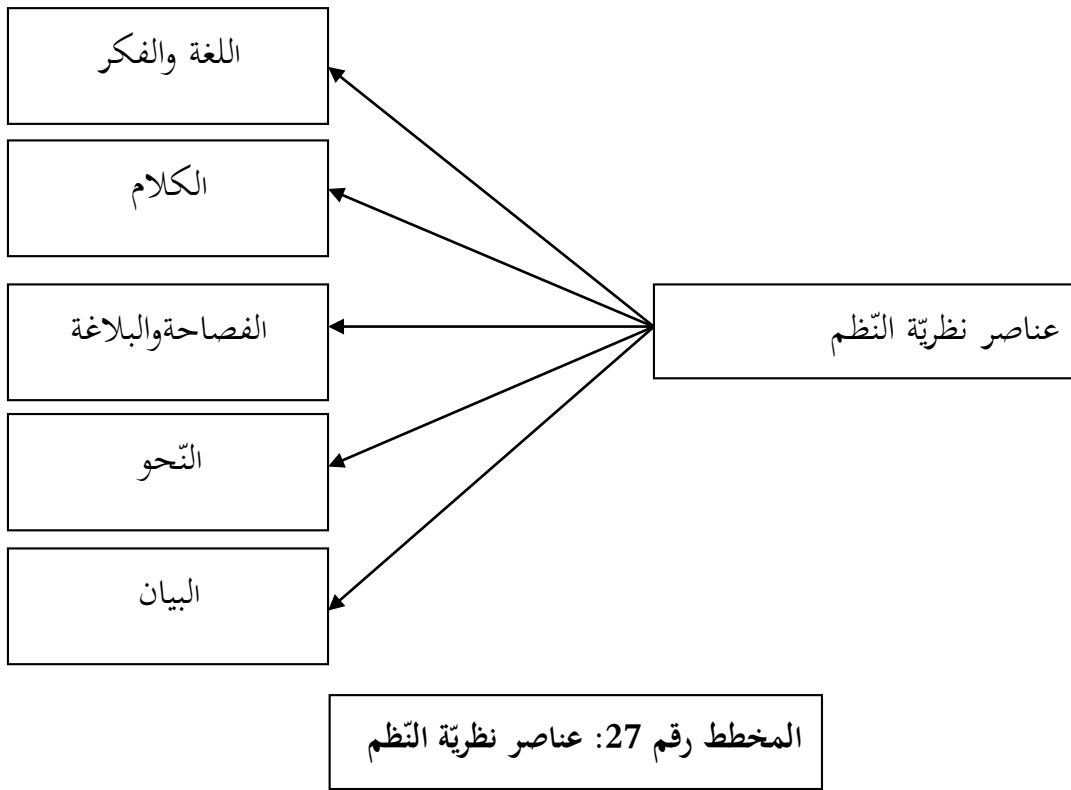
يعدّ البيان العمود الفقري للعلوم والأدب العربي، وفنون اللغة العربيّة، فهو يبيّن محاسنها ويفسّر ملامح الجمال فيها، كما أنّ علم البيان ذو أهميّة لا تقلّ عن أهميّة البلاغة فيه، يُفهم غرض المعنى المراد من الكلمة الصّادرة التي لها معنى التشبيه والاستعارة وغيرها... ولهذا فقد توصل الجرجاني إلى مسائل عديدة من هذا العلم، وذلك من خلال كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة كموضوع الكتابة، وعلم البيان والتشبيه، والاستعارة - كما سبق الذكر - وشرح ارتباطها بالنظم والمعنى من جهة وكشف عن أسرار البلاغة من جهة أخرى فيما يخصّ كيفية تركيب الكلمة المطابقة للكلام الفصيح.

1 - بلاغة الكلمة والجملة والحمل، سلطان، منير، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1993م، ص18.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص87.

ونستشف من هذا أن الجرجاني قد جعل للبيان عدّة مصطلحات مشورة مع مصطلحات (الفصاحة) و(البلاغة) و(البراءة)، عندما أراد أن يُبين أنّ معاني هذه المصطلحات لم تتحدّد عند البلاغة، وكان يقصد أنّ كلّ منهما معنى خاص، إذ يقول: « ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معناه الفصاحة (البلاغة) و (البيان) و(البراءة) وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرّمز والإيماء والإشارة في الخفاء»¹.

هذه هي عناصر نظريّة النّظم عند الجرجاني، والتي اعتنى بها، وجعلها ذات أهميّة في بناء لبنة وضع نظريّته التي استمرت في الوجود لأنّها تمثّلنا حتّى اليوم.



كما أنّ النّظريّة الجرجانية قامت على أركان وكلّ ركن له ميزته الخاصة، وأولويته من بين بقية الأركان حتّى تتعالق فيما بينها لتتمخض وتنجب لنا نظريّة علميّة قائمة على هذه الأركان والأسس السّابقة ذكرها.

4.3. أركان نظريّة النّظم

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص5،6.

تقوم نظرية النظم على أربعة أركان لا غير وهي التقديم والتأخير، والحذف والفروق والفصل والوصل وما بقي الفصول التي كتبها سوى إضافات لكتابه أسرار البلاغة في علم البيان ومجادلات وتوضيحات وتأكيدات للنظرية احتاج إليها الجرجاني ليؤكد تجاوزه لتصوّرات سابقه بالنسبة إليه. وإذا كان الجرجاني قد وضع نظرية النظم ليؤكد على أنّ ترتيب الكلام في أيّ إبداع إنّما يكون بحسب الأهميّة - وهذا ما أوضحه في الركن الأول - (التقديم والتأخير) فإنّ ترتيب أبوابه على الشكل الذي جاءت عليه في الكتاب هو مهمّ أيضا ويعتمد على الأولوية التي يراها لكلّ ركن، وبهذا يكون البدء بالتقديم والتأخير، لنتقل من ثمّ نحو الحذف ومن ثمّ نحو الفروق، وأخيرا نحو الفصل والوصل والمسائل التي أُعتبرت محقّقة لانساق النصّ وترابط أجزائه، وهذا ما يجعلنا نقف بين المسائل التي ذكرها الجرجاني، والمسائل التي أقام عليها علماء لسانيات النصّ أمثال هاليداي ورقية حسن مظاهر الاتساق.

1.4.3. التقديم والتأخير

يمكننا أن نطرح سؤالاً مهماً حول هذا الباب فيما يخصّ تقديمه على بقية الأبواب السابقة الذكر لماذا قدّم الجرجاني هذا الباب على الأبواب الأخرى؟ يا ترى لمّ لمّ يقدم باب الحذف على الأقلّ عليه علما أنّ هذا الأخير يتعامل مباشرة مع المفردة، على عكس باب التقديم والتأخير، الذي يتعامل مع الجملة؟ ومع هذا يبدو لنا أنّ نظرية النظم التي أتى به إمام جرجان تفترض أنّ إنتاج الكلام يتمّ أولاً في الدّهن على هيئة تركيبية ما، وهي العملية التي تسبق أيّة عملية أخرى، وهي تتمّ عن طريق تصوّر هيئة للكلام الذي يراد من خلال إيصال فكرة ما، وتلك الهيئة تفرض شكلاً تركيبياً معيّناً يبني على أساس من تقديم كلمة ما، وتأخير أخرى ليكون وقع الكلام أمضى أو على الحدّ الأدنى لكي يوصل الفكرة كما يريد كاتبها إلى المتلقي بالضبط، فيقول الجرجاني: «الألفاظ المفردة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسنا، ولكن لأنّ يضمّ بعضها إلى بعض»¹.

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 416.

ولهذا فُرض وضع التقديم والتأخير في مقدّمة الأبواب التي تعالج مسألة إنتاج الكلام عموماً فالجاحظ مثلا قد وضع اللفظ أولاً في ترتيب أركان بيانه، وذلك لأنّه كان يعتقد بأنّ المسألة تتمّ باختيار اللفظ الفصيح أولاً، وهو أهم ركن عنده؛ بينما جعل الجرجاني من مسألة الترتيب الذهني والتركيبي للكلام المسألة الأولى التي يمكن أن تتمّ في الذهن ولهذا وضعها في مقدّمة ترتيبه لأبوابه لتأتي بعد ذلك الترتيبات للأبواب الأخرى التابعة لهذا الباب من حذف وفصل ووصل.

ليُدعم فكرته بقوله: « وبعد أن يضع المؤلّف تلك الصّورة على الورق، يقوم بوضع بعض الترتيبات اللازمة عليها، وهي الأبواب الأخرى التابعة لكي تكون بالصّورة المثلى، إذمن الممكن أن يتمّ بعد ذلك كلّ من الحذف والفصل والوصل»¹.

أمّا فيما يخصّ باب التقديم والتأخير فقد استبعد الجرجاني من أمامه منذ البداية التقسيم الذي أتبعه في أسرار البلاغة على ما يفيد وما لا يفيد²؛ لأنّه هنا سيختلف الأمر فالتقديم والتأخير يتعلق سوى بالبناء النحوي، ولهذا لا نستطيع أن نقول أنّ الكاتب قدّم و أخر لفائدة بلاغية في موضع ما، وأنّه قدّم أو أخر مع عدم الإفادة في موضع آخر، فالكلّ مفيد ولكن يمكن القول بأنّ تقديمها مفيدا وقع هاهنا من أجل العناية بكذا، وأنّ تأخيرها وقع هنالك من أجل العناية بأمر آخر وهكذا يتبدئ الجرجاني تقسيمه لأبواب التقديم والتأخير على منحنى آخر، وهو تقسيم يتّسم ببعض الإرباك إلاّ أنّه لا يمكن أن نجد سوى هذا التقسيم، والذي طرحه الجرجاني في بداية كتابه عند حديثه بشكل عام عن أشكال التعلّق الذي يحدث بها نظم الكلام، وهي تعلق الاسم بالاسم وتعلّق الفعل بالاسم وتعلق الحرف بهما³؛ وقد سبق الإشارة إلى هذا من قبل.

1 - قراءة في نظرية النظم، بحث مقدم من التدريس، بيان شاكر جمعة، ومهند حمد شبيب، كلية التربية بجامعة الأنبار، قسم اللغة العربية، مج1، العدد1، آذار 2009، ص256.

2 - أسرار البلاغة، الجرجاني، عبد القاهر، تح: علي رمضان الجري، منشورات إلغا فالتيا، فالتيا، 2001م، ص65، 63.

3 - المصدر نفسه، ص، 83، 84.

1.1.4.3. تقديم اسم على آخر أو تأخيره عنه

يتعلّق هذا القسم بتعلّق المعرفة بالمعرفة، وتعلّق المعرفة بالنكرة، فجملة (زيد المنطلق) و(المنطلق زيد) توضّحان تعلّق المعرفة بالمعرفة، وفي هذا يكمن التّقديم والتّأخير ويتمّ تغيير حكم كل واحد منهما ف(زيد) في الجملة الأولى مبتدأ و(المنطلق) خبر له، وفي الجملة الثانية أصبح (المنطلق) مبتدأ و(زيد) خبراً له، وهو تقديم لا على نيّة التّأخير كما أسماه الجرجاني والتّحويون من قبله، وهو أن تنقل حكم المفردة من واحد إلى آخر وتجعلها في باب مختلف وإعراب مختلف، فالفرق كبير بين الابتداء والإخبار، وهو فرق لم يكن ليوجد ضمن إمكانات اللّغة لولا فائدة ما، وهذه الفائدة هي العناية والاهتمام، على أنّنا يجب أن نفسّر ونوضّح طريقة العناية والاهتمام هذين¹.

أمّا القسم الثّاني فهو تعلّق المعرفة بالنكرة كقولنا (زيد منطلق) و(منطلق زيد) وهو تقديم على نيّة التّأخير، فمن غير الممكن أن نبتدأ بالنكرة (منطلق) ولهذا لا يمكن جعلها مبتدأ ويجب أن تظلّ خبراً سواء أتقدّمت أم تأخرت² ف(زيد) في الجملة الأولى مبتدأ و(منطلق) خبر له، وفي الجملة الثانية ظلّ زيد مبتدأ مؤخّراً، وظلّ (منطلق) خبراً له.

وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أن نرتب الكلمات في ذهننا على أساس الأهمية والعناية وهو ما أراده الجرجاني في روح نظريّة النّظم التي وضعها.

2.1.4.3. تقديم الفعل أو تأخيره

وهو ينقسم بحسب أنواع الأسماء والأفعال إلى أقسام:

1.2.1.4.3. بحسب أنواع الاسم

ويختص بالاسم سواء كان معرفة أو نكرة، فإذا كان الاسم معرفة فإنّ تقديم الاسم عليه أو تقديمه هو على الاسم يبرز بالعناية والاهتمام، وأمّا إذا كان الاسم نكرة وجب تعريفها أو تخصيصها بالوصف أو بالإضافة ولا يجوز بقاء النكرة على حالها.

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني عبد القاهر، ص136.

2 - المصدر نفسه، ص84.

3.2.1.4.3. بحسب أنواع الفعل

كلّ الأفعال (الماضي، الحاضر، المستقبل)، لها نفس الأهميّة إذا تقدمت، وعدم الاهتمام تناله إذا تأخرت، حالها حال كلّ أشكال التّقديم والتّأخير، لأنّه الأصل الذي يُجرى عليه هذا الفن.

3.2.1.4.3. الحرف وتعلقه بالاسم والفعل

وهذا القسم له قاعدتان أوّلهما أنّ الحرف لا يدخل على الاسم أو الفعل على انفراد، بل يدخل إمّا على جملة فعليّة أو جملة اسميّة، وثانيهما أنّه لا يمكن أن يكون الكلام من جزء واحد فقد سبق الحرف بعض الأسماء، أو بعض الأفعال فيكون لوجودها أثر في تقرير معنى الحرف، وما يهّمنا دخوله على الأسماء أو مباشرته لها وهو على ثلاثة فنون:

أولهما: وقوع الحرف بين اسمين ويكون ذلك في العطف مثل: جاء زيد وعمرو.

ثانيهما: أن يقع الحرف بين الفعل والاسم مع مباشرته للاسم وهي حروف الجر كقولنا: مررت بزيد.

ثالثهما: أن يتصدّر الحرف صدر الكلام فيتعلّق إمّا بجملة اسمية أو فعلية كقولنا: ما زيد نائم، إن جاءني زيد أكرمه.

2.4.3. الحذف

إنّ الحذف والذكر يتعلّق بمفردات يتم تعديل وضع البنية الذهنية التي تُعدّأول عمليّة تأسيسية يقوم بها أي كاتب قبل البدء بالكتابة، لأنّها تمثّل المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي وبهذا يجب أن تُنظم الكلمات ويتم توزيعها وتعديلها، وهذه العمليّة تخص التّقديم والتّأخير لتأتي العمليّة التالية لتزيّن وتوجّه لتكون أبلغ من العمليّة الأولى.

ولكن ليس كل حذف يقع للجملة أو أحد عناصرها هو من قبيل التّعديل؛ فمن الممكن أن يقع الحذف منذ البنية الابتدائية للجملة حينما يكون للحذف التأثير الواضح والبيّن في معنى الكلام وقد يقع الحذف نتيجة قراءة تالية للجملة، والمعنى المراد فيتمّ حذف بعض العناصر التي ذكرت وفي حذفها يكون معنى الكلام أتمّ وأبلغ، وأعني بذلك أنّ الحذف ما يتعلّق بمعنى الكلام

الأساس ومنه ما يتعلّق بجمالية الكلام وبلاغته، ولكنّ الجرجاني لم يميّز لنا بين أنواع الحذف على هذا الأساس، بل لم يضع أساساً أيّ توزيع لأشكاله، واكتفى بدلا من ذلك بالحديث بشكل عام عن الحذف قائلا: « هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الدّكر أفصح من الدّكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبين».¹

وقد اتّبع الجرجاني نفس التوزيع الذي وضعه في التّقديم والتّأخير، وبهذا يكون الحذف في الاسم والفعل والحذف أيضا.

1.2.4.3. حذف الاسم وذكره

يذكر الجرجاني في باب الحذف قائلا: « هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسّحر فإنك ترى به ترك الدّكر أفصح من الذكر والصّمت عن الإفادة».²

وتحدّث الجرجاني عن حذف نوعين من الأسماء، وهما حذف المبتدأ والمفعول به كما اعتبر أوّل أنواع الأسماء المحذوفة المبتدأ والخبر، وهو في الحقيقة أكثر تأثيرا في المتلقي ذلك أنك حينما تباشر الخبر في القراءة تبدأ في التّفكير في المحذوف السّابق عليه، وهذا يخصّ المبتدأ، ومنه قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾؛ (سورة النور، الآية 01) والتّقدير: هذه سورة أنزلناها، وقد حذف منها المبتدأ لدليل يدلّ عليه.³

وفيما يخص حذف الخبر فالجرجاني يرى أنّه دليل يدلّ عليه أيضا كقوله تعالى: ﴿كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾، (سورة الرّعد، الآية، 36) أي وظلّها دائم، وهي المواضع التي ركّز عليها الجرجاني والتي تفرّز بأمّاكن يجوز فيها الحذف والإبقاء، ذلك أنّ يجوز الاتقاء والذكر في مواضع، والحذف في مواضع أخرى، وهذا الحذف يكون لغاية جمالية تمدح النّص ما اسماه الجرجاني القدرة

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 09.

2 - المصدر نفسه، ص 146.

3 - قطر الندى وبل الصدى، أبو هشام الأنصاري، ص 77.

على التناسي أي أن يُجبر القارئ فكره على تناسي أن ثمة محذوفاً هنا على الرغم من درايته دراية تامة بأن المحذوف لا بدّ منه لكي يفهم المعنى.

2.2.4.3. حذف الفعل

الجرجاني لم يذكر حذف الفعل أساساً واقتصر في بحث الحذف على المبتدأ والمفعول به من بين جميع أنواع الحذف، قال ابن هشام بخصوص حذف الفعل في باب الاشتغال (يجوز في الاسم المتقدّم أن يُرفع بالابتداء، وتكون الجملة بعده في محل رفع على الخبرية وأن يُنصب بفعل محذوف وجوباً يُفسّره الفعل المذكور، فلا موضع للجملة حينئذٍ لأنّها مفسّرة)¹؛ ومثاله في ذلك: (زيدٌ ضربته) بتقدير: ضربتُ زيداً ضربته، ومن الملاحظ هنا بأنّ المحذوف يكون محذوفاً وجوباً إذا استعملنا حكم النّصب فقط، مع الاسم الأول وأما إذا رفعناه فلا مشكلة حينئذٍ في الجملة والأمر جائز في كلتا الحالتين في النظام النحوي.

3.2.4.3. حذف الحرف

لم يذكر الجرجاني أيضاً حذف الحرف مع أنّ فيه بعض الأمور التي يمكن أن تقدّم بعض الفوائد للتّحليل البلاغي ومنه: مثلاً حذف (رُبّ) كقول امرئ القيس:

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدُولَهُ
عليّ بأنواع الهُموم لبيتلي

وحذف بعض حروف الجرّ في بعض المواضع، أمناعك اللبس قياساً وسماعاً²، وهو التّمط الوحيد الذي يتوقّف على قدرة بلاغيّة لطيفة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾؛ (سورة هود الآية، 67)، أي برّهم وقد جاء حذف الجرّ هنا سماعياً، لأنّه لا يتوقّف فيه أحد المواضع التي يّقاس عليها حذفه وهذا ما أسماه الجرجاني مبدأ التناسي، فالقارئ يقرأ النّص ويعتقد بأنّ القراءة بدون حرف الجرّ هي قراءة ممكنة ولطيفة.

1 - قطر الندى وبل الصدى، أبو هشام الأنصاري، ص 79.

2 - المرجع نفسه، ص 162.

3.4.3. الفروق في الخبر:

وضع الجرجاني عنوانا غريبا لهذا الباب وهو الفروق في الخبر، وكان يقصد بذلك الخبر بشكل عام سواء كانت الجملة إنشائية أم خبرية، وبهذا يقسم الخبر إلى نوعين وهما: الخبر الذي يكون جزءا من الجملة لا تتم الفائدة بدونه وهو خبر المبتدأ في الجملة الاسمية، والفعل في الجملة الفعلية وهو الأصل في الخبر أو في الفائدة¹.

أما القسم الثاني من الخبر هو كل ما تبقى من أنماط الكلام، وعلى رأسه الجملة الحالية وهو الخبر الذي لا يكون جزء من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق عليه يأتي الحال ليوضحه ويزيد عليه كقولنا: «جاء زيد ركبًا»، هنا نخب عن المجيء لزيد ولكننا نخب عنه ركبنا أي أننا لدينا ركنان في الجملة: الأول هو الخبر وهو الجزء الأساس من الجملة والثاني هو خبر ثانٍ ليس جزءاً من الجملة ولكنه مكمل له².

ومن خلال ما جاء به الجرجاني من الحديث عن التقديم والتأخير بين الكلمات داخل الجملة عند إنشائها، ثم بعدها سار نحو الحذف الذي عدّ العملية التالية أثناء إنشائها فإنه هنا خصّص الحديث عن الجملة بصفة عامة، وتركيبها فيما بينها.

3.4.4. الفصل والوصل

اعتبر الجرجاني هذا الركن الأخير في نظرية النظم، وفي عملية الإنشاء الكلامي، فبعد أن يكمل المؤلف اختيار الجمل ووضعها في موضعها، ينبغي أن يفكر في علاقاتها فيما بينها، فيما إذا كانت متساوية أو متوازية، وفيما كانت متشابهة أو متناقضة، فتجري عمليتي الفصل والوصل على هذه الأسس، وبهذا يكون الانتقال من التقديم والتأخير مرحليا داخل الجملة الواحدة لكي تنتج الفكرة السليمة بنيتها الصحيحة، وما يؤكّد فكرته قوله: «اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص122، 126.

2 - المصدر نفسه، ص133.

بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلص، والأقوام طبعوا على البلاغة وأتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد»¹.

كما أنه عزز دراسته بالحديث عن الفصل والوصل، الذي يقع داخل الجملة الواحدة متخذاً أن ما ينطبق عليها ينطبق على الجمل في مرحلة ثانية، فيقول أيضاً: «واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها»².

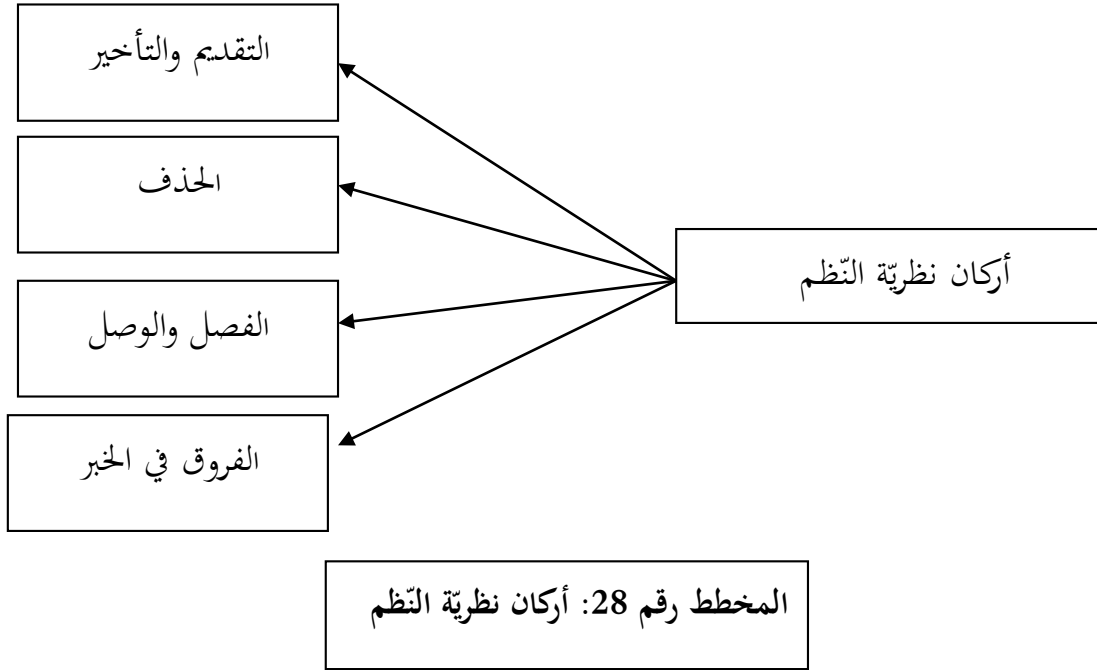
ومن المعلوم أن الفصل والوصل يمكن أن يقع بين الجمل الفعلية، والجمل الاسمية وبين شبه الجمل وليس لدينا غير هذه الأشكال الثلاثة من التركيبات النحوية وهي تتفق تماماً مع الاسم والفعل والحرف.

بالنظر إلى المفاهيم التي طرحها الجرجاني حول أركان نظرية النظم نجد أنه أولى أهمية بالغة لباب التقديم والتأخير، لتأتي الترتيبات بعد ذلك لبقية الأبواب التابعة لهذا الباب، ولم يقتصر في تصنيفه على قضية دون الأخرى ولكنه رصد مختلف المفاهيم على أساس أنها تكمل بعضها البعض، سواء على المستوى التحويلي أم على المستوى الدلالي حتى يضمن النص كوحدة متماسكة.

أما بلاغياً فقد أخذ باب الفصل والوصل قدراً كبيراً من الاهتمام حتى ورد لدى بعض البلاغيين في تعريفهم للبلاغة: بأنها معرفة الفصل من الوصل.

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص136.

2 - المصدر نفسه، ص171.



5.3. أسس النظرية الجرجانية

استفاد الجرجاني في دراساته سبقتة، وبنى نظريته على هذه الأفكار، مستغلا في ذلك طاقات اللغة والفنون البلاغية بعد أن جمع مختلف الآراء وبحث فألف، ووضّح فقوّم، فكان الشّارح والواضع لنظريّة تمخّضت بعد رحلة علميّة طويلة وشاقّة قامت على أسس هي:

1.5.3. نظم الكلم

تقوم فكرة نظم الكلم على مبدأ التّعالق، وتناسق دلالات الكلام وتلاقي معانيه على الوجه الذي يقتضيه العقل مع اعتبار حال المنظوم بعضه مع بعض ليعرفه جعفر ذلك الباب: «بأنّه ترتيب الكلمات وتأليف الكلام»¹، وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني: «والفائدة في معرفة هذا الفرق: «أنتك إذا عرفته عرفت أنّ ليس الغرض بنظم الكلم، أن توات ألفاظها في النّطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، وكيف يتصوّر أن يقصد به توالي الألفاظ في النّطق بعد أن ثبت أنّه نظم يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض»².

1 - الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، ذلك الباب، جعفر، ص144.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص49،50.

فنظم الكلم معناه ضمّ الشّيء إلى الشّيء كيف جاء واتفق بشرط أن تتناسق دلالتها، وتتلاقى معانيها كما سبق وذكرنا.

كما جعل الجرجاني النّظم نظير الصّياعة والتّجبير والترتيب، والنّفس والنّسج والتصوير والتأليف والتّركيب، وقد جمعها نصّ له ذكره في سياق التّمهيد لمعنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة حيث يقول في ذلك: « ووجدت المعوّل على أّمّاهنا نظماً وترتياً وتأليفاً وتركيباً، وصياغةً وتصويراً، ونسجاً وتعبيراً، وأنّ سبيل هذه المعاني في الكلام الّذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء الّتي هي حقيقة فيها...»¹.

شبهه الجرجاني هذا النّظم بصناعات يدويّة فجعل الصّياعة والتصوير يمثلان درجة السّبك (صناعة المعادن)، والرسم، والنسج والتحسير يمثلان درجة الحبك (صناعة النسيج)، كما أكّد على اعتبار سمات البناء توجب نضم بعضها مع بعض لتكوّن النّظم، والترتيب كدرجة للحوار بين عناصر الكلام والتأليف والتّركيب ليجمع أجزاء الكلام بعضه مع بعض.

ومّا يجب توضيحه أكثر هنا أنّ الجرجاني قد فرّق بين نظم الكلم ونظم الحروف، فجعل هذا الأخير توالي الحروف في النّطق فقط فيقول: «...نظم الحروف تواليها في النّطق...، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرّى في نظمه لها ما تحرّاه، فلو أنّ واضح اللّغة كان قد صال «ربض» مكان «ضرب» لما كان في ذلك ما يؤدّي على فساد»².

وأما نظم الكلم عكس ذلك لأنّه يقتضي في نظمه اقتفاء آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النّفس في قوله: « ومّا يجب إحكامه في هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة، وذلك أنّ نظم الحروف هو تواليها في النّطق فقط...، وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنّك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 29.

2 - المصدر نفسه، ص 49.

النفس، فهو إذن نظم يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس النظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء، كيف جاء واتفق»¹.

ومن هنا يتضح مدى أهمية كل تركيب ومدلوله وخاصيته دون غيره في الترتيب، لأنّ الفائدة من معرفة هذا الفرق أنّنا نعرف أنّ ليس الغرض بنظم الكلم وبناءه أن توالى ألفاظه في النطق بل أن تناسقت دلالاته وتلاقت معانيه، لأنّ العلم بموقع اللفظ علم بموقع معناه في نفس المتكلم، ومن ثمّ لا بدّ أن تجسد هذه المزية والفضل داخل التركيب على النحو الذي أريد له أن يكون لبناء الكلم في أبهى صورة وأدقّ تصوير.

ولنظم الكلم شروط لا بدّ من توفّرها وهي:

1.1.5.3. ترتيب المعاني في النفس أولاً ثم حذف الألفاظ وترتيبها في النطق

يؤكد عبد القاهر أنّ نظم الكلم وترتيب الألفاظ حسب ترتيب المعاني في النفس لبنة أساسية تزيد من الترابط المتين بين هذه الألفاظ والمعاني، واعتبرها بمثابة الجسد والروح مستحيل الفصل بينهما فيقول: «لا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعته الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب لها، ولا حقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق»².

وأوضح من هذا كلّهُ أنّ الكلام اللفظي ما هو إلّا ظلّ يتبع الكلام النفسي، فمحال أن تفكر في أمر وأنت تصنع أمراً آخر، أو لا تصنع فيه شيئاً، لو كان كذلك لجاز أن يفكر البناء في الغزل ليحفل فكره فيه، وصلة إلى أن يصنع من الآجر، وهذا من الإحالة المفرطة ولهذا فوجب أن نرى أنّه لا بدّ من ترتيب المعاني في النفس أولاً، ثمّ تجيء الألفاظ على نسقها لتدلّ عليها في النطق.

1 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص53، 54.

2 - المصدر نفسه، ص49.

وبما أن عبد القاهر متكلم أشعري، وبلاغيّ نحوي، وناقد في الوقت ذاته فإن آراءه في النظم لا تخرج عن هذه الأطر، حيث ذهب إلى أنّ الكلام النفسي الذي يقوم على العلاقات بين معاني الكلمات هو الكلام الحق، أنّ الكلام اللفظي ليس إلا ظلاً يتبع هذا الكلام النفسي في نهجه ورسمه وأنّ المعاني ترتب في النفس أولاً، والألفاظ تترتب في النطق ترتيباً يتحكم فيه ترتيب هذه المعاني فهناك نظم معنوي في النفس يقابله على اللسان نظم لفظي يتبعه تبعية مطلقة ويقتضي آثاره¹.

2.1.5.3. معاني النحو

لعلّ من أرسخ المبادئ التي تتكرّر بكثرة في نظرية النظم، وجعلت أحد أهمّ الشروط لنظم الكلم مبدأ توفي معاني النحو، فتعرّف سناء حميد البياني معاني النحو « بالمعاني الذهنية التي تتولّد في فكر المتكلم عند نظم الجمل، تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبر عنها بالكلم، وفي حالة فقدانها يصبح الكلام نوعاً من الهذيان»².

يمكننا إسناد المعان الذهنية السابقة الذكر، والتي نجدها في نظم الكلم إلى جمل تمرّ في ذهن المتكلم من مرحلة تحديد العلاقات، أي معاني النحو إلى مرحلة تحديد الألفاظ المناسبة في أمثلة عدّة نحاول أن نفكر ونتحسّس ما يجري في الذهن من جمل بسيطة إلى جمل أكثر تعقيداً، فجملة (أفلح المؤمن) مثلاً تحسّ أنك تريد أن تسند شيئاً إلى شيء فالإسناد³ في هذه الجملة أو عملية ذهنية تنشأ في ذهن المتكلم لتحديد العلاقة بين شيئين ثم تأتي مرحلة تحديد الألفاظ المناسبة للإسناد المطلوب وهذا في نفس المرحلة الذهنية فيتحدّد الفعل (أفلح) من بين عدد كبير من الأفعال المخزونة في الذهن وكذلك تتحدّد كلمة (المؤمن) من بين عدد كبير في الأسماء الموجودة في

1 - نظرية النظم عند الجرجاني، عبد القاهر وصلتها بقضية اللفظ والمعنى، عبد الفتاح سيد حجاب، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد أبو السعود الإسلامية، العدد9، 1979م، ص341،340.

2- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، حميد البياني، سناء، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2003م، ص32.

3- الكتاب، سيبويه، ص23.

الذهن فيخرج الإسناد بهاتين الكلمتين المحددتين المختارتين، فهذا يأخذنا إلى أنّ التفكير بالإسناد هو الأوّل وبعد ذلك تلاه التفكير بتعيين الكلمات واختيارها.

ولو تحسّسنا مثالا آخر في جملة أخرى أكثر تعقيدا وفكرنا بطريقة نظمها فجملة (يعبد الإنسان العاقل خالق الكون) لوجدناها قد صدرت عن معان ذهنية متعدّدة أنجزها الذهن وانطلقت منه والتي تسمّى بـ (معاني النحو)، وهذا هو الأصل في بناء الجملة وكانت المعاني الذهنيّة¹.

ومعاني النحو التي أنجزت هذه الجملة هي كلّ المعاني المشروحة سابقا، وهي:

- الإسناد: الذي حدّد العلاقة بين (يعبد) و(الإنسان العاقل) وربطهما ببعضهما.

- الإبتاع: الذي حدّد العلاقة بين (الإنسان) و(العاقل) وربطهما ببعضهما.

- التخصيص: الذي حدّد العلاقة بين (يعبد) و(خالق الكون) وربطهما ببعضهما.

- الإضافة: التي حدّد العلاقة بين (خالق) و (الكون) وربطهما ببعضهما.

وهذه الجملة لم تركز على معنى ذهني (نحوي) واحد، أي لم تركز على الإسناد فقط، بل تفاوتت إلى معان ذهنيّة أخرى، وهذه الأخيرة حدّدت العلاقات بين الكلم، وربطت بعضها ببعض، وهذه المعاني الذهنية هي (معاني النحو)، التي ألحّ عليها الجرجاني في نظريته التي ذاع صيتها منذ أن وضعها «نظرية النظم» فالمعاني الذهنية هي التي تحدّد العلاقات بين الكلم، وتربط بعضها ببعض بمعنى المعاني ذات الدلالات العقلية.

وقد أكّد الجرجاني على ذلك بقوله: « واعلم أنّك تجد هؤلاء الذين يشكّون فيما قلناه تجري على ألسنتهم ألفاظ وعبارات، لا يصح لها معنى توحي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ثمّ تراهم لا يعلمون ذلك فمن ذلكما يقول الناس قاطبة من أنّ العاقل يرتّب في نفسه ما يريد أن يتكلّم به، وإذا رجعنا إلى أنفسنا لم نجد لذلك معنى سوى أن يقصد إلى قولك

1- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد، يوسف الهنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ-2002م، ص49.

(ضرب) فيجعله خبرا عن (زيد) ويجعل الضرب الذي أخبر بوقوعه منه واقعا على (عمرو)، ويجعل (يوم الجمعة) زمانه الذي وقع فيه، ويجعل (التأديب) غرضه الذي فعل الضرب من أجله فيقول: (ضرب زيد عمرو يوم الجمعة تأديبا له)، وهذا كما ترى هو توحي معاني النحو فيما بين معاني هذه الكلم، ولو أنك فرضت أن لا تتوحي في (ضرب) أن تجعله خبرا عن (زيد)، وفي عمرو أن تجعله مفعولا به لضرب، وفي يوم الجمعة أن تجعله زمانا لهذا الضرب وفي التأديب أن تجعله غرض زيد من فعل الضرب، ما تصور في عقل، ولا وقع في وهم أن تكون مرتبا لهذه الكلم، وإذ قد عرفت ذلك فهو العبرة في الكلام كله، ظنّ ظنا يؤدي خلافا ظن ما يخرج به عن المعقول»¹.

ويؤكد الجرجاني فيما قال أننا لمعرفة المعاني النحوية التي تتألف منها الجملة، والكشف عنها لا بدّ من معرفة المعاني الذهنية التي تتألف منها الفكرة وتمثّل فيما يلي :

3.1.2.1.5.3 الإسناد

يضع الجرجاني ما يسمّى بتصوّر العلاقات النحوية بين الألوان مفهوما للنظم وأعطى مثلا عن هذا كتصوّر علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، والذي يُعتبر عمليّة ذهنيّة يقوم بها ذهن المتكلم عند إدراك العلاقة بين كلمتين أي إسناد الشّيء إلى الشّيء، فيسمّى أحدهما مسندا والآخر مسندا إليه².

وقد ذكرهما سيوييه (ت180هـ) في كتابه في باب «المسند والمسند إليه» إذ يقول: « وهما مالا يَعْنِي أحدهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بُدّا، فمن ذلك المبتدأ والمبني عليه وهو قولك : عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بدّ للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأوّل بدّ من الآخر في الابتداء»³.

ويعنّ الجرجاني النّظر في بيان معنى نظم الكلم، ويزيد في توضيحه فيما يخصّ المسند والمسند إليه أنّهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر فيقول: « ومختصر

1 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص300.

2 - المصدر نفسه، ص31.

3 - الكتاب، سيوييه، ص23.

الأمر أنه لا يكون كلام من جزء واحد، وأنه لا بدّ من مسند ومسند إليه¹؛ وعليه فعلى الناظم أن يكون على دراية بأنّ التعامل اللغوي التّحوي يقوم على الجملة الاسميّة والجملة الفعلية، فيجب أن يتّخذ من مبدأي المسند والمسند إليه حيّزاً مهمّاً كفيلاً بأن يؤطر السياقات التعبيرية بمختلف تموضعاتها النّظمية، وبهذا يكون الإسناد هو الأصل والأساس الذي يُبنى عليه نظم الجملة، وباقي المعاني التّحوية ما هي إلا متعلّقة ومرتبطة به، للتعبير عن فكرة تامة²، لذا فإن الإسناد عنده نظير النسخ والصوغ وربط الكلمات بعضها ببعض من طرف المتكلم الذي نظّمها وحدّد العلاقات بينها ففي الفكر يتمّ انجاز (المعاني الذهنية) وفي النّظم هي (معاني النّحو)، وفي الفكر يتمّ تحديد العلاقات بين الأشياء وفي النّظم هو تعليق الكلم بعضها ببعض وبناء بعضها على بعض وجعل هذه بسبب تلك.

ففي قولنا مثلاً: أُمُكْرُمُ مُحَمَّدٌ عَلِيًّا؟ فالعلاقة بين الكلمتين (مكْرِمٌ) و(مُحَمَّدٌ) في هذه الجملة علاقة إسناد ف (مُكْرِمٌ) مبتدأ وصف مشتقّ (اسم فاعل) مسندٌ إليه، و(مُحَمَّدٌ) فاعلٌ له سدّ مسدّ الخبر فهو مسندٌ، أو هو مبتدأ مؤخّر خبره مُقدّم (مكْرِمٌ)، وإن أخذنا جملة مُحَمَّدٌ أَخُوكَ نجد العلاقة بين كلمتي (مُحَمَّدٌ) (أخوك) علاقة إسنادية، في حين لو أضفنا لهذه الجملة كلمة ناجح وأصبحت (مُحَمَّدٌ أَخُوكَ نَاجِحٌ) نلاحظ عدم حصول الإسناد بين محمد وناجح وصارت علاقة الإسناد بين (مُحَمَّدٌ) و(ناجحٌ) لأنّ (أخوك) صار تابعاً، وهما معاً مسندٌ إليه مبتدأ (وناجحٌ) مسند خبر.

2.2.1.5.3. التّخصيص

هو معنى ذهني ونحوي ينجزه ذهن المتكلم كما أنجز الإسناد من قبل، وهو ذو اتجاهات متعدّدة³ حصرتها سناء حميد البياني فيما يلي:

- التّخصيص باتجاه التّوكيد وبيان النّوع وبيان العدد (المفعول المطلق).

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني عبد القاهر، ص 7 .

2 - قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، حميد البياني، سناء، ص 175، 179.

3 - المرجع نفسه، ص 181، 198، 202، 203.

- التّخصيص بأتجاه الغاية (المفعول لأجله).
 - التّخصيص بأتجاه الزّمان والمكان (المفعول فيه).
 - التّخصيص بأتجاه المصاحبة (المفعول معه).
 - التّخصيص بأتجاه توضيح الإبهام (التمييز).
 - التّخصيص بأتجاه تحديد الهيئة (الحال).
 - التّخصيص بأتجاه الإخراج (المستثنى).
 - التّخصيص بأتجاه تعيين المبهم (المخصوص).
- فالتّخصيص هنا يتعلّق بالإسناد ويرتبط به فيقيده، ويحدّده من حيث تعلّق كلّ فرع من فروعهِ بالإسناد فيخصّصه في اتّجاه معين.

3.2.1.5.3. الإضافة

هي معنى ذهني يقصد بها نسبة تربط بين شيئين فتجعلهما شيئاً واحداً؛ وتنقسم هذه الإضافة حسب سناء حميد البياني إلى قسمين:

أ-الإضافة المباشرة: وهي ضمّ كلمة إلى أخرى فتقيّد الثانية الأولى وتجعلها محدّدة بمعنى معين فيصيران معاً شيئاً واحداً، فمثلاً كلمة «مدير» هي مطلقة إذا ضممتها إلى كلمة أخرى فيقول مثلاً مدير مشروع، أو مدير شركة أو مدير مدرسة، أو غيرها فإنك تكون قد قيّدتها وحدّدتها بمعنى معين.

ب-الإضافة غير المباشرة: وهي أن تنسب فعلاً إلى اسم بواسطة أدوات الإضافة التي سمّيت بـ«حروف الجر»¹، مثلاً (مررت بزيد) فأنت هنا أضفت فعل المرور إلى زيد بمساعدة حرف الجر الباء «وهلم جرّاً».

1 - قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، حميد البياني، سناء، ص246.

3.1.5.2.4. الإتياع

هو معنى نحوي رابع مشترك مع المعاني النحوية الثلاثية وهي: الإسناد والتخصيص والإضافة في نظم الجمل، فالتابع متعلق بالمتبوع ومقيد له في المعنى ومماثل له في الحالة الإعرابية فالتابع المرفوع مرفوع، وتابع المنصوب منصوب، وتابع المجرور مجرور¹، فمثلا فاز الولد الذكي (مرفوع)، قرأ التلميذ قصة مفيدة (منصوب)، مررت برجل كريم (مجرور).

ويكون الإتياع بأجاء الوصف (التعت)، وبأجاء التوكيد (المؤكد)، وبأجاء التوضيح (البيان) وما ينبغي على أنه بيان.

عبد القاهر الجرجاني ركز وبكل وضوح وإصرار على المبدأ النحوي، واعتبره عاملا حاسما في تحقيق مقاصد النظم وآلياته البنائية، وما يدل على ذلك قوله: «...الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ولا ينكر حسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه...»².

يأخذنا هذا القول بأن عبد القاهر قد أولى معاني النحو أهمية بالغة، وأصبحت إجراءات كفيلة بإظهار المعنى وتشخيصه لأنها ثمرة النظم وزيدته، ولأهميتها كررها عدّة مرات في كتابه دلائل الإعجاز منها قوله: «لا يكون الضم فيها ضمّا ولا الموقع موقعا حتى يكون قد توخى فيها معاني النحو وإنك إن عمدت إلى الألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضا من غير أن تتوخى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئا تدعي فيه مؤلفا...»³.

ويدخل في توخي معاني النحو ما يلي:

- **التعليق النحوي:** اعتبر الجرجاني التعليق محور نظرية النظم وعمادها، وربطه بها ارتباطا وثيقا فالألفاظ لا توضع متجاورة تجاور الحروف دون تعلق بعضها ببعض وتماسكها، وإنما توضع الكلم

1 - المرجع السابق، ص 255.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 24.

3 - المصدر نفسه، ص 283.

بجانب الأخرى، وترتبط فيما بينها بعلاقات نحوية أي بواسطة القرائن اللفظية أو القوانين المعنوية والحالية، فلا يتم من دونها كلام، ولا يفهم حديث، وإذا أردت تفصيلا أكثر فأنظر إلى نصّ عبد القاهر إذ يقول: «... واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أنّ لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يتعلّق بعضها ببعض، وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس»¹.

فاللغة عند عبد القاهر لا تكمن في أنّها عبارة عن كلمات مجتمعة ومتجاوزة فقط، بل هي شبكة مترابطة من العلاقات لكلّ علاقة منها دلالاتها وخصوصيتها لذلك نجده يبيّن وجوه التعليق النحوي ويقسمها إلى ثلاثة طرق:

- تعلق اسم باسم.

- تعلق اسم بفعل.

- تعلق حرف بهما.

فيقول: «معلوم أنّ ليس النظم سوى تعليق الكلام بعضها من بعض، والكلام ثلاث فعل واسم وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم تعلق اسم بفعل، تعلق حرف بهما»².

فالاسم يتعلّق بالاسم بأن يكون خبرا عنه أو حالا منه أو تابعا له، صفة أو عطف بيان أو تأكيدا أو بدلا أو عطفًا بحرف، أو بأن يكون الأول مضافا إلى الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول، كاسم الفاعل في قولك: «زيد ضرب عمرا» واسم المفعول كقولك: «زيد مضروب غلمانة»، والمصدر كقولك: «عجبت من ضرب زيد عمرا»، والصفة المشبهة كقولك: «زيد حسن وجهه، وكريم أصله وشديد ساعده»، أو بأن يكون التمييز كقولك: «طابت الجزائر أرضا»³.

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 63، 65.

2 - المصدر نفسه، الدلائل، ص 87، 88.

3 - نفسه، ص 81.

والضرب الثاني تعلق الاسم بالفعل وهذا يكون مثلا فاعلا له أو مفعولا به، أو منزلا من الفعل مكان المفعول، وذلك في خبر كان وأحواتها والحال والتمييز فقولنا «ضربتُ زيدا» ف «زيدا» مفعول به أو مفعولا مطلقا كقولك: خرجت يوم الجمعة ووقفت أمامك»، أو مفعولا له كقولك: جئتك إكراما لك».

وأما تعلق الحرف بالاسم والفعل، فهو يأتي على ضرب ثلاثة أحدهما يتوسط بين الفعل والاسم مثل حروف الجر التي تعدي الأفعال إلى أسماء كقولك: مررت بزيد أو على زيد. والضرب الثاني من تعلق الحرف بما يتعلق به العطف، وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل الأوّل كقولنا: «جاءني زيد وعمر»، والضرب الثالث تعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشّروط والجزاء بما يدخل عليه، وذلك أنّ من شأن هذه المعاني أن تتناول بالتقييد وبعد أن يُسند إلى شيء، معنى ذلك: أنّك إذا قلت: «ما خرج زيد» و «ما زيد خارج». لم يكن النفي الواقع بها متناولا الخروج على الإطلاق، بل الخروج واقعا من زيد ومسندا إليه¹

-النحو يتكون من أشكال تحدّد المعاني خاصّة بالبنية

لا يقتصر دور التعليق في تشيد القرائن المعنويّة فقط بل تتعدى إلى وضع الصيغ الشكلية التي تخضع لأبواب وظيفيّة في التّركيب أيّا كانت دلالاته، وهذا إن دلّ فيدل على قول عبد القاهر أنّ المعنى الذي تؤدّيه الأداة هو معنى وظيفي ينطبق على مجموع الجملة التي تتصدّرها الأداة فوضع لنا دستورا في التّقديم والتّأخير الخاص بالاستفهام والخبر مثلا فيقول: «واعلم أنّ معك دستورا لك فيه، إن تأملت، غنى عن كلّ سواه وهو أنّه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام «استخبار»، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك، فإذا كان كذلك كان محالا أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في «الاستفهام» فيكون المعنى إذا قلت: «أقام زيد؟» ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر، ويكون قولك: «زيد قام» و «قام زيد» سواء، ذلك لأنّه يؤدّي

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص76.

إلى أن تستعمله أمراً لا سبيل فيه إلى جواب، وأنستثبته المعنى على وجه ليس عنده عبارة يثبتته لك بها على ذلك الوجه¹.

ويبدو لنا هنا وبشكل أوضح الدور الحقيقي لبنية الوحدة اللغوية من جهة الشكل والوظيفة الخاصة بالموقع، فالفعل المضارع مثلاً قد يشير إلى الحال أو إلى الاستقبال، وهنا كيف يمكن التمييز بين الحالتين من البنيات الشكلية والموقع الوظيفي²، دون معرفة المضمون والمعنى الدلالي؟

يجيب عبد القاهر عن ذلك قائلاً بأنه إذا قلت: «أتفعل؟» معناه أنك تقرره لفعل هو يفعله وتوهمت أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن، وإذا قلت «أأنت تفعل؟» تكون قد قررت بأنه الفاعل وكان الفعل في وجوده ظاهراً، وإذا أردت بـ «أتفعل؟» المستقبل وبدأت تكون بالفعل كان معناه إنكار الفعل، وإذا بدأت بالاسم فقلت: «أأنت تفعل؟» كنت وجهت الإنكار إلى الفاعل³.

- اعتبار حال المنظوم بعضه مع بعض: بمعنى ترتيب الكلمات مع بعضها، ويأتي هذا بعد مراعاة الجوانب الثلاثة:

- اختيار عناصر البنية ذات الوظيفة التنظيمية سواء كان رجاء أو استفهاماً أو نفيًا أو نداء.

- ترتيب الكلمات المختارة وتحديد موقعها في الجمل .

- المطابقة بمعنى تساوي الارتباط الداخلي بين الصيغ وفقاً لقوانين المطابقة أو عدمها سواء

من حيث العدد أو النوع أو التعريف أو التنكير، ويأتي الإعراب تابعا لها .

وعليه يتم التفاضل بين الأساليب ويعلو بعضها بعضاً، وتبدو في المقدرة وطرق التفاوت

والاختلاف أما الإعراب فلا تفاضل فيه حسب الجرجاني وإن كان هو صمام الأمان وما يدل

على ذلك قوله: « ومن هاهنا لم يجز، إذا عد الوجوه التي تظهر بها المزية، أن يعد فيها الإعراب.

وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم، وليس مما يستنبط بالفكر، ويستعان عليه

بالروية. فليس أحدهم بأن إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب، والمضاف إليه الجر، بأعلم من

1 - المصدر السابق، ص 140.

2 - عالم اللغة عبد القاهر المفتح في اللغة العربية ونحوها، البداروي، زهران، ص 188، 189.

3- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 116، 117.

غيره، ولا ذاك مما يحتاجون فيه إلى حدة ذهن وقوة خاطر، إنما الذي تقع الحاجة إلى ذلك، العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز كقوله تعالى: (فما رحمت تجارتهم)¹ وقوله أيضا: « وليس يكون هذا علما بالإعراب، ولكن بالوصف الموجب للإعراب»² ، فصحة النظم إذن تعود إلى ترتيب الكلمات داخل التركيب لا غير .

ونتيجة لهذا الأساس، يمكن القول بأن نظم الكلم يقوم على ربط النحو بالبلاغة، بمعنى ارتباط معاني النحو بالدلالات العقلية لمعاني الكلم، فعلم المعاني إذن هو « روح النحو وعلته وبيان أغراضه وأحواله إضافة إلى هذا فهو يعلمنا متى تجعل الجملة خبرية ومتى تجعل إنشائية ويبين لنا السبب في هذه وتلك...ويعلمنا متى يجب القصر والوصل والفصل ومتى لا يجب... »³.

الأساس الثاني : قيمة الكلمة داخل التركيب

يرى عبد القاهر أن قيمة الكلمة وأهميتها لا يكونان إلا وهي في التركيب، حتى إن فصاحتها لا تظهر إلا بعد دخولها في التأليف، إذ يقول: « وهل يقع في وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخف، وامتزاجها أحسن، ومما يكد اللسان أبعد؟ وهل تجد أحدا يقول: « هذه لفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها المعاني جارئاتها، وفضل مؤانستها لأحوالها؟»⁴.

فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، بل في ملائمة معنى اللفظة التي تليها وهنا يقول: « فقد اتضح إذن اتّضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمة مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى

1 - المصدر السابق، ص395،396.

2 - المصدر نفسه، ص396.

3 - المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، ساسي عمار، دار المعارف، بوفاريك، 2005م، ص42.

4 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص44.

التي تليها وما أشبه ذلك، ممّا لا تعلق له بصريح اللفظ»¹؛ بعدها يدلّل على ذلك فيقول: « وممّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ثمّ تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ الأخدع في بيت الحماسة: (الطويل):

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعًا²

وبيت البحري: وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْعُلَا وَأَعْتَقْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي³

فإنّ لها في هذين المكانين ما لا يخفي من الحسن، ثم إنّك تتأملها في بيت أبي تمام: (المنسرح)

يَا دَهْرُ قَوْمٍ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضَجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ⁴

فقد تجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة، ومن الإيناس والبهجة⁵، فالكلمة تروك وتطرب لها في موضع، وتثقل عليك وتوحشك في موضع آخر.

الأساس الثالث: اختلاف المعاني باختلاف الناظمين

لما كان الأسلوب في نظر عبد القاهر الجرجاني هو الضرب من النظم، فإنّ كل طريقة منه تعطي تركيباً يعدّ أسلوباً، وذلك باعتماد إمكانات التّأليف في اللّغة وطرائقها في وصف العبارة وعلى منشئ اللّغة كذلك⁶.

1 - المصدر السابق، ص46.

2 - الصمّة بن عبد الله القشيري، حياته وشعره، جمعه وحقّقه وشرحه وصنع فهارسه، خالد عبد الرؤوف الجبر، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003، ص111.

3 - ديوان البحري، البحري، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3، 2009 م، ص1241.

4 - ديوان أبي تمام، أبي تمام الطائي حبيب بن أوس، ج2، شر: الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزام، دار المعارف، 1119، كورنيش النيل، القاهرة، ط04، ص405.

5 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص46، 47.

6 - عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في اللغة العربية ونحوها، البدرابي، زهران، ص238.

وعليه فكل أسلوب أنتجه منشئ اللغة فهو له، وينسب لقائله ويعرف به، قريب من هذا ما يعنيه هرمان بول Hermann Pol بقوله: «كل خلق لغوي هو من عمل الفرد، وإنه ليظل من عمل الفرد»¹.

فكل ناظم يختار الألفاظ الخاصة به ويضعها داخل التركيب حسب المعنى الذي يريد التعبير عنه، فأول ما يبتغيه الناظم بنظمه ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: «زيد منطلق» و «زيد ينطلق» و «زيد ينطلق..» وفي الشرط والجزاء " إلى الوجوه التي تراها في قولك: "إن تخرج أخرج" و "إن خرجت خرج" وفي "الحال" إلى الوجوه التي تراها في قولك "جاءني زيد مسرعا" و "جاءني مسرعا" و "جاءني يسرع" فيعرف لكل ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له»².

الأساس الرابع: ربط الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى الحال

يرى البدرأوي زهران بأن هذا الأساس هو لب دراسة المعنى اللغوي عند عبد القاهر ومنبثق عن النظم³، فقد أورد في كتابه دلائل الإعجاز الحالات التي تتصل بالتقديم والتأخير، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل والحذف وغيرها من الحالات التي ينبغي أن يراعى فيها مقام الكلام وما يتصل بالموقف من ظروف عامة وبكل ماله علاقة بحال المتحدث أو المتحدث عنه مع مراعاة أنفس المخاطبين وما يتصل بأحزانهم ومسراتهم.

ولتوضيح ذلك أعطى أمثلة عن التقديم والتأخير، الأول عن الخارجي الذي يفسد ويعبث ويكثر القتل والأذى فأراد الناس قتله، فلما قتل قال المخبر: قتل الخارجي زيد، فقدم المفعول به لأن المقام تطلب تقديمه وهو ما يهم الناس ويتصل بمسرتهم وفرحتهم⁴؛ والثاني عن تقديم المفعول وتأخيره في النفي فإذا قلت: «ما ضربت زيدا، فقدمت الفعل كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون قد

1- المرجع السابق، ص 227.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 82، 81.

3 - عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في اللغة العربية ونحوها، البدرأوي زهران، ص 238.

4 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 108، 107.

وقع ضرب منك على زيد، ولم تعرض في أمر غيره لنفي .وإذا قلت:«ما زيدا ضربت، فقدمت المفعول كان المعنى على أن ضربا وقع منك على إنسان، و أن ذلك الإنسان زيد، فنفيت أن يكون إياه¹».

بناء على دراسة العلاقة بين السياق الكلامي الفعلي الذي يدخل فيه الخبر وبين الموقف أو الحال الذي يقال فيه الخبر بيّن الجرجاني ما يلي :

- الاسم المخبر به يمكن أن يكون معرفة لأنه ذكر من قبل في السياق الكلامي وذلك إذا كان السامع يحتاج إلى إسناده إلى مسند إليه معين معلوم بالنسبة له (زيد المنطلق).

- الاسم المخبر به يمكن أن يكون معرفة بالألف واللام رغم أنه لم يذكر من قبل في السياق الكلامي وذلك حين يفيد التعريف معنى الجنسية (زيد هو الشجاع).

- الاسم المبتدأ المخبر عنه باسم يمكن أن يكون معرفة بالألف واللام رغم أنه لم يذكر من قبل في السياق الكلامي، وذلك حين يفيد التعريف معنى الجنسية(الشجاع موقى).

- الاسم المبتدأ المخبر عنه بفعل يمكن أن يكون نكرة لأنه لم يذكر من قبل في السياق الكلامي وذلك يفيد التنكير معنى الجنسية (رجل جاءني)².

يرى جعفر ذلك الباب أن معنى الخبر ينقسم تبعا لحاجة السامع المحددة بالموقف أو الحال إلى قسمين:

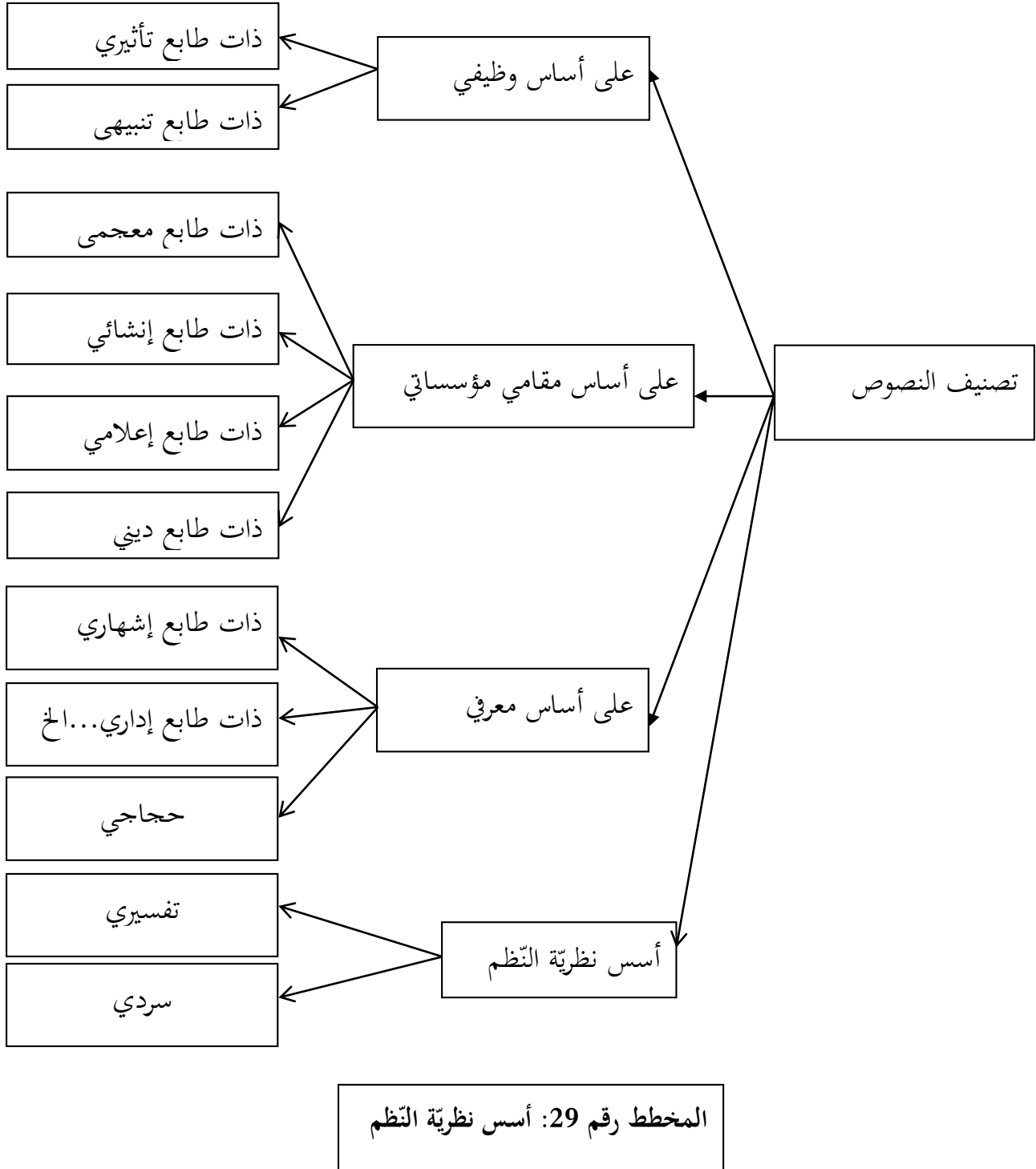
أ- خبر ابتدائي وذلك إذا كر أمام السامع للمرة الأولى، فالشيء الجديد الذي يستفيده السامع من هذا الخبر هو إسناد ذلك المخبر به ابتداء إلى المخبر عنه المعلوم بالنسبة للسامع.

ب- خبر غير ابتدائي وذلك إذا سمع السامع بالمخبر به من قبل، وقد يظن أنّ السامع في الخبر غير الابتدائي لا يستفيد شيئا جديدا لأنّ المخبر به كان قد ذكر أمامه من قبل، كما أن

1 - المصدر السابق، ص126.

2- الموجز في شرح الدلائل في علم المعاني، نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث، دك الباب جعفر دمشق، مطبعة الجليل، ط1، 1400هـ-1980م، ص109.

المخبر عنه معلوم بالنسبة له أيضا. ولكن الأمر غير ذلك لأن ما سيستفيده السامع هو إسناد المخبر به إلى المخبر عنه لأنه كان يشك فيه أو ينكره أصلا¹



وعليه فالفكرة التي يريد عبد القاهر تأكيدها هي أنّ كلّ صورة تعطي معنى خاصا بها، وأنّ كلّ تغيير في التركيب معناه إعطاء تركيب جديد يتلاءم مع سياق حال خاص به، لا يعطي معنى سابقه فهو يخالفه تماما مهما كان التبدل طفيفا من حيث التّقدم والتأخير أو الحذف أو الإضمار له غرض وسياق وحال وموقف معين .

بعد انتهائنا من الكلام عن عناصر نظرية النظم وأركانها وأسسها، فإنّ البحث خرج بالنتائج الآتية:

انطلاقا من قراءتنا لكتاب دلائل الإعجاز يمكن جعل أسس نظرية النظم حسب عبد القاهر الجرجاني فيما يلي :

- نظم الكلم، - وقيمة الكلمة داخل التركيب- و اختلاف المعاني باختلاف النّاطمين وربط الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى الحال.

- النّظم عند عبد القاهر الجرجاني ما إلّا توحي معاني النّحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم، وهذا بمراعاة: التعليق النّحوي و أشكال النّحو التي تحدّد المعاني الخاصة بالبنية و اعتبار حال المنظوم بعضه مع بعض.

- ربط عبد القاهر الجرجاني في نظريته النّظمية بين مسائل علم النّحو وعلم المعاني ، فهو لا يتوقف عند حدود النّحو كقواعد وأسس لتكوين جمل فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى ما وراء النّحو من مقاصد وأغراض يريد المتكلمّ تبليغها إلى السّامع معتمدا النّحو كجسر لبلوغ مراده مراعيّا في ذلك الأصول والقواعد النّحويّة التي هي القاعدة الصّلبة في النّظم، ثمّ أحوال السامع أو المتلقي والمقام ومقتضى الحال، ولهذا فهو زواج بين النّظرية والتّطبيق ليثبت نظرية علمية قائمة حتّى الآن.

يبدو لنا، بعد الاطلاع على ما قدّمه الجرجاني من مفاهيم حول أركان نظرية النّظم؛ وأثرها في إدراك العلاقات والرّوابط بين الجمل من جهة، وإلى إيضاح قواعد التماسك النّحوي من جهة أخرى أنّه تطرّق إلى:

- اشترط لتمامك النص وانسجامه مجموعة من العناصر فتحدث عنها وأطال شرحه عن الفصل والوصل، الشرط، والتقديم والتأخير، وحروف العطف والفروق الدلالية بينها والحذف والإسناد ومتعلقات الفعل، والحال والخبر...
- ركز حديثه عن التقديم والتأخير لما له من أهمية في ترتيب الكلام الذهني والتركيب في نظرية النظم.
- وعيه البلاغي والتقدي واللغوي جعل لنظريته أثرا بالغا في توضيح العلاقات التي تربط الجملة بالأخرى سواء بالحذف أو الذكر، ثم تجاوز النحو التقليدي الذي يقوم على التنظير للجملة مستقلة عما عداها من جمل.
- قواعد التماسك النحوي سابقة الذكر للجرجاني نفسها أشار إليها علماء لسانيات النص المحدثون أمثال: رقية حسن وهاليداي، وفان ديك ، ولسايتون آخرون.
- نشير بعد هذه النتائج المختصرة أنّ إمام جرجان في حديثه عن أركان النظم قد أكد بوضوح فرضية الكشف عن تعلق معاني الكلم بمعاني النحو، والكشف أيضا عن القواعد التي تؤدي إلى تماسك وترابط النصوص واتساقها، وتعلق الجمل بعضها ببعض.

الفصل الثالث التّطبيقي

آليات الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النّظم

1.4. الاتساق بالوسائل النحوية (السّبك النحوي)

2.4. الاتساق بالوسائل المعجمية (السّبك المعجمي)

الفصل الثالث: آليات الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم

إنّ المتصفح للتراث العربيّ يكتشف أنّ ما قُدّم كنظريات وتصورات في الموروث النحويّ أو البلاغيّ وغيره ما هو إلاّ منطلق لما توصلت إليه النظريات الحديثة الآن، وما هو إلاّ سرّ من أسرار الظاهرة اللسانيّة، ومفهوم من المفاهيم التي احتوتها كتابات المتقدّمين من علماء النحو والبلاغة والتقدّ والقرآن والتفسير وغيرها.

إنّ جهود هؤلاء تتحدّث عن أهميّة الدّراسة النصّية، وكان النصّ القرآنيّ خير دليل لإثبات الوحدة النصّية من خلاله فبحثوا في أسرار ترابطه وتماسكه، فكان نصّا كالكلمة الواحدة لشدة التحامه وتماسك آياته، وسوره، على الرّغم من اختلاف السور فمنها المكّيّة التي ارتكزت على حقيقة الألوهية والعبوديّة، ومنها المدنيّة التي موضوعها العبادات والتشريعات، وحتى وإن كان هناك اختلاف أيضا في أسلوب موضوعاتها وتفاوت فترات نزولها، إلاّ أنّها اتّسمت بالتماسك الموضوعي فهي تتناول موضوعا عامّا موحدًا وهو إفراء الله وتوحيده بالعبادة¹.

انطلق النّحاة القدماء في دراستهم للنصّ القرآنيّ من الجملة القرآنية (الآية)، ثمّ انتقلوا به إلى مستوى أكبر وهو النصّ: «فالتحليل النحوي عند العرب لا يقف عند حدود الجمل والكلمات بل يمتدّ بها إلى العبارة وما بعدها»²؛ والعبارة وما بعدها أكبر من الجملة ويصلان إلى مفهوم النصّ. ولعلّ أبرز من بحث ونظر إلى النصّ القرآنيّ نظرة تماسكيّة نصّية عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) مؤكّدا على أنّ النصّ القرآنيّ نصّ واحد ذو بنية كليّة واحدة، كما أنّه بحث في مفهوم هذا النصّ والممارسات النصّية تذوقا وفهّما وشرّحا، فكان له الاهتداء المبكر إلى مواطن الفصل والوصلومعناها الدلالي وتلاحم وتأخذ وتعلّق الكلام واتّساقه واتّصال آخره بأوله، وأخذ الأبيات

1 - علم اللّغة النصّية، صبحي ابراهيم الفقي، ص125، 126.

2- نظرية النص، من بنى المعنى إلى سيميائية الدال، حمري، حسين، ط1، الدار الربيعية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الجزائر، 1408هـ، 2007م، ص226.

بعضها بعنق بعض، وابتداء الكلام وانقطاعه واستثنائه وفهمه الدقيق وإشاراته البارعة لأنظمة الربط التحويلي والتعاليق.

ولم يكتب الجرجاني بذكره لأهم المصطلحات التي تدرج في لسانيات النص، الاتساق (التماسك) التي ترتبط بالجوانب الدلالية والروابط المتعلقة بداخل النص، بل اهتدى إلى روابط غير لغوية وإحالات خارجية: كالسياق والمتكلم والمتلقي، وهذا لا يقلل عما ورد لدى اللسانيين المحدثين من كلام حول الربط الدلالي والربط التداولي، ومصطلح الائتلاف الذي يقابل التماسك النصي (الاتساق).

وإن أمعنا النظر في كتابات الجرجاني خاصة ما جاء في كتاب دلائل الإعجاز نجد يقدم تصوّراً مهماً للنص من خلال نظرية النظم، وفقاً لأدوات إجرائية صالحة لأن تُوظف في قراءة أي نص حتى ولو كان متأخراً باعتبار أنّ له علاقة بالمفاهيم الحديثة، وهذه الأخيرة نادى بها علماء لسانيات النص حتى وإن اختلفت التسميات لكن المفهوم واحد.

ومن ثم فالنص في نهاية المطاف مفهوم لغوي إنساني، ومقوماته واحدة، وبنيته - كما سبق وذكرنا - متماسكة ذات نسق داخلي تربط بين عناصره علاقات منطقية ونحوية ودلالية.

بناء على ذلك نسعى من خلال هذا الفصل إلى دراسة هذه البنية للوقوف على عناصرها وعلى شتى مظاهر الاتساق فيها من منظور الجرجاني لنحدد التقاطع بين ما جاء به وما جاءت به اللسانيات النصية فنكشف عن صواب توجه الجرجاني في قراءة النص بأدوات كفيلة فعلاً بالكشف عن جماليات النص¹؛ من جهة ومن جهة أخرى عن بيان عناصر ووسائل هذا المعيار المهم والكشف عن وظائف كل منها في تحليل المحتوى الكلي للنص من خلال حديثه عن الفروق والوجوه في باب العطف، والحذف، والحال، والخبر والشرط، والتعلق، ومعاني التحو والنظم والفصاحة.

1 - النقد والإعجاز، تحريشي، محمد، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م، ص 191، 192.

كما أنّها محاولة لاستكشاف الفكر الغربي الحديث والمقارنة بينه وبين الفكر العربي القديم لنوازن بينهما من خلال أرضية علمية وأسلوب موضوعي تدعمهما حقائق البحث.

اتّفاق في التسمية

إذا كان هناك مفهوم ينسجم مع الاتساق في التراث، فهو بلا شكّ مفهوم النظم، فهذا الأخير ليس له إطار يحدده أو سور يحيط به بدقّة، ومن الصّعب تلخيص مدلوله، ولكن نقول: « هو أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثان منهما بأول وأن يحتاج إلى وضعها في النفس وضعًا واحدًا، فالكلام أو الجملة وحدة متماسكة العناصر لها نظامها وعلاقاتها الداخلية ولها توزع، وتعدّد ونظم مدلولي تام»¹.

ولهذا فلفظ (الاتساق) ورد تسميته مرّتين عند عبد القاهر الجرجاني فيقول مرة: « لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب»²؛ وأخرى في قوله: « بل وجدوا اتساقًا بمر العقول»³.

كما أن لفظ (السبك) يتكرّر بالتعريف في ثنايا كتاباته أكثر من مرّة في قوله: « وهم لا يقفون إلّا على الألفاظ المتخيّرة، (...) وعلى السبك الجيد»⁴؛ وقوله أيضا: « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي، والبدوي. وإتّما الشّان في إقامة الوزن، (...) وجودة السبك»⁵.

وفي موضع آخر يقول: « وقد عُلم أنّ المعارض للكلام معارض له من الجهة التي منها يوصف بأنّه فصيح وبلغ ومنتخب اللفظ جيّد السبك»؛ وفي قول آخر: « ويقرؤون في كتب البلغاء ضروب كلامٍ قد وصفوا (اللفظ) فيها بأوصاف يُعلم ضرورة أنّها لا ترجع إليه من حيث هو لفظ (...) وإنّه جيّد السبك صحيح الطابع»⁶.

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، الجرجاني، عبد القاهر، ص 102.

2 - المصدر نفسه، ص 46.

3 - نفسه، ص 39.

4 - نفسه، ص 251.

5 - نفسه، ص 256.

6 - نفسه، ص 456.

وهذا ما يجب الوقوف عنده والإشارة إليه، حيث أنّ اللَّفْظَيْن (الاتساق-السبك) عند الجرجاني تكون دائما مرتبطة بالفصاحة، أو اللَّفْظ، أو الإعجاز، وهذا إن دَلَّ إمّا يدل على أنّ الاتساق أكثر ما يكون في باب الفصاحة، والتي تتمثل في الترابط الشكلي الظاهر سطحيا وهذا الأخير يتمثل في ظاهر اللفظ، فهو لا يختلف فيما جاء به عن علماء لسانيات النص.

التقاء مع الأفكار

لعلّ أبرز ما يمكن أن نلاحظه على الجرجاني وهو يتحدّث عن الاتساق وهو قائمفي ذهنه يقصد به ذلك الترابط الذي يجري في سطح النص من خلال حديثه عن الفصاحة التي يتميز بها منتج النص الخطابي (المتكلم)، والمتمثل في المظهر السطحي له (المسموع) فنراه يعبر عنه بقوله: « وكنا قد اجتمعنا على أنّ (الفصاحة) فيما نحن فيه، عبارة عن مزية هيالمتكلم البتة ووجب أن نعلم قطعا وضرورة أهم وإن كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال من صفة اللفظ فإنهم يجعلوها وصفاً له في نفسه»¹؛ فالجرجاني لا يتحدّث عن الفصاحة خارج التأليف أو من حيث هي كلم مفردة، وإمّا يتحدّث عن فصاحة تحدث بعد التركيب، فالألفاظ من حيث هي حروف وأصوات مسموعة لا تفاضل بينها حتى يعلق بعضها ببعض ويجعل بعضها بسبب بعض.

وذلك ما يعبر عنه فيقول: « فقد اتّضح إذن اتصاحا-لا يدع للشك مجالا- أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّية، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى تليها، وما أشبه ذلك ممّا لا تعلق له بصريح اللفظ»²؛ والفصاحة عنده أيضا: « لا تكون في أفراد الكلمات، و إمّا تكون فيها إذا ضمّ بعضها إلى بعض»³، ويقول في موضع آخر: « واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك لأنّ لا نظم في

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 402.

2 - نفسه، ص 46.

3 - نفسه، ص 466.

الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك»¹.

إذن فالألفاظ عند عبد القاهر الجرجاني لا يظهر التفاضل بينها إلا إذا ركبت، وتعلق بعضها ببعض وصارت كلاماً مفيداً لأنّ أول ما يمكن أن نراعيه في إنتاج النصّ (الكلام) ترتيبه وفق أعراف لغويّة تميّز بالسّلاسة والسّهولة والجزالة والفضامة، وهذا ما لم يغب عن ذهن الجرجاني، عبد القاهر فنراه يقول: «لأنّته لا يكون متكلمًا حتى يستعمل أوضاعاً لغية على ما وضعت عليه»². من هذا المنطلق سوف نقف على الأبعاد النظرية التي وقف عليها الجرجاني، عبد القاهر لفكرة الاتساق بالقدر الذي يسهم في إيماء الفكرة التي يعالجها من خلال ذكره لأكثر من نصفي حديثه عن الفصاحة التي ورّعها بين ضمّ اللفظة إلى اللفظة، وبين ترتيب هذه الألفاظ وتعلق بعضها ببعض حتى يصل بما يقدمه من جهد إلى الباحثين على المستويين النظري والتطبيقي والاستفادة منه إلى أبعد غاية.

ولا يختلف أن نموذج هذا قابل نظرياً للتوسع³، وتطبيقياً للبحث والدراسة بقوله: «وجملة الأمر أنا لا نوجب (الفصاحة) للفظه مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكننا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلّقة معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (سورة مريم، الآية 3)، إنّها في أعلى المراتب من الفصاحة، لم نوجب (الفصاحة) لها وحدها، ولكن موصولاً بها الرأس مُعرّفاً بالألف واللام، ومقروناً إليها (الشيب) منكرًا منصوبًا»⁴.

1 - دلائل الإعجاز في المعاني، الجرجاني، عبد القاهر، ص 55.

2 - المصدر نفسه، ص 402.

3 - أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، الشاوش، محمد، ص 222.

4 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 456.

ويؤكد ذلك بقوله أيضا: « وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعنى جاريتها، وفضل مؤانستها لأحواتها»¹.
وبالتأمل في كل ما جاء به الجرجاني من أفكار نجده لا يتعد عن التعريف الذي يصف فيه محمد خطابي الاتساق بقوله: « ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته»².
وإذا كنا قد انتهينا من الكلام عن أفكار الجرجاني، فإنه يبقى البعد الذي يؤسس إلى هذه الأفكار، فعلى الرغم من أن الجرجاني لم يرد أن يدور في فلك من سبقوه أو أن يكرّر ما قالوه لكنه بفضل ما نظرنا كان أكثر دقة ووضوحا في ما أتى به، فلم تتعد أفكاره عن الأفكار التي قدّمها المحدثون عن الاتساق، لا من ناحية التسمية أو حتى من جهة الأفكار وما يزيد وضوحا أكثر ما سوف نعرض الآن من مظاهر الاتساق وآلياته في كتاب دلائل الإعجاز.

1.4. الاتساق بالوسائل النحوية (السبك النحوي)

أما ما جاء في حديث عبد القاهر عن آليات الاتساق (التماسك) التي يدور حولها بحثنا بالتحليل والدراسة، مروراً بالربط الجزئي بين الألفاظ، والجمل والفقرات، وانتهاء بالربط الكلي لمضمون النصكلها أصبحت معروفة اليوم باسم قواعد التماسك النحوي الذي هو باب من أبواب النظم يُعنى به (علم قواعد النص) (Text Grammmare) أو يعرف "بعلم النص" أو "علم اللغة النصي" (Text Linguistics)³.

فأهم هذه الآليات "الإحالة، والحذف، والاستبدال، والاتساق المعجمي بنوعيه التكرار والتضام العطف"؛ وغيرها من القواعد التي حتى وإن لم نطل الوقوف عندها فسندكرها لما لها من صلة بلسانيات النص.

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص44.

2 - لسانيات النص، خطابي، محمد، ص5.

3 - اللسانيات ونحو النص، إبراهيم محمود خليل، ط1، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان 2007م، 1427هـ، ص215.

1.1.4. الإحالة

للإحالة دور مهم في الترابط النصي واتساقه في الدراسات الحديثة، كما أنّها وردت كإشارات عند علماء البلاغة: « فعلى الرغم من أنّ صاحب دلائل الإعجاز لم يفرد باباً للإحالة مثلما أفرد باباً للفصل والوصل، إلاّ أنّه عرض لهذه الأداة عرضاً سريعاً دونما قصد»¹، فالجرجاني عندما مثل بقولهم: "جاءني زيد وهو مسرعٌ" فهي من حيث الدلالة واللفظ نظير قولهم: "جاءني زيد وزيد مسرعٌ" وعقب ذلك مؤكّداً أنّ الضمير "هو" أغنى عن تكرير زيد «وذلك أنّك إذا أعدت ذكر زيد، فحئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة أن تعيد اسمه صريحا، كأن تقول "جاءني زيد وزيد مسرعٌ»².

وهذا المثال يشبه كثيرا المثال الذي وقفت عليه رقية حسن وقد رأيناها فيما سبق من الفصل (الثالث):

- اغسل وانتزع نوى ست تفاحات، ضعها في طبق مقاوم للنّار.

وفي مثلها هذا علق بقولها: « فالضمير في ضعها هو الرّابط الذي يضمّ الجملة الثانية إلى الأولى في وحدة تفيده العلم بطلب معيّن، وإذا وضع المتكلم كلمة تفاحات بدلا من الضمير فإنّ الرّابط هنا هو تكرار كلمة (تفاحات) عوضا عنه »³.

والإحالة عند الجرجاني من الأدوات التي يؤدّي استخدامها إلى تحسين الكلام، ولا يقتصر دورها على الرّبط فيقول البحرّي: (بحر المتقارب)

بَلُونَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِي "فَتَحِّحِ" ضَرِيْبَا
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَاتُ عَزْمًا وَشِيكًا وَرَأْيًا صَلِيْبًا⁴

1 - في نظرية الأدب وعلم النص، إبراهيم خليل، ص 233.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 215.

3 - Grammatyical cohesion in spoken and written English, HasanRuqaia, London, 1sted, 1968, p20.

4 - ديوان البحرّي، البحرّي، أبو الوليد بن عيادة، تح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ط1، د.ت، ص 151.

الضمير "هو" عندما استخدم في بداية البيت الثاني -فضلا على أنه ربطه بالأول- أضفى على المعنى فيه شيئا من القوة¹.

ومع أن الإحالة بواسطة الضمير من عوامل الربط التي تفيد الكلام تماسكا واتساقا، وتنفي عنه التكرار وتجنّب التشّتت، إلا أنّها لا تروق في كل مقام، ولا تعذب في كل مساق، فقد تؤدّبمع اضطراب التقديم والتأخير إلى فساد القول، وهُجِنَة في البيان، وفتور، إن لم نقل ضعفاً في المعنى. وصدق هذا قول الفرزدق: (بحر الطويل)

وما مثله في النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمَّه حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ²

وهنا يقصد أي ما مثل الممدوح، وهو إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك بن مروانفي النَّاسِ حين يقاربه في فضائله إلا أحب ملك هو أبو أمّه، أي أمّ الملك، أبو هذا الممدوح وحاصل المعنى أنّه لا يشبهه إلا ابن أخته الذي هو هشام، وهذا ما يسمّونه تعقيداً لموقع الخلل من النّظم وفساد التّرتيب³.

وكذلك قول المتنبّي : (بحر الكامل)

الطَّيْبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلَ⁴

أي الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت، أي إذا أصابك الطيب فأنت طيب له، وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له أي أنت أطيب من الطيب وأظهر من الماء. في هذين البيتين غالى الشاعر أنّ في التّقديم والتّأخير، والإحالة مغالاةً خرجا فيها عن جادة الصواب، وانحرفا عن محجّة الإحسان، حيث بيّن سبب الفساد قائلًا وأنّ الفسادَ والخللَ كانا من أن تعاطي الشاعر ما تعاطاه من هذا الشّأن وصنّع في تقديم وتأخير، أو حذف وإضماماً أو غير ذلك ما ليس له أن يصنعه، وما لا يسوغ ولا يصحّ على أصول هذا العلم.

1 - الدلائل، الجرجاني، ص 85.

2 - ورد البيت في الدلائل، الجرجاني، ص 853.

3 - الدلائل، الجرجاني، ص 84.

4 - ديوان المتنبّي، شرح، عبد الرحمان البرقوقي، ج3، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، 1407هـ، 1986م، ص 180.

بعد عرض لمجموعة من الأمثلة التوضيحية عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه (الدلائل) يُطرح تساؤل عن الكيفية التي أتت بها لفظة (الإحالة) في نصوص الجرجاني ومدى تعلّقها بالفصاحة والإعجاز في قوله: « وأن يكون غاية ما لصاحبك منك أن تُحيله على نفسه»¹.

ويقول أيضا: « وإن كُنّا في زمان هو على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها»².

ويقول أيضا: « إذا كان المعنى والعلّة في كونه معجزًا حَقّةً اللفظ وسهولته فينبغي أن يكون مع إحالة المعنى مُعجزًا»³؛ ويقول أيضا: « فهذا ونحوه على أنك قدّرت إنسانًا هذه صفته وهذا شأنه وأحلّت السّامع على ما يعنُّ في الوهم»⁴.

والنّظرة الحديثة لما أتى به الجرجاني خير دليل حيث أنّه لا يختلف عن علماء التّصفي توظيف الإحالة بوسائلها كضمائر الغيبية على وجه التّخصيص في قوله: «...على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها»، هذا ما يقصد به الإحالة بالضمير ويمكن التمثيل بالشّواهد التّالية على ما ذُكر عند الجرجاني من وسائل التّماسك الإحالية، الضميرالموصول، الإحالة بأداة التّعريف وأدوات المقارنة.

1.1.1.4 الإحالة بالضمير

سبق وأن وقفنا عندها بالشرح والتمثيل على أنّ لها دور فعّال في تماسك النّص واتّساقه في ربط الجمل والعبارات التي يتألّف منها في هذا النّص، وكلّ هذا كان عبد القاهر منتبها له ولدوره في الاقتصاد اللّغوي باختصار، كما تصل إليه وبما تفيده العناصر الإحالية من تفسير اللبس والهروب من رتابة الأسلوب.

1 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص403، 402.

2 - المصدر نفسه، ص33.

3 - نفسه، ص520.

4 - نفسه، ص185.

2.1.1.4 الإحالة بالموصول

الموصل لابد له من صلة مشتملة على ضمير ليحقق الإحالة إلى ما يقصده المتكلم لهذا فعبد القاهر قد عقد فصلاً خاصاً باسم الموصل "الذي" يشرح فيه خفاياها ويعرض فوائدها فيقول « اعلم أن لك في "الذي" علماً كثيراً وأسراراً جمّة، وخفايا إذا بحثت عنها وتصوّرتّها اطلعت على فوائد تُؤنس النفس، وتثلج الصدر، بما يُفضيكي إليه من اليقين، ويُؤدّيه إليك من حسن التبيين والوجه في ذلك أن نتأمل عبارات لهم فيه: لم وضع ولأى غرض اجتلب، وأشياء وصّفوه بها كما أتت تقول: (مررت بزيد الذي أبوه منطلق، وبالرجل الذي كان عندنا أمس). فتجدك قد توصلت بالذي إلى أن بيّن أُنبت زيدا من غيره بالجملة التي هي قولك: (أبوه منطلق) ولولا (الذي) لم تصل إلى ذلك»¹.

إذ قررنا أنّ الموصل من الأدوات التي تشدّ من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره والعلم به وما يراؤ من المتكلم أن يعلم به أو يضمّه إلى ما سبق من العلم به، يكون الجرجاني لفت بما وقف عنده لفتة ذكيّ ومحلل خفي قوله: « ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس، الشيء المعلوم هو أنّ الرجل كان عند من سئل بالأمس والشيء غير المعلوم هو ما صدر عنه من فعل وهذا ما يراى العلم به وضمّه إلى ما هو معروف من أمره، وقد جاء الاسم الموصل للربط بين الشيئين كقول القائل: مررت بزيد الذي أبوه فلان، فقد وصل الاسم الذي بين الخبرين: المرور بزيد، وكون فلان أباه»².

ويوضّح الجرجاني أنّ الاسم الموصل يقوم بتعريف وتحديد المجال إليه حيث يصبح واضحاً جلياً في نظر المخاطب، لكنّه لا يقوم بوظيفته منفرد لكن بتظافره مع جملة الصلّة المشتملة مع عائد هو الضمير وهو ما يتفق فيه مع هاليداي ورقية حسن.

1 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص 199.

2 - المصدر نفسه، ص 20.

3.1.1.4. الإحالة بأداة التعريف (ال)

تعرّض النحاة والبلاغيين إلى أداة التعريف ولدورها في ربط الكلام بعضه ببعض حتى نُسب إليها أنّها تتقدّم العبارات الدّالة على ما سبق ذكره، كما يُنسب إلى أداة التّنكير أنّها تسبق ما لم يذكر من قبل¹، فهي تتجاوز تحويل النّكرة إلى معرفة، وتقوم « بالربط بين الجمل ربطاً يشبه ربط الإحالة بالضّمير، من حيث أنّها تذكر السّامع أو القارئ بشيء سبق ذكره أو شيء معروف في الدّهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق»²، هذا ما استند عليه الجرجاني وكانت رؤيته واضحة بوضع هذا المثال لابن البواب (بحر مجزوء الوافر):

وإن قتل الهوى رجلاً فإنّي ذلك الرجل³

وما يُثبت عناية الجرجاني أيضاً قوله: « وانظر إلى الإشارة والتّعريف في قوله "فإنّي ذلك الرجل"»⁴.

فتعريف الرّجل يؤدّي دوراً خاصّاً في الرّبط واتّساق النّص، وقد طابق هذا المثال ما ذكر سابقاً اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضع التفاحات في صحن يقاوم النّار. ونستشف ممّا سبق أنّ الجرجاني بنظرته الدّقيقة وأمثله المدّعمة بالشرح والتّحليل قد طابق إلى حد كبير ما يراه علماء لسانيات النّص، خاصة ما أورده هاليداي ورقية حسن في هذا المجال.

4.1.1.4. الإحالة القائمة على المقارنة:

لو نظرنا إلى المتقدّمين من البلاغيين نجد أنّهم أدرجوا جزءاً كبيراً من أدوات المقارنة في كتاباتهم ممّا يفيد عندهم معنى المماثلة والمشابهة، وغيرها، والجرجاني أحدهم حيث قال: « وإذا قد عرفت هذا التّمط من الكلام، وما تتحد أجزاءه حتى يوضع وضعاً واحداً فاعلم أنّه التّمط العالي والباب الأعظم، والذي لا ترى سلطان المزيّة يعظم فيه شيء كعظمه فيه وممّا ندّر منه ولطف مأخذه ودقّ

1 - نحو النص، عفيفي، أحمد، ص114.

2 - في نظرية الأدب وعلم النص، إبراهيم الخليل، ص236.

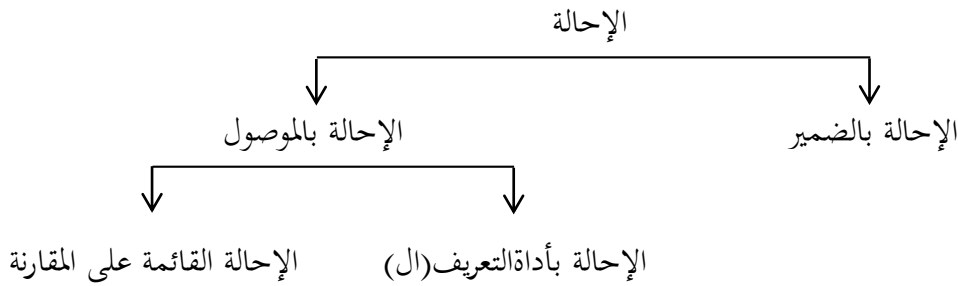
3 - البيت في الأغاني، (2/ص178)، منسوبة إلى سليم بن سلام الكوفي المغني صاحب إبراهيم الموصلي.

4 - في نظرية الأدب وعلم النص، إبراهيم الخليل، ص91.

نظرٌ واضعه، وجلى لك عن شأو قد تحسر دونه العتاق وغاية يعيا من قبلها المذاكي القرح الأبيات المشهورة في تشبيه شيئين بشيئين بيت امرئ القيس (بحر الطويل):

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي¹

الشاعر هنا شبه شيئين هما (قلوب الطير الرطبة واليابسة) بشيئين هما (العناب والحشف البالي) متى وكان التشبيه في عبارة عُدَّ دليلاً على الاتساق، لأنه جمع الأمر بالأمر الذي يشترك معه في خاصية أو في مجموعة من الخصائص؛ وفي هذا يرجع الجرجاني ويقول: «واعلم آمن الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضه إلى بعض سبيل من عمد لآل فخرطها في سلك لا يبغى أكثر من أن يمنعها التفرق وكمن نضد أشياء بعضها على بعض، لا يريد في نضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة، بل ليس إلا أن تكون مجموعة في رأي العين، وذلك إذا كان معنك معنى لا تحتاج أن تصنع فيه شيئاً غير آت تعطف لفظاً على مثله»².



المخطط رقم 30: أنواع الإحالة عند الجرجاني

والنظرة الحديثة توظف أدوات المقارنة السابقة والتي عرفت عند المتقدمين عامة والجرجاني خاصة بأدوات التشبيه وهي الكاف وكأن ومثل ونحو... الخ، لتكون وسيلة من الوسائل التي يتسق بها النص ويتماسك.

1- ديوان امرؤ القيس، شر: عبد الرحمن المصطاوي، دارالمعرفة، بيروت، لبنان، ط، 1425، 2، هـ، 2004م ص 139.

2- دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 100.

2.1.4. الحذف

من أهم القضايا التي شغلت بال الجرجاني واهتمّ بها وأفرد لها باباً "الحذف" الذي يعدُّ هو الآخر أداة مهمّة من أدوات اتّساق النّص وتماسكه في لسانيات النّص، كما هو واضح في كلام كل من (رقية حسن) و(فان ديك) و(دي بو جراند)، ولكنّ المتأمل أيضاً لكلام عبد القاهر الجرجاني فيما يخصّ قضيّة الحذف يعني ريادته وسبقه في هذا الأمر، حيث نبّه إلى مواضعه والأسرار الكامنة وراءه، وذكر العديد من مواضعه، كالاسم والفعل، وحتى أنّه قد يتجاوز الكلمة إلى الجملة، فوصفه بقوله: «هُوَ بَابٌ دَقِيقٌ الْمَسْلُوكِ لَطِيفٌ الْمَأْخِذِ عَجِيبٌ الْأَمْرِ، شَيْبَةٌ بِالسَّحْرِ فَإِنَّكَ تَرَى بِهِ تَرَكَ الذِّكْرَ، أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ، وَالصَّمْتُ عَنِ الْإِفَادَةِ، أَزِيدَ لِلْإِفَادَةِ، وَتَجِدُكَ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ، وَأَتَمَّ مَا تَكُونُ بَيَانًا إِذَا لَمْ تُبَيِّنْ، وَهَذِهِ جُمْلَةٌ قَدْ تُنْكِرُهَا حَتَّى تَحْبِرَ، وَتَدْفَعُهَا حَتَّى تَنْظُرَ، وَأَنَا أَكْتُبُ لَكَ بَدِيئًا أَمْثَلَةً مِمَّا عَرَضَ فِيهِ الْحَذْفُ، ثُمَّ أَنْبَهُكَ عَلَى صِحَّةِ مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ وَأُقِيمُ الْحُجَّةَ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِ... يَتَعَرَّضُ لِبَيَانِ ذَلِكَ بِالْعِبَارَةِ فِي أَنْ يُقَالَ كَانَ ضَرْبٌ، أَوْ وَقَعَ ضَرْبٌ: أَوْ وَجَدَ ضَرْبٌ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِنْ أَلْفَاظٍ تُفِيدُ الْوُجُودَ الْمُجَرَّدُ فِي الشَّيْءِ»¹؛ كالمبتدأ والخبر والمفعول وإلى صعوبتها في الوقت ذاته، حتى أنّها قد تخفى على القارئ المتمرس، يقول بحيري: «ونلاحظ ابتداءً أنّه قد حلل مسائل محدودة في هذا الباب، وربما لم يهدف من تلك المعالجة إلا الإشارة إلى مواضع تخفى على القارئ المتمرس أو لم يهتد إلى أسرارها من تصدّى لبيان الوجوه والفروق في مسائل الحذف وتعليل مبدأ "ترك الذكر أفصح من الذكر" وهذا يعني أن عبد القاهر يرفض مسالك السابقين، إذ لا قيمة لوصف الظاهرة فحسب، بل تكمن القيمة الفعلية في إطار رؤيته الخاصة للنظم في النفاذ من التّأليف أو الصّياعة إلى معرفة علّة أو سبب اختيار الحذف وترك الذكر»².

ولم يقف الجرجاني عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى وضع أمثلة بالشرح والتّحليل والحجّة.

1 - الدلائل، الجرجاني، ص145، بتصرف.

2 - عناصر التماسك النصي بين نظرية النظم وعلم النّص، صالح أحمد عبد الوهاب، ص195.

1.2.1.4. حذف المبتدأ

جعل الجرجاني لحذف المبتدأ موضعين، هما: القطع والاستئناف فكانت طريقة في الربط أفضل من الاعتماد على الذكر وفي تعليل هذا وتفسيره يقول الجرجاني: «...يبدأون بذكر الرجال والرجال ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبرٍ من غير مبتدأ»¹، ومثال ذلك قول عمرو بن معد يكرب: (بحر الكامل)

وَعَلِمْتُ أَيَّ يَوْمٍ ذَاكَ مُنَازِلَ كَعْبًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقَدًّا²

فهنا ذكر قبيلتين هما كعب ونهد، ثم استأنف الكلام بعد ذكرهما فأخبرنا بأنهم يشبهون التمور إذا لبسوا ملابس القتال والحرب ولم يقل: هم قوم ما اعتيد فيه أن يجيء خبراً قد بُني على مبتدأ محذوف قولهم بعد أن يذكروا الرجل: فتى من صفته كذا، وأعز من صفته كيت وكيت.

والمبتدأ الذي يقوم عليه الحذف هنا هو اعتماد المتكلم على التلميح لا على التصريح ودليل ذلك البيت المعروف: (بحر الخفيف)

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ عَلِيلٌ، سَهْرٌ دَائِمٌ وَحَزْنٌ طَوِيلٌ³

يعلق عمّا قال تعليقا يحيل فيه إلى السياق الخارجي، اعتمادا على خبرة المتلقي بسياق الكلام نظما ونثرا. ولما كان في العادة دائما أن يقال للجرجاني كيف أنت؟ ويقول أنا عليل ثم يسأل مرة ثانية: ما به؟ وما عليه؟ قدر كأنه قبل له ذلك فأتى يقول: "سهر دائم وهم ثقيل" على سبيل الحذف والاستئناف، والاستئناف لا بد فيه من الحذف لأن تقديره: "بي، أو حالي سهر دائم وهم ثقيل".

ومن لطيف أمثله في الحذف أيضا قول بكر بن النطاح: (بحر السريع)

1 - الدلائل، الجرجاني، ص 147.

2 - ديوان الحماسة، التبريزي، أبو زكرياء، ج، 1، ص، 50، وينظر، ص 71.

3 - مختصر المعاني، سعد الدين، التفازاني، منشورات دار الفكر، قم، شارع ارم، ط، 1، 1411هـ، ص 152، وينظر: دلائل الإعجاز الجرجاني، ص 112، 133.

العَيْنُ تُبَدِي الحُبَّ والبُعْضَا وتُظْهِرُ الإِبْرَامَ والنَّقْضَا
 دُرَّةً، مَا أَنْصَفْتَنِي فِي الهَوَى وَلَا رَحِمْتَ الجَسَدَ المُنْضَى
 غَضْبَى، وَلَا وَاللهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَشْرَبُ البَارِدَ أَوْ تَرْضَى¹

تظهر جمالية عجيبة في حذف المبتدأ هنا، حيث أنّ الجرجاني « يقول في جارية كان يحبها، وسعى به إلى أهلها فمنعوها منه والمقصود قوله: (غضبي) وذلك أنّ التقدير (هي غضبي) أو (غضبي هي) لا محالة، إلّا أنّك ترى النفس تنفّدى من إظهار هذا المحذوف، وكيف تأنس إلى إضماره؟ وترى الملاحظة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به؟»².

وقد أعجب محمد أبو موسى بآراء عبد القاهر الجرجاني أيّما إعجاب في قضية حذف المبتدأ واعتبرها فتحاً مبيّناً في الدرس البياني وفي ذلك يقول: « يرجع حسن العبارة في كثير من التراكيب إلى ما يعتمد إليه المتكلم من حذف لا يغمض به المعنى، ولا يلتوي ورائه القصد، وإيّاها هو تصرّف تصفى به العبارة، ويشتدّ به أسرها ويقوي حبكها، ويتكاثر إيجازها، ويمتلىء مبناهها، وتصير أشبه بالكلام الجيّد، وأقرب إلى كلام أهل الطّبع وهو من جهةٍ أخرى دليل على قوّة النفس، وقدرة البيان، وصحّة الذّكاء، وصدق الفطرة»³.

ومعنى هذا أنّ الأمثلة التي تعرّض لها الجرجاني وعمد فيها المتكلم تضمّنت إلى الحذف بدلا من الذّكر، أنّه فيما يروق فيه الحذف، خير من الذّكر، وإضمار المحذوف في النفس أولى وأنس من النّطق به⁴؛ وهذا ما أشار إليه كلّ من فان دايك وورقية حسن، وحتّى وإن لم يقتصر الحذف (Ellipsis) عندهما على كلمة أو مفردة وإيّاها على حذف جملة كاملة.

1 - الأغاني، الأصفهاني، تح: علي محمد البجاوي، ج، 17، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1993م، ص 249، 250.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 152.

3 - خصائص التراكيب، دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني، محمّد أبو موسى، محمد، مكتبة وهبة، للنشر، القاهرة، ط 1417، 4هـ، 1977م، ص 153.

4 - دلائل الجرجاني، الجرجاني، ص 109، 112.

ولم يختلف الجرجاني أيضا في وضع المتلقي ومدى تقبله لما يقرأ أو يسمع فيما جاء به علماء لسانيات النص، واهتمّ بسياق النص أو الخطاب وما يتصل به من أوضاع وأحوال تستقر في نفس القائل، وإن دَلّ هذا إنّما يدلّ على وعي عبد القاهر بما وضع ومثل وشرح.

2.2.1.4. حذف الفعل

يقف الجرجاني عند إضمار الفعل وجعله محذوفا فيقول: « وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون، فقد يضمرون الفعل فينصبون، كبيت الكتاب أيضا: (بحر البسيط)

دِيَارُ مِيَّةٍ إِذْ مَيُّ تُسَاعِفُنَا وَلَا يُرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ وَلَا عَرَبٌ¹

أنشده بنصب ديار على إضمار فعل كأنه قال: اذكر ديار مية²، والحقيقة هنا المحذوف "الفعل" وفاعله الضمير المستتر.

فيقول هنا: « فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يُحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وأنس من التطق به»³.

إنّ ما نستشقه من هذا النص أنّ المحذوف من الكلام يشكّل خلافا على مستوى النص لأنّ الكثير من الكلمات تكون مستقبحة الحضور، وحذفها يضمني للكلام رونقا تستلذه النفس وتستعذبه الأذان.

وهذا ما يتفق فيه الجرجاني مع المحدثين حيث أنّ كريستال هو الآخر يعدّ الحذف علاقة قبلية وقد نوّه في تعريفه على وجوب وجود دليل على المحذوف، لأنّ غيابه سوف يؤدي إلى اختلال المعنى فالحذف لا يتم: « إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى وقد يحذف أحد العناصر لأنّ هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدلّ عليه ويكون

1- ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر الباهلي، تح: صالح عبد القدوس، مؤسسة الإيمان للنشر، جدّة، ط، 1402هـ، 1982م، ص، 23.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 147

3 - المصدر نفسه، ص 152، 153.

في حذفه معنى لا يوجد في ذكره»¹؛ ومن ثمّ يكون الحذف الفعلي أحد تقسيمات عبد القاهر الجرجاني، وهي لا تخرج عن التقسيمات التي قدّمها المحدثون، فأنواع الحذف عند هاليداي ورقية حسن²: هي الحذف الاسمي Nominal Ellipsis، الحذف الفعلي verbal Ellipsis الحذف داخل ما ينسبه الجملة clausal Ellipsis.

3.2.1.4 حذف المفعول به

الجرجاني بالتفاتته إلى ما يعرف بالعلاقة بين الحذف ودلالته، وتقسيماته جعل لمعرفة حذف المفعول بالأخص ضرورة حتمية، بقوله: «إنّ الحاجة إليه أمس، وهو بما نحن بصدده أخص، كأثما فيه أكثر، ومّا يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر»³.

ثمّ يعرض إلى الفرق بين حذف المفعول اقتصاراً وحذفه اختصاراً وربط هذا بالمتكلم وغرضه والسّياق الذي يقال فيه ومقصده الذي يرمي إليه وكلّ هذا يقتصر على ذكر الفعل المتعدّي دون مفعوله أحيانا وحذفه اختصاراً في مواضع أخرى فالذكر الأوّل يراد به إثبات المعنى ما إن يقال فلان يجلّ ويعقد، ويأمر وينهى، ويضر وينفع، فالفعل لا يعدى في مثل هذه الحال، لأنّ الغرض إثبات المعنى في نفسه، وتعديته تنقص الغرض وتغير المعنى. أمّا حذفه اختصاراً فيتمثل في أن يكون له مفعول مقصود قصده معلوم إلاّ أنّه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه ويأتي في ذلك بشاهد من قول البحري: (بحر الخفيف)

شَجُوْ حُسَّادِهِ، وَغَيْظُ عِدَائِهِ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ، وَيَسْمَعُ وَاعٍ⁴

« فالمعنى لا محالة أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره وأوصافه، وقد حُذِفَ المفعول في النفس له مفعول مخصوص قد علم مكانه، إلاّ أنك تُنسيه نفسك وتخفيه وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل

1 - بناء الجملة العربية، حماسة، محمد عبد اللطيف، ص 259.

2 - نحو النص، عفيفي، أحمد، ص 126، 127.

3 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 153.

4 - ديوان البحري، ص 1244.

إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعدّيه إلى شيء أو نعرض فيه لمفعول»¹.

ويمكن أن نوضح أكثر من خلال قوله في إثبات المعنى ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر، الآية 10)، فلو ذكر المفعول به هنا لأفاد التخصص ويمكن ملاحظة الفرق بينه وبين قولنا: "هل يستوي الذين يعلمون النحو والذين لا يعلمونه" فالمفعول به هنا أفاد أن المبانية تخصّ العارفين بالنحو وغير العارفين به، لا مطلق العلم والمعرفة، ومثل ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (سورة النجم الآية، 42، 43).

فهو إضحاك لمن شاء على الإطلاق، وإبكاء لمن شاء على إطلاق، مثله مثل الإمامة والإحياء. وهذا النوع من الأفعال، لا يكون له مفعول يمكن الوصول إليه.

أما النوع الثاني: فهو الذي يكون له مفعول به مقصود، قصده معلوم إلا أنه يُحذف من اللفظ لوجود دليل الحال عليه ويقسم إلى قسمين:

- جلي: لا صنعة فيه، ومثاله في هذا قولهم: أصغيت إليه وهم يريدون أذني، وأغفيت عليه والمعنى جفني.

- خفي: تدخله الصنعة يتفنن ويتنوع، وهو أنواع:

أ- أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه لشهرته أو للدليل الحال لا أنك تنسيه نفسك وتدعه مخفي، ويتّضح ذلك من خلال ما سبق طرحه من مثال البحري.

ب- أن يكون معك مفعول معلوم مقصود، قصّده قد علم أنّه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه، بدليل الحال أو ما سبق من الكلام، إلا أنك تطرحه وتناساه، وتدعه يلزم ضمير النفس، لغرض غير الذي مضى، وذلك الغرض أن تتوفّر العناية على إثبات الفعل

1 - الدلائل، الجرجاني، ص 112، 113.

للفاعل وتخلص له، وتنصرف بجملتها وكما هي إليه¹؛ ومثاله قول عمرو بن معدي كرب (بحر الطويل).

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ، وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجْرَتِ²

فمعنى (أجرت) هنا قطعت لسانه عن القول، لأنها لم تقم بفعل شيء يذكر في الحرب فيمدح فحذف المفعول به وهو ياء المتكلم أبلغ، ولو ذكره لجعل صفة هذا الرماح أنها قاطعة لسانه هو دون غيره، وهذا الغرض ليس بالمقصود هنا، لأن المقصود أن من صفتها الإجرار (هي صفة ثابتة لها) لذا فهي أجرت وأجرت غيره من القوم أيضا.

وقد يذكر الفعل كثيرا والغرض منه ذكر المفعول ومثاله أنك تقول: أضربت زيدا؟ فالإنكار ليس واقعا لكون الضرب قد وقع، وإنما الإنكار لكونه واقعا على زيد، وهو لا يريد ذكر الفعل لا ذكر المفعول وحتى يظن السامع هذا، خلاف المفعول به من أجل أن يقع المقصود على الفعل وهو الإجرار³.

تقول دلخوش جار الله: «لكن البنية الدلالية تحتم على الشاعر إطراح هذا المفعول وتحاشيه لئلا تخصص دلالاته بالذكر، فلو قال الشاعر: نطقت لكن الرماح أجرتني، وعلق الفعل بعنصر المفعول لعجزت البنية الدلالية لهذا التركيب عن تأدية غرض الشاعر في إثبات الإجرار للشاعر من غير تخصيص الإجرار بلسان الشاعر فقط، ذلك أن الأمر لا يقتصر على هذا الشاعر وحده...»⁴.

إلا أنك تجد المعنى يلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه إلى لفظك، والسبب في ذلك أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض، وذلك أن الغرض هو أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار

1 - الدلائل، الجرجاني، ص 186.

2 - ديوان، عمرو بن معدي كرب الرُّبَيْدِي (ت 21هـ)، مكتبة العبيكان، ردمك، ط 1، 1415هـ، 1994م، ص 155.

3 - الدلائل، الجرجاني، ص 187.

4 - الثنائيات المتغايرة، في كتاب دلائل الإعجاز، دلخوش جار الله، دار دجلة، ط 1، 2008م.

وحبس الألسن عن النطق وأن يصحّ وجود ذلك، ولو قال " أجزتني " جاز أن يتوهم أنه لم يعن بأن يثبت للرماح إجراراً¹.

وتسمح لنا بعض الأمثلة بالاستفادة منها خاصة ما يزيد في التوضيح منها الأبيات الرائعة لطفيال الغنوي قالها لبني جعفر بن كلاب: (بحر الطويل)

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أزلَقَتْ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فزَلَّتِ
أَبَوًا أَنْ يَمَلُّونَا، وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا تُلاقِي الَّذِي لاقُوهُ مِنَّا لَمَلَّتِ
هُمَّ خَلَطُونَا بِالنَّفوسِ وَأَجَلُّوْا إِلَى حَجَرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّتِ²

والحذف في هذه الأبيات في أربعة مواضع هي " لملت، ألبأوا، أدفأت، أظلت " والأصل فيها "لملئنا، ألبأونا إلى حجات أدفأنا وأظلتنا"، هكذا بإبهام الفعل فلم يقصد أن يقع على شيء فأفادت الإطلاق والعموم ولزوم الصفة، وكأنّ هذه الصفات صفات ثابتة فيهم لم يخص بها المتكلم وحده وإنما هي مفعولة وواقعة على كلّ أحد في مثل حال الشاعر، ولو ذكر المفعول لكانت قاصرة على الشاعر خاصّة به فتكون هذه الصفات ليست متكررة منهم مع كلّ من يصادفهم وعليه لن تؤدّي الأبيات المعنى الذي أدته مع الحذف³.

ولأنّ الجرجاني يتمعن في الشرح بالتمثيل فإنّه يضيف على ماسبق فائدة أخرى أرادها في هذا النوع من الحذف فتجده يقول: « واعلم أنّ لك في قوله: (أجزتني)، و(لملئت) فائدة أخرى زائدة على ما ذكرت من توفير العناية على إثبات الفعل، وهي أن تقول: كان من سوء بلاء القوم ومن تكذيبهم عن القتال ما يجز مثله، وما القضية فيه أنّه لا يتفق على قوم إلاّ حرس شاعرهم فلم يستطع نطقاً، وتعديتك الفعل تمنع من هذا المعنى، لأنك إذا قلت: (ولكن الرماح أجزتني) لم يكن

1 - الدلائل، الجرجاني، ص114.

2 - ديوان، طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تح: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط 1997، 1م، ص130.

3 - الدلائل، الجرجاني، ص 188.

أن يتأول على معنى أنّ كان منها شأن مثله أن يجر قضية مستمرة في كلّ شاعر قوم، بل قد يجوز أن يوجد مثله في قوم آخرين فلا يجر شاعرهم»¹.

لقد حاولنا أن نتبع كلّ الأمثلة المتعلقة بالمفعول به وحذفه وأنواعه إلى أن نستدلّ على أنّ الحذف عنده إمّا بما سبق من الكلام أو بدليل الحال: « وهذا نوع آخر منه وهو أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده، قد علم أنّه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه، بدليل الحال أو ما سبق من الكلام إلّا أنّك تطرحه وتتناساه وتدعه يلزم ضمير النفس لغرض غير الذي مضى وذلك الغرض أن تتوفّر العناية على إثبات الفعل للفاعل وتخلص له وتنصرف بجملتها وكما هي إليه»².

من هذا المنطلق نصل إلى أنّ ضرورة الإشارة إلى ما عرضه كلّ من الجرجاني وهاليداي في قضية الحذف أنّ كليهما تعرّضا إلى الحذف الإسمي والفعلية، حتى وإن تغيّرت المفاهيم إلى أنّ المعنى واحد والهدف واحد، فنظرية هاليداي تقر بأنّ الحذف يمكن أن يقع على الفعل المعجمي كما يمكن أن يقع على الأداة الفعلية، وبهذا تكون كلّ مجموعة فعلية لا تحتوي على الفعل المعجمي دالة على حذف³.

وهذا أيضا جاء في كلام الجرجاني حول الحذف ودلالته - كما سبق وشرحنا - وهو ما أقر به دي بو جراندفي قوله: « وإذا كان الحذف على مستوى الجملة يراعي القرائن المعنوية والمقالية فلا شك أنّ نحو النصّ أكثر اعتمادا على ذلك لأنّه يدخل السياق، والمقام من أساسيات الحذف حيث تكون الجمل المحذوفة أساسا للرّبط بين أجزاء النصّ من خلال المحتوى الدلالي»⁴.

إنّ محاسن التّأليف تتحدّد بمثل هذه الأساليب التي تجعل من الحذف عند الجرجاني أفضل من الذّكر وأدرك قيمته في اتّساق النصّ وتماسكه من جهة، وما يضيفه من جمال في نفس السامع

1 - الدلائل، الجرجاني، ص 159.

2 - المصدر نفسه، ص 121.

3 - الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، بن عروس، مفتاح، ص 248.

4 - نحو النص، عفيفي أحمد، ص 125.

والمتكلم والمخاطب من جهة أخرى، كما عدّه من الأدوات التي تجنّب تكرار الألفاظ بطريقة تفقد النص توازنه، ويجعل المتلقي يبحث عن المحذوف من خلال السياق فالبحث عن المحذوف إذن مبني على التقدير، وهذا ما يسوقنا إلى قول دي بو جراند- مرّة أخرى- فيما يخص الحذف إنّه «استبعاد العبارات السطحية لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو يوسّع أو أن يُعدّل بواسطة العبارات الناقصة»¹.

وعلى هذا تكون البنية السطحية لأي نصّ غير مكتملة غالباً بالرغم ممّا يبدو في التقدير الذي يكون لدى المتلقي، فيكون الحذف على شريطة الإضمار هنا مرتبط بالسياق يستنبطه المتلقي من أعماق المعنى فيصل إلى جمال المفهوم.

وتأسيساً على ما سبق ذكره يؤكّد طاهر حمودة على المعنى عند الحذف وعلى القرائن الحالية والمقامية، وذلك يدخلنا في حيز السياق النصي²؛ فنجمع على أنّه أقرّ على وجوب فهم المتلقي لقصد المتكلم مع وجود هذه القرائن من جانب وربطها بمقام استخدام هذا الكلام من جانب آخر وهذا كلّه يندرج في صميم الدراسات اللسانية التداولية .

هذا ما خلصنا إليه من خلال ما قدّمه الجرجاني من منثور العرب وشعرهم حول الحذف بالمفعول به، ومدى مقارنتها لما أتت به متأخرة الدراسات اللسانية، ننتقل إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم وفق منهج مدروس ظهر من أول الكتاب حيث أشاد بعلم اللغة ثم بالنحو ثم بمعرفة الشعر لأنّها طريق الوصول إلى معرفة دلائل الإعجاز في القرآن الكريم شارحاً للآية الكريمة وجاعلاً منها أربعة مواضع حذف فيها المفعول به: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْفُونَ ﴿٢٢﴾ وَوَجَدَ مِّنْ دُونِهِمْ إِمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴿٢٣﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا فَالْتَا لَأَنْسِفِي

1- النص والخطاب، روبرت دي جراند، ص 301.

2 - ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، ص 17.

حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ بِسَفْيَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّيَ إِلَى الظِّلِّ بِفَعَالٍ

رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ بِفَيْرٍ ﴿٢٤﴾ (سورة القصص الآية 24، 22).

فالمعنى الذي وقع فيه الحذف [أربعة مواضع] - كما سبق وذكرنا - هي:

- وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم.

- امرأتين تذودان غنمهما.

- قالتا لا نسقي غنمنا.

- فسقى لهما غنمهما.

لقد حاولنا أن نتبع هذا الحذف الذي لا بدّ منه ليبقى الفعل مطلقاً ليعلم أنّه كان من الناس سقي ومن المرأتين ذود، فسيّدنا موسى عليه السلام قد ساعدهما لمطلق السقي من الناس ومطلق الذود من المرأتين، ولو خصّص لدلّ التعبير على أنّه لو لم يكن سقي الغنم، وذود منهما للغنم أيضاً لربّما لم تكن منه مساعدة لهما، فكرم موسى وشهامته كانا سيدفعان إلى المساعدة في كل الأحوال ومهما كان الشّيء المذاد وعلى الإطلاق¹.

يتّضح من خلال المثال الذي وضعه الجرجاني أنّه يتحدّث عن علاقة المفعول به المحذوف بالفعل الدال عليه، أي علاقة المحذوف بالعنصر الدال عليه، وهذا ما ركّزت عليه اللسانيات الحديثة « هو علاقة داخل النص وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق وهذا يعني أنّ الحذف عادة علاقة قبلية»².

لذلك هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الدّهن أو أن يوسع وأن يعدل بواسطة العبارات الناقصة³.

1 - الدلائل، الجرجاني، ص 190.

2 - لسانيات النص، خطايي، محمد، ص 21

3 - النص والخطاب والإجراء، دي بو جراند، ص 301، 302.

وهذا ما نصل إليه كل مرة من خلال التحليل والوقوف بين ما أتى به الجرجاني وما أقرّ به علماء لسانيات النص.

وقد يتجاوز الحذف عند الجرجاني الكلمة إلى الجملة التي يؤدي حذفها إلى ربط أجزاء من الخبر وجعل الجملة المتعدّدة كالجمله الواحدة، لا نستطيع التفريق بين أجزاءها أو تمييز إحداها عن الأخرى، كأن تقول: «أكرمني وأكرمت زيدا، وأنت تقصد: أكرمني زيد وأكرمت زيدا» استغناء بذكره في الثاني عن ذكره في الأوّل، وهذا النوع من الحذف كما يرى الجرجاني، من دقيق الصنعة ومن جليل الفائدة، مالا تجده إلّا في كلام الفحول¹، ومن لطيف ذلك ونادره قول البحري: (بحر الكامل)

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا، وَلَمْ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ²

والأصل: لا محالة، لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم تفسدها، ولو أرجع الكلام إلى أصله من غير أن يحذف لأصبح غثا يمجح السمع وتعافه النفس، وذلك أنّ في البيان إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له، أبدا لطفًا ونبلا لا يكون إذا لم يتقدّم ما يحرك، إنّ ذلك الحذف هو الذي يحرك الذهن ويهيئه ويجعله مستعدّا لتلقي جواب شرط "لو" وأمثلة ذلك في القرآن الكريم كثيرة منها: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية 36).

وأنت لو قلت (لو شئت)، علم السامع أنّك علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء، فهو يضع في نفسه أن هنا شيئا تقتضي مشيئته له أن يكون أو أن لا يكون، فإذا قلت:

«لم تفسد سماحة حاتم عرف ذلك الشيء»³.

1 - الدلائل، الجرجاني، ص 123.

2 - ديوان البحري، ص 508.

3 - الدلائل، الجرجاني، ص 163.

وهذا إضمار على شريطة التفسير يحيلنا الجرجاني من خلاله لنصل إلى النص و ما يتصل به من أوضاع وأحوال تستقرّ في نفس القائل ووجدانه، وفي المتلقي ومدى تقبله، وحجم اهتمامه بما يقرأ، أو يسمع.

لقد تبينّ مما سبق أنّ الجرجاني يلفت انتباهنا إلى أنّ ما قاله أحد شروط معيار من المعايير النصية وهو الإعلامية والقصدية .

ويوضّح لنا مثال آخر للجرجاني جعل منه أن إظهار المفعول هو الأفضل على عكس ما كان يقدّمه من قبل لأنه لا يحسن الحذف دائما كقول الشاعر العباسي أبي يعقوب إسحاق بن حسان الخزيمي يرثي خزيمًا بن عمارة الذي أكرمه حتى وفاته: (بحر الطويل)

فلو شئت أن أبكي دَمًا لبكيتَه عليك، ولكن ساحة الصبر أوسع¹

والحذف في هذا البيت لا يحسن فكأن تقول: "ولو شئت بكيت عليه دما"، لأنّ بكاء الدم مستغريا وغير معهود فالبدء بالذكر أولى يقول الجرجاني: «ولكنه كأنه ترك الطريقة يعني الحذف "وعدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا، وسبب حسنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دما... [...]"²، ثم يضيف: «[...] وإذا استقرت وجدت الأمر كذلك أبدا متى كان مفعول المشيئة أمرا عظيما أو بديعا غريبا، كان الأحسن أن يذكر ولا يضمّر»³.

ويرى الجرجاني -في ما سبق وأشرنا- أنّ الحذف منه الصريح وما ليس بصريح، فما ليس بصريح فالواقع بعد "لو" لأنّ الذي يأتي في جواب "لو" وأخواتها يدلّ عليه، وأمثله التي مرّت بنا سابقا أمّا الصريح يمثل له بيت للبحري: (بحر الخفيف)

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً⁴

1 - شعر أبي يعقوب الخرمي، عبد الغني، حسن اسماعيل، مج3، ع23، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، 2001م، ص1366.

2 - الدلائل، الجرجاني، ص 192.

3 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4 - ديوان البحري، البحري، ص 1657.

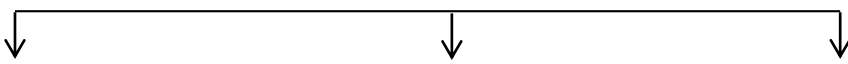
والمعنى هنا قد طلبا لك "مثلا" ثم حذف، لأن ذكره في الثاني يدلّ عليه، وفي الجيء به محذوفان الحسن والرّوعة مالا يخفي، فلو قال: طلبنا لك في السّؤدد والمجد والمكارم مثلا لكننا لم نجده لا يمكن أن يكون هنا شيء من الحسن كالذي تراه، لأنّ الأصل في المدح والغرض منه نفي الوجود عن المثل ولو عبّر عنه بدون حذف وقال فلم نجده، لكان قد ترك أن يوقع نفي الوجود على صريح اللفظ "المثل" وأوقعه على ضميره ولن تبلغ الكناية مبلغ الصريح أبدا¹.

حتى أنّه ذكر في ذلك مثلا آخر توضيحيا في كتاب البيان والتبيين للجاحظ: وهو أن قيس بن خارجة خطب يوما إلى الليل فما أعاد كلمة ولا معنى يأمر فيها بالتواصل بين قبيلتي عبس وذبيان وينهى عن التّقاطع فليل لأبي يعقوب (الشاعر الخزيمي إسحاق القوهي): هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التّقاطع؟ أو ليس الأمر بالصّلة هو النهي عن الوظيفة؟ قالوا ما علمت أنّ الكناية والتّعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف².

وهنا بالتّحديد فرّق الجرجاني بين التّعبرين أيضا فالجار و المجرور في "لك" في تعبير الشاعر متعلّقة بالفعل "نجد" وفي التّعبر الثاني متعلّقة بالفعل "طلب"، أي في تعبير الشّاعر لم نجد لك وفي الثاني طلبا، وعليه يكون المعنى في البيت دالا على أنّهم وجدوا ولكنهم لم يجدوا الذي يساويه "فلم يجدوا له مثلا"، ولكنهم وجدوا ولكنهم لم يجدوا الذي يساويه "فلم يجدوا له مثلا" ولكنهم وجدوا ما دون ذلك .

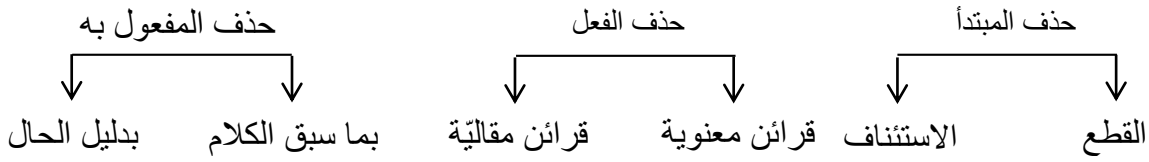
أمّا في الثاني فقد طلبوا المثل فلم يجدوا أصلا، والانتصار على القوي المنافس الموجود أفضل وأكثر مدحا من انتصار حقّق بغياب المنافس، أو حقق على منافس ضعيف وفرق بين: لم نجد مطلقا ولم نجد لك مثلا، فأعلمه، وكن منه على يقين.

الحذف



1- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص195.

2- المصدر نفسه، ص196.



المخطط رقم 31: أنواع الحذف عند الجرجاني

نخلص من قصة الجاحظ وما أورده الجرجاني من أمر قيس بن خارجة استشهد على الفرق بين التصريح والإضمار بآيات من القرآن كانت نقطة الفصل في توضيح فكرته؛ الآية الأولى: هي قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (سورة الإسراء، الآية، 105)، ولم يقل: «وبالحق أنزلناه وبه نزل» والآية الثانية: هي قوله تعالى: ﴿فَلْهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۖ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (سورة الإخلاص، الآية 1، 2)، ولم يقل: «قل هو الله أحد هو الصمد» بالإظهار بدل الإضمار. قال الجرجاني: «... ولهذا الذي ذكرنا من أن للتصريح عملاً لا يكون مثل ذلك العمل للكناية كان لإعادة اللفظ في الآيتين المذكورتين من الحسن والبهجة والفضامة والنبل ما لا يخفى موضعه على بصير، وكان لو ترك فيه الإظهار إلى الإضمار لعدم الذي أنت واجده الآن»¹. الجرجاني بعد كل ما قدّمه من هذه الشروحات ينهي موضوع الحذف بذكر مزاياه وتفخيم أمره والتنبؤ به بذكره كذلك، ويذكر أن مأخذه يشبه السحر، ويبره الفكر، ثم يورد بيتاً وقع فيه حذف فأعطاه رونقا وجمالا، من قول البحرّي: (بحر الطويل)

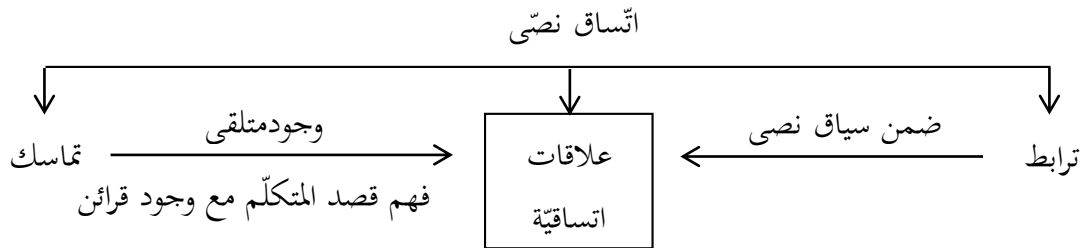
وكمذُدت عني من تحاملٍ حادثٍ وسورة أيام حزنٍ إلى العظم²

يقول الجرجاني: «والمعلوم أنه لو أظهر المفعول فقال: «وسورة الأيام حزن اللحم» إلى العظم وهذا هو الأصل لامحالة، إلا أن في مجيئه به محذوفا وإسقاطه له من النطق وتركه في الضمير: مزية عجيبة وفائدة جلييلة، لجاز أن يقع وهم السامع إلى أن يجيء إلى قوله: " إلى العظم

1 - الدلائل، الجرجاني، ص 197.

2 - ديوان البحرّي، البحرّي، ص 2018 .

" أن هذا الحز كانفي بعض اللّحم دون كله وأنه قطع ما يلي الجلد ولم ينتبه إلى ما يلي العظم»¹، أمّا "إلى" التي تفيد الغاية والانتهاء تبدو أنّها تمنع ما ذهب إليه الجرجاني والظاهر أنّ بلاغة الحذف في البيت هي جعل الأيام تعمل في الجسم، كما أنّ اللّحم غير موجود بسهولة العمل بسبب مضائها وإغفالنا عن دورها في ردّ الحز أتبعه إغفالنا عن ذكرها في اللفظ يتبدى لنا في ما جاء سابقاً أنّ للحذف أهميّة بالغة عند الجرجاني، وحتى الإظهار له خصائصه وميزاته، فكلّ نص تربط علاقات تجعل من الحذف أو الإظهار ميزته حتى وإن كانت بنية هذا النص ثابتة، ولو أردنا أن نؤسّس لما قاله الجرجاني بأنّها رؤى كانت واضحة وحاضرة بقوة عند المحدثين من علماء النص خاصة هاليدايورقية حسن فقد جعلنا النص مجموعة من الجمل مهما كثر عددها يحكمها نظام واحد تترايط فيما بينها بواسطة علاقات اتساقية متعدّدة ومتمايزة، فيمكن أن يكون لنص خاصيّة التّوجه نحو العلاقات الإحاليّة بواسطة الضّمائر، بينما ينحو نص آخر نحو العلاقات التي تتحقّق في الحدود بين الجمل².



المخطط رقم 32: خاصية الاتساق النصي

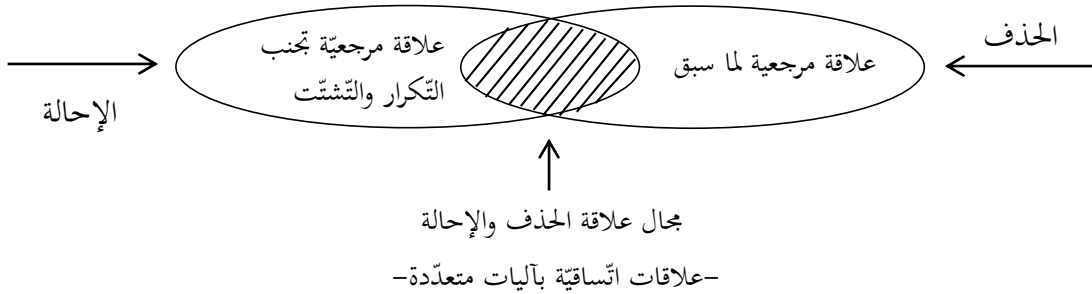
والعلاقة التي وجدناها هي الأخرى بين الحذف والإحالة، أنّ الحذف يمثل علاقة مرجعيّة لما سبق Anaphora، وهذا الوجود دليل أو مرجع يسهم في تقدير المحذوف وهذا ما مثل له الجرجاني بالتقدير، وقد تكون المرجعيّة كذلك خارجيّة exophora ويتم ذلك على مستويات معينة وفي

1 - الدلائل، الجرجاني، ص132، 198.

2- الاتساق في القرآن الكريم، بن عروس، مفتاح، ص219.

سياقات معينة، لنصل بهذا إلى ما سماه القدماء- لكل مقام مقال- فسياق الموقف يقدم لنا المعلومات التي نحتاجها في تفسير الحذف، ليحدث أخيراً التماسك النصي الداخلي مع السياق والمتلقي حينها يكون على دراية كافية بما يقصده المتكلم، وكلّ هذا يُسهم في نجاح ظاهرة الحذف التي بدورها تسهم في اتساق النص والتحام عناصره، « فإدراك الكاتب لفهم القارئ يجعله يلجأ للحذف، وهذا الحذف له دور مهم في الاقتصاد اللغوي الذي يميّز النصوص البليغة كما ينفي عن المتلقي الملل والرتابة نتيجة تكرار عنصر لا فائدة منه ويفجر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه لإدراك المحذوف المراد»¹.

الحذف علاقة تنسجم مع أدوات اتساق النص الأخرى، وتتبادل معها الأدوار التركيبية والدلالية والسياقية، ومن بين هذه الأدوات الاستبدال أو كما يطلق عليه عند الباحثين اللسانيين الغربيين "الإبدال" ودعوا إلى ربط الحذف به أي الحذف على نية تكرار اللفظ المحذوف .



المخطط رقم 33: مجال علاقة الحذف والإحالة

3.1.4. الاستبدال

يُشكّل الاستبدال صورة من صور التماسك النصي، ويتمّ في المستوى النحوي المعجمي لهذا نقف من خلال هذه المساحة من البحث إلى مناقشة هذه المعطيات عند عبد القاهر الجرجاني

1 - المعايير النصية بين السور المكية والمدنية، دراسة تطبيقية، (الأعراف والنساء نموذجاً)، يسرى السيد إبراهيم نوفل، كلية الآداب قسم اللغة العربية، جامعة طنطا، مصر، ط1، 1436هـ، 2014م، دار النابغة للنشر والتوزيع، ص 72 .

وما يتّصل بنظريته، ورصد مظاهر الاستبدال وصوره وتسميته من جهة، وعلاقته بنظرية علم النص من جهة أخرى.

بناء على هذا فقد تحدث الجرجاني عن الاستبدال بقوله: «لم يحمل البيت الأول على أن الربع بدل من الطلل، لأنّ الربع أكثر من الطلل والشّيء يبدل مما هو مثله أو أكثر منه، فأما الشّيء من أقل منه ففاسد لا يتصور، وهذه طريقة مستمرة لهم إذا ذكروا الديار والمنازل»¹.

ومثّل لقوله بهذه الأبيات التي أنشدها سيويه من قوله: (بحر البسيط)

عَتَادَ قَلْبِكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدُهُ وَهَاجَ أَهْوَاءَكَ الْمَكُونَةَ الطَّلَلُ
رَبْعَ قَوَاءٍ أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتُ بِهِ وَكُلُّ حَيْرَانَ سَارٍ مَاؤُهُ خَضِلٌ²

قال: أراد، (ذاك، ربع قواء أو هو ربع) ومن ذلك قوله أيضا: (بحر البسيط)

هَلْ تَعْرِفُ الْيَوْمَ رَسَمَ الدَّارِ وَالطَّلَلِ كَمَا عَرَفْتَ بِحَفْنِ الصَّيْقَلِ الْخِلَلِ
دَارٌ لِمَرْوَةٍ إِذْ أَهْلِي وَأَهْلُهُمْ بِالْكَانِسِيَّةِ نَزَعَى اللَّهْوُ وَالْعَزَلَا³

وقد عُرف الاستبدال بعدّة مصطلحات متشابهة منها التّيابة، الانزياح والاستبدال، والمعاقبة والعدول، وكلّ واحد من التّحويين القدماء عرّفه حسب ما يفيد كسيويه وهذا ما يؤكد اهتمام النحاة به، وأنهم يغيب عنهم باعتباره جزء من التوزيع على مستو بالنظرية النحوية ومخارجها.

أمّا الجرجاني فقد أطلق عليه بالعدول حيث يرى أنّ العدول هو نقل اللفظ عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي لوجود علاقة بينهما، وهو يقصد بها الكناية والاستعارة والتّمثيل الكامن على حدّ الاستعارة، وكلّ ما كان في الجملة من مجاز واتّساع وعدول باللفظ عن الظاهر⁴. فالعدول عنده محصور في المجاز اللغوي حسب قوله، حتّى أنّه جعل تعريفه هذا يتداخل مع مصطلح

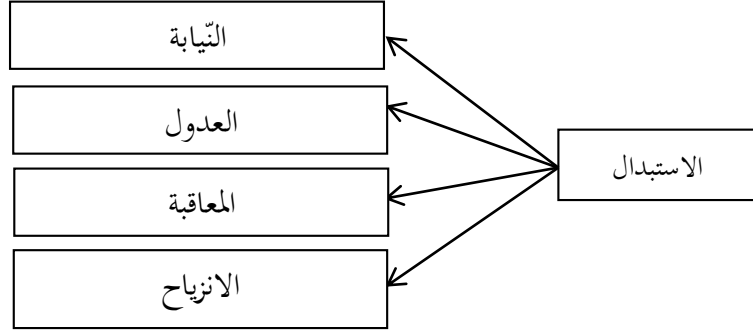
1 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص 147.

2 - الكتاب، سيويه، ج، 1، ص 28، وانظر: شرح سيويه، النحاس، ص 91.

3 - شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تح: عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ص 321.

4 - مفهوم العدول في البلاغة العربية في ضوء الدراسات اللغوية، السعيد الباز، ص 119.

الانحراف أو الانزياح حيث خصّه النقاد بأنّ العدول كالجواز : أي نقل المعنى من مسمّاه الأصلي إلى مسمّاه الافتراضي.



المخطط رقم 34: تسميات الاستبدال عن القدماء

ولكن ما لاحظناه على دراسة عبد القاهر أنّ هناك من الباحثين من حلّلها وتوصّل إلى أنّ العدول عام غير الاستبدال حيث أنّ عبد الفتاح الجرجاني قد نظر في دراسته عن العدول بالجملة عن الأصل، فنظر فيها للأصل والفرع، وخصّ العدول بعدّة ظواهر توليدية لها علاقة بالمعنى منها دور التّقديم والتّأخير في استيعاب المعنى التّحوي، ودور الإضمار والحذف والتّقدير في استيعاب المعنى التّحوي، وأبجّاهات الدّارسين في التّعامل مع قضايا الحذف والتّقدير¹.

يستخلص متمعّن قول الجرجاني السّابق وتحليل عبد الفتاح لهذا القول أنّ الجرجاني أولى أهميّة للاستبدال ونظّر له على أساس ما وضعه علماء النّحو كسيبويه والخليل، ثمّ أطلق عليه مفهوماً آخر شأنه شأن العلماء القدماء، فكان بما وضعه سبّاقاً لعلماء لسانيات النّص مفهوماً وتحليلاً.

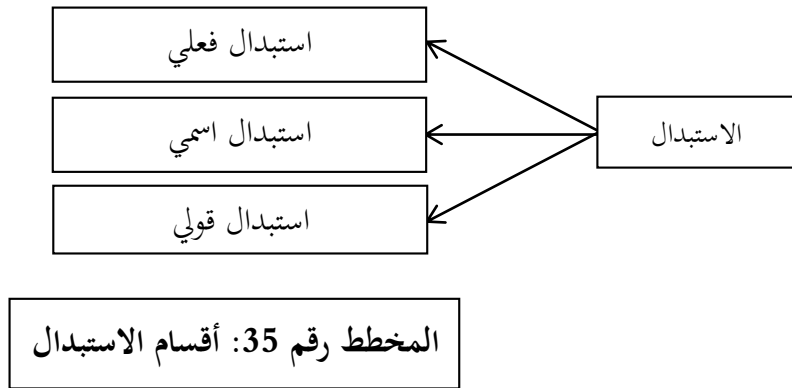
1 - العدول بالجملة عن الأصل وعلاقته باستيعاب النّحو للمعنى، عبد الفتاح الجرجاني، دار سحر للنشر، تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 2007م، ص29.

وقد حاولنا أن نربط بين الفكر النحوي القديم ونظريات البحث اللساني المعاصر فوجدنا أن الجرجاني قد تعرّض لأنواع الاستبدال، ومثّل لكلّ نوع بما هي قائمة في ذهن المحدثين أمثال هاليداي ورقية حسن أثناء ذكرهم لأنواع الاستبدال عند الجرجاني.

1.3.1.4. الاستبدال الفعلي

وهو الذي يتم فيه استبدال الفعل بصيغة (فعل، أو يفعل)، مثل تساؤل: هل شاهد مصطفى المباراة؟ الإجابة تكون: "قد فعل"، وفي هذا يقول الجرجاني: « وإن أردت أن تستحكم معرفة ذلك في نفسك، فانظر إليك إذا قيل لك: (ما فعل زيد؟) فقلت (خرج) هل يتصوّر أن يقع في خلدك من "خرج" معنى من دون أن تنوي فيه ضمير "زيد"؟ وهل تكون إن أنت زعمت أنّك لم تنو ذلك إلا محرّجا نفسك إلى الهذيان؟ وكذلك فانظر إذا قيل لك: "كيف زيد؟" فقلت "صالح" هل يكون لقولك "صالح" أثر في نفسك من دون أن تريد "هو صالح"؟ أم هل يعقل السامع منه شيئا إن هو لم يعتقد ذلك»¹.

وإذا عدنا إلى ما قدمه هاليداي ورقية حسن في الاتساق نجد أنّهم استعملوا الفعل Do الذي يقوم بعملية الاستبدال الفعلي، وجعلوا من Do نفسه يرتبط بفعل أو بفعل ما يتعلّق به من عناصر أخرى.



ومّا سبق نستشف أنّ هاليداي ورقية حسن كانا تقسيمهما للاستبدال موجود في تراثنا البلاغي مؤسساً له عبد القاهر الجرجاني حتّى المتّبع لما جاء به هو أو غيره من القدماء يجد أشكالاً

1 - الدلائل، الجرجاني، ص 541، 542.

أخرى من الاستبدال غير تلك اللغوية قديما كانت تدرك بمسمياتها دون ما ذكر اسمها ذكرا دقيقا خلافا لما هو الأمر حاليا مع الدراسات اللسانية النصية، فهذا يكون للعرب سبق للبحث وللغرب ختام التحليل والإثراء والتنظيم؛ فالاستبدال أو الإبدال أو التبديل كلها مصطلحات تعني المبادلة فهي تبديل الشيء بغيره واستبداله منه سواء عند الجرجاني أو عند علماء لسانيات النص.

وأما عن علاقة الاستبدال بالإحالة والحذف، نجد أنّ الجرجاني لم يكتف بما أسسه، بل لفت الانتباه إلى مسألة هامة تميزه عن هاليداي، فهذا الأخير يرى عملية الحذف هي عملية استبدال موقع الحذف بالصفير، ومن ثمّ فإنّ الاستدلال على الحذف يستند إلى المعطى البنائي بينما يستدلّ على الحذف عند الجرجاني إمّا بما سبق للكلام، أو بدليل الحال - كما سبق وأشرنا -

4.1.4. الفصل والوصل (الربط)

حظي مبحث الفصل والوصل عناية القدماء خاصة البلاغيون، لأنهم لا يقفون في دراستهم عند حدود الكلمة أو الجملة منفردة، بل يوسعون دائرة بحثهم لتشتمل دراسة علاقة الجملة الأولى بالثانية والثالثة وهكذا.

فالفصل والوصل ليسا مجرد ظاهرة لغوية تقترب بالعطف أو ترك العطف، وإمّا ظاهرة دلالية من باب «أنّ ثمّ جامعا بين أطراف الكلام، ذكرت الواو أولم تذكر»¹؛ هذا الجامع متعلق بالاتصال المعنوي بين أجزاء الكلام، وفي هذا المعنى يشير عبد القاهر الجرجاني بقوله: «واعلم أنّه ما من علم من علوم البلاغة أن تقول فيه: إنّه خفي وغامض، ودقيق صعب إلاّ وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب»².

وسرّ غموض ودقّة هذا الباب أنّ الإفراط في أدوات الربط في العمل الفني يضعف العلاقة بين أجزائه، كما أنّه يُرخي تماسكه، حتّى أنّ التفريط فيها دون داع يجعل النصّ مفكّكا ومُهلهّلا ولذا وجب معرفة مواضع الربط وعدم التفريط فيها لضمان تماسك النصّ واتساقه. وفضلا على

1 - علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، مصطفى صلاح قطب، ص 96.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 231.

هذا فقد أشار عبد القاهر إلى أهمية السياق والمقام وضرورة إخضاع أدوات الربط لهما، وفي هذا يقول وذلك أننا لا نعلم شيئاً يتبعه الناظم بنظمه غير أن ينظر وجوه كلِّ باب وفروقه ... فينظر في "الجملة" التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع "الواو" من موضع "الفاء" وموضع "الفاء" من موضع "ثم" وموضع "أو" من موضع "أم" وموضع "لكن" من موضع "بل" ويتصرّف في التعريف والتكبير، والتقديم والتأخير في الكلام كلّ وفي الحذف، والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب بكلّ من ذلك مكانه ويستعمله على الصّحة وعلى ما ينبغي له.¹

عبد القاهر وهو يتكلّم عن الفصل والوصل ومواضعهما وارتباطهما بالسياق والمقام قد جعلهما من أسرار البلاغة، واهتمّ به اهتماماً غير مسبوق، حتّى أنّه عقد باباً يُعدّ خير مدخل للسانيات النّص، وسبق به العلماء فتجاوز به حدود الجملة الواحدة ليمتدّ إلى علاقة الجملة بالجملة التي تأتي قبلها وبعدها، وهو ما صار فيما بعد موضوعاً للسانيات النّص.

وكان جهد كلّ اللّغويين يتمحور حول ما جاء به الجرجاني الذي أقرّ أنّ ما أتى به يجب أن يكون الباحث والدّارس على دراية بكلّ ما تعارفت عليه العرب من فصاحة الكلام وحسن التّأليف والخطابة وغيرها: « ولا يتأتّى للتّمام الصواب فيه إلّا الأعراب الخالص، وإلّا قوم طبعوا على البلاغة وأتوا فنّاً من المعرفة في ذوق الكلام هم بما أفراد، وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حدّاً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنّه سُئل عنها فقال (معرفة الفصل من الوصل)، ذاك لغموضه ودقّة مسلكه، وأنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه إلّا كمل لسائر معاني البلاغة ».²

ومن المعلوم أنّ أغلب الباحثين العرب قد بحثوا في هذا، كون أنّ العطف من أكثر المباحث التّراثية قُرباً إلى لسانيات النّص، والحديث عن هذا يستدعي الكلام عن هاليداي ورقية حسن حيث أنّهما وفي كتابهما **Cohesion in English** وأثناء ترجمته: **Conjunction** بالوصل استئناسا

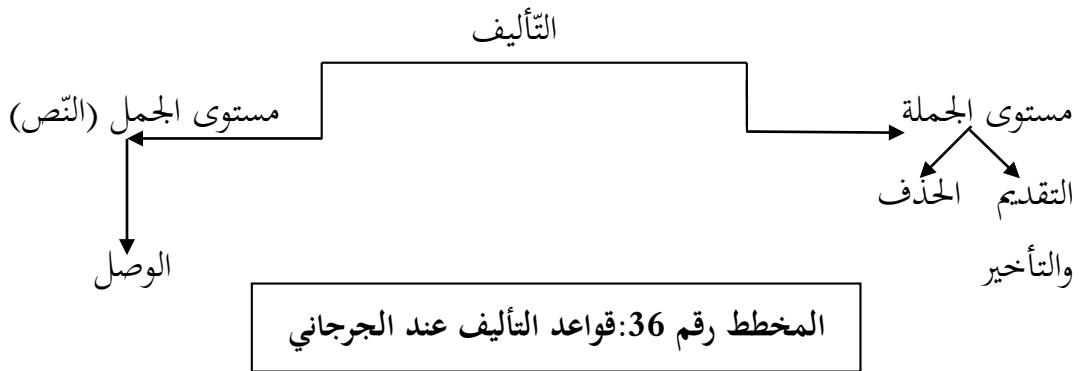
1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 81، 82 .

2 - المصدر نفسه ، ص 222.

بما هو مستعمل في العريّة حين نتكلّم عن العلاقات بين الجمل من ناحية الاصطلاح أي الوصل والفضل¹.

وهذا ما تحدّثنا عنه وأشرنا له في ما أتى به الجرجاني من قبل فترجمة هاليداي ورقية حسن لم تكن محض الصدفة، إذ أنّ عبد القاهر قد تحدّث عن عطف الجملة على الجملة-وسوف نشرح ذلك- وفي حديثنا عن العلاقات بين الجمل وعطف الجملة على الجملة، وعلاقة أدوات العطف أو الرّبط بالسياق والمقام، نقف أيضا إلى أنّ ما توصل إليه عبد القاهر وبناه قد وصل إلى ما جاء به زليخ هاريس Z. Harris في القرن العشرين أثناء دعوته لضرورة تجاوز مشكلتين مهمّتين وقعت فيهما الدّراسات اللّغوية، والاعتماد على ركيزتين في العلاقات التّوزيعية بين الجمل والرّبط بين اللّغة والموقف الاجتماعي².

الجدير بلفت الانتباه أنّ هناك روابط هي التي تقوم عليها العلاقات التّوزيعية بين الجمل كما أقرّ بها هاريس، وكانت جذورها في تراثنا البلاغي، فعبد القاهر قد انطلق في حديثه عن الفصل والوصل من منطلق العطف أي عطف بعض الجمل على بعض، أو ترك هذا العطف، كما وضّح أيضا أنّ الذي يُحسن الرّبط بين هذه الجمل وفق قواعد الفصل والوصل-وبهذا قد فاق هاريس في تحليله- قد أدرك سرا من أسرار البلاغة، ولمزيد من التوضيح يمكن أن نستعين بهذه الخطاطة الآتية:



1 - الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، بن عروس، مفتاح، ص 252.

2 - بين البلاغة العربية واللّسانيات النّصية، جميل عبد المجيد، ص 66.

يشرح لنا الجرجاني أنّ التّأليف يتحقّق في العبارة على مستويين، مستوى الجملة الذي يقوم

على آليتين إجرائيتين هما: ← أ- التّقديم والتّأخير
← ب- الحذف.

وأما المستوى الثاني، فهو مستوى الجمل المتتالية، وينهض على الوصلوينظر شيخ البلاغة إلى أن التّأليف على مستوى الجمل يرقى إلى المرتبة العليا في النظم¹.

قد نوّه الجرجاني إلى ضرورة التّأليف في إطار استعمال كل ماله علاقة بالتّحو كآساس لا يمكن الاستغناء عنه في بناء النصّ حتّى وإن لم يصرح بها فنظرته إلى الانتقال من الجملة إلى جملة أخرى كافية لوضع أسس وقواعد سنحاول أن نقف عليها ونجعلها كمبادئ لباب الفصل والوصل.

1.4.1.4. عطف المفرد على المفرد

1.1.4.1.4. الوصل

تعدّ الأسس التّحوية من القواعد التي تضبط العطف - كما سبق وأشرنا في الخطاطة - وبناء على هذه القواعد نجد أن ما يحكم عطف المفرد على المفرد قد جرى تحكيمه في عطف الجملة على الجملة - فيما سيتمّ شرحه لاحقاً - وكلّ هذا يخضع للبنية العائلية من جهة ولغير البنية العائلية من جهة أخرى؛ لذلك يمكن القول بأنّ هناك جانبين تحكّمًا في صياغة هذه الظاهرة: القواعد التّحوية والمبادئ المعنوية والتّداولية².

وفي هذا اتضحت فائدة عطف المفرد في المفرد بأنّها إشراك العنصر الثاني في إعراب الأوّل وأنّ الإشراك في الإعراب يتبعه إشراك في الحكم³ يقول الجرجاني: «اعلم أنّ سيّلتنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثمّ نعود إلى الجملة فننظر فيها، ونتعرّف حالها. ومعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد أنّ يُشرك الثاني في إعراب الأوّل، وأنّه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك

1 - دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، درويش، أحمد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص 173.

2 - لسانيات النصّ، خطابي، محمد، ص 100.

3 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 222.

الإعراب، نحو أنّ المعطوف على المرفوع بأنه فاعلٌ مثله والمعطوف على المنصوب بأنه مفعولٌ به أو فيه أولُهُ، ومثال ذلك: جاء محمدٌ وعليّ. أكرمت محمدًا وعليًّا. مررت بمحمد وعليّ¹.
فالعلاقة إذن هي علاقة اشتراك لا محالة تؤدّي بدورها إلى تآلف أجزاء الجملة وارتباط التابع بالمتبوع في كلّ من الحكم والحركة وإلا فلن يتحقق الرّبط.

2.4.1.4. عطف الجملة على الجملة

ميّز الجرجاني في عطف الجملة على الجملة بين حالتين، وراح يُقسّم عطف الجمل على ضربين :

أ - الضرب الأول: أن يكون للجملة المعطوف عليها محلّ من الإعراب وإن عطف عليها بجملة أخرى لا إشكال في ذلك العطف، لأنّه يحكم عطف المفرد على المفرد، فإذا قلت: « مررت برجلٍ خُلِّقَ حسنٌ وخلقُهُ قبيحٌ »، كلا الجملتين هنا صفة للتكرة، وقد انتقل الحكم إلى الجملة الثانية بواسطة "الواو"، وصرّح بأنّ هذا الضرب سهل لا إشكال ولا غموض فيه.

ب - الضرب الثاني: هنا ذكر الجرجاني الإشكال، وذلك أن تعطف على الجملة التي لا محلّ لها من الإعراب جملة أخرى نحو: "زيدٌ قائمٌ" و"عمرو قاعدٌ" و"العلمُ حسنٌ" و"الجهلُ قبيحٌ"، يقف عبد القاهر هنا ويقول: « لا سبيل لنا أن ندّعي أن "الواو" أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه»².

والتأكيد على وجوب العطف أو تركه راجع إلى كلّ ما ذكره الجرجاني من اعتبار الإشراك في الحكم فإن غابت هذه القيود، لا بدّ لنا من البحث في ما يكوّن هذه الجمل ويجمعها ولهذا نرجع إلى المعاني التي تُعتبر هي الجهة الجامعة.

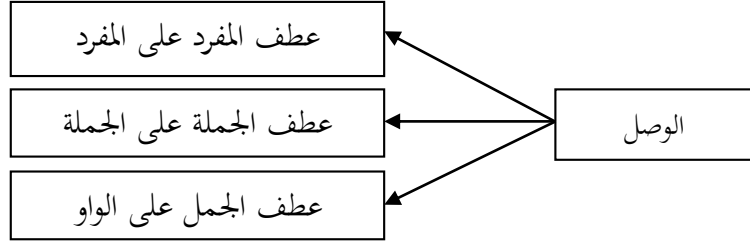
وفي هذا نكون قد تحدّثنا عن الأساس التّحوي الذي من خلاله شرح الجرجاني كلّ هذا وجعل الخطابي يستخلص من كلامه شروط عطف جملة على أخرى³:

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 248، 249.

2 - المصدر نفسه، ص 223.

3 - لسانيات النّص، الخطابي، محمد، ص 101.

- أن يكون حكمهما حكم المفرد.
- أن يكون للأولى موضع من الإعراب.
- أن تنقل الواو إلى الثانية حكماً وجب للأولى.



المخطط رقم 37: أقسام الوصل عند الجرجاني

وسنحاول استخراج المبادئ التداولية والمعنوية التي أشار إليها الجرجاني في ما قاله سابقاً من خلال ربط شرحه حول صحة العطف بين الجمل وعلاقتها بالخطاب والمتلقي أي من منظور وأساس تواصلية تداولي ومثل لذلك؛ إذ يقول: «إذا قلنا: (زيد قائم وعمرو قاعد) فإننا لا نرى أمراً آخر نحصل معه على معنى الجمع؛ وذلك أن لا نقول (زيد قائم وعمرو قاعد) حتى يكون "عمرو" بسبب من "زيد" وحتى يكونا كالتنظيرين والشريكين، وبمجيء إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني، يدلُّك على ذلك أنك إن جئت فَعَطَفْتَ على الأول شيئاً منه بسبب ولا هو ممَّا يُذَكِّرُ بِذِكْرِهِ وَيَتَّصِلُ حَدِيثُهُ بِحَدِيثِهِ لَمْ يَسْتَقِيم»¹.

وإذا حاولنا الربط بين حال عمرو مع حال زيد نجد أنه لا بد من ذكر مسوغ يدلّ على العطف بينهما، وقد يكون هذا المسوغ -حاجة السامع- أو المتلقي كما يراه محمد خطابي وهو أحد عناصر السياق فيعرف حال الثاني بعد معرفة حال الأول بسبب اقترانهما في ذهن هذا المتلقي وهذا يفهم من خلال كلام الجرجاني على كون زيد وعمرو كالشريكين والتنظيرين².

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 224، 225.

2 - لسانيات النص، خطابي، محمد، ص 102.

والتأكيد على ما نظّر إليه الجرجاني أبلغ حيث أنّه ينظر في الخطاب من زاوية التلقّي أي من خلال العلاقة التي تربط بين المتلقّي والخطاب، حيث تعود مقبولية العطف إلى أسباب تداوليّة فالشخصان في ذهن المتلقّي لا يفتقران حتّى أنّه إذا عرف حال أحدهما تاق إلى معرفة حال الثاني. كأن يكونا أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة، كانت الحال التي يكون عليها أحدهما، من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك مضمومة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك¹.

ومثال ذلك: "زيد طويل القامة" و "عمرو شاعر"، فالعطف يكون "خلف" لأنّه لا مشكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر، وكان الواجب أن يقال: زيد كاتب وعمرو شاعر، وزيد طويل القامة وعمرو قصير.

ويسمّي محمد خطابي هذا اللون من الاقتران بين الأشخاص (التضام النفسي)، وتضام يعتمد على المتلقّي؛ ولذلك فهذا هو المبدأ النسبي، لأنّ التضام والتقارن بين الأشخاص يعرفه من يعرف هؤلاء الأشخاص ويعنيه حالهم، وأمّا من لم يعرفهم فلا يدرك هذا اللون من التضام. وتركز أيضا على نوع آخر من التضام يكمن في المعاني المحددة مثل العلم، والجهل والحسن والقبح والطول، والقصر ... الخ.

وسمّاه خطابي (التضام العقلي) وهو تضام عام يدركه الجميع لأنّه مرتبط بالوقائع ومثال هذا قول عبد القاهر: «فإنّما قلت مثلا: العلم حسن والجهل قبيح»؛ لأنّ كون العلم حسنا مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحا².

ومثال آخر: (العدل محمود والظلم مذموم)، و(الاجتهاد حسن والكسل قبيح)، فالمسوغ المعنوي للعطف هو كون الخبر عن الثاني مضادا للخبر عن الأوّل، والتداولي هو كون الواقعتين متضامتين

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 225.

2 - المصدر نفسه، ص 226.

عقليا بالنسبة لجميع الأمم التي أسست حضارة معقدة نظاما من القيم ناسبة إلى بعضها صفة الإيجاب وإلى الأخرى صفة السلب، لحت الأفراد على التثبث بالقيم الايجابية ونبت السلبية.¹

إنّ الجرجاني يضع مبدأ عاما يحكم به العطف، يمكن تلخيصه بقوله: «... لا يُتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشارك فيه...»².

ثمّ يشرع الجرجاني في تأكيد أمر آخر لا يقل أهمية عما سمّاه بالنظير والشريك وهو المناسبة أو التناسب أو التعلق وكلّ هذا له علاقة بما سبق شرحه وما قدّمناه هنا ما هو إلا تأكيد أبلغ وهذا البيت الشعري لأبي تمام خير دليل.

فلو قلت "خرجت اليوم من داري"، ثم قلت: وأحسن الذي يقول بيت كذا، قلت ما يُضحك منه ومن هنا عابوا أبا تمام (213هـ) في قوله: (البحر الكامل)

لا والذي هو عالمٌ أنّ النوى صيرٌ وأنّ أبا الحسينٍ كـريمٌ³

دلّ البيت على عدم وجود مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك، واعلم أنّه كما يجب أن يكون الحدّث عنه في إحدى الجملتين بسبب من الحدّث عنه في الأخرى، كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني ممّا يجري مجرى الشبيه والنظير أو التقيض للخبر عن الأوّل، فلو قلت: "زيد طويل القامة وعمر شاعر" كان خَلْفًا -وقد ذكرنا هذا المثال سابقا- لأنّه لا مشكلة ولا تعلق.

يتّضح أنّ الجرجاني قصد بالمناسبة التعلق عند عطف شيء على شيء، أمّا ما كان لهذا البيت الشعري فهو اختلاف في السياق فلا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر، فأى علاقة بين الخروج من البيت وقول الشعر؟ وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك، فكان اختلاف السياق والمناسبة سببا في الفصل مع اتّفاقيهما في الخبريّة لفظا ومعنى.

1 - لسانيات النص، خطابي، محمد، ص 104.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 224.

3 - ديوان أبي تمام، شرح، الخطيب التبريزي، دار المعارف، للنشر، 1119، كورنيش النيل، القاهرة، ج، م، ع، ص 290.

وإذا ما عدنا إلى تعريف عبد القاهر الجرجاني، نجد خصّ في كلامه عن الوصل "الواو" في عطف الجمل دون غيرها من أدوات العطف فلم يأتى؟ والجواب: أن الواو لها معنى واحد هو الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعته فيه الثاني الأول.

فالواو لمطلق الجمع - كما يقول - وإذا وُجدت في سياق الكلام فهي الرابطة ربطاً لفظياً وإن غابت يكون الكلام متصلاً من جهة المعنى، ولهذا فعندما حدّد الجرجاني الفصل والوصل قال: « فترك العطف يكون للاتصال إلى الغاية (الجهة الجامعة) أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين حالين»¹؛ فإن ثمة جامعاً بين أطراف الكلام ذكرت الواو أم لم تُذكر وأنها حين تسقط يجذُّ العقل في التقاط المتشابهات بين المعاني والجمع بين أطراف الكلام وحين تُذكر الواو فهي الجامعة، وفي هذه النقطة يقول جون كوين: " يُعدّ التجاور أكثر وسائل الربط شيوعاً فوجود حرف الواو في صدر كل جملة يثقل المقال بدرجة ملحوظة، والكلام المكتوب يفضل اللجوء إلى مجرد التجاور ... إننا نعتبر التجاور هو الشكل الطبيعي للربط فالمقال (ربط ضخم)².

وبفكرة الجرجاني هذه والمتمثلة في الجامع بين المتعاطفين، يكون قد سبق إلى قضية قد سعى إليها علماء لسانيات النصّ الغربيين وأطلقوا عليها مطلق "اتساق النصّ وانسجامه"، فتناولوه لموضوع (الفصل والوصل) هو الصيغة التي تلتقي مع المصطلح الحديث "التماسك النصي" لأنّ كلا المصطلحين يبحث في كيفية ترابط النصّ واستخدام أدوات الربط على الرغم من أنّ القدماء قد اقتصرُوا في هذا المبحث على الجملة أو الجملتين أو البيت أو البيتين من الشعر.

ويمكن تسجيل الملاحظات التالية حول الفصل والوصل عند عبد القاهر:

- أن الوصل هو عطف الجمل بعضها على بعض.

- أن الفصل هو ترك العطف فيها والجيء بها مقطوعة.

1 - دلائل الاعجاز، الجرجاني، ص 226.

2 - علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، مصطفى صلاح قطب، ص 163، 164.

- أن معرفة الفصل أو الوصل وإدراك أبعادها المتكاملة يعدّ من خصائص لغة العرب الأقياح الذين طبعوا على البلاغة فطرياً¹.

- أن الذوق الفني عند العرب هو الذي جعلهم يركّزون على معرفة الفصل والوصل.

- أن العرب اعتبروا الفصل والوصل حدّاً للبلاغة، وسبباً من أسبابها.

- أن الخبرة بمواضع الفصل والوصل تعدّ من المسالك الدّقيقة والمسائل الملحّة التي تحتاج إلى تمعّن ومزيد من النّظر.

وفي هذا الإطار نجد التقارب الذي وضّحته أفكار محمد خطابي في كتابه "لسانيات النصّ" نقلاً عن فان دايك الذي جعل أحد شروط تعالق الوقائع هو علاقة السّبب والنتيجة وذكر مثالين للتوضيح أكثر:

- ذهبنا إلى الشّاطئ لكن بيتر ذهب إلى المسبح.

- ذهبنا إلى الشاطئ ووُلد بيتر في مانشستر.

ففي الجملتين السّابقتين «لا يَعتَبِرُ فان دايك أنّ الناتج "ذهاب بيتر إلى المسبح" لا يُعبّر عن قضية تشير إلى واقع يعدُّ بطريقة ما نتيجةً للواقع الذي يشير إليه السّابق "ذهابنا إلى الشّاطئ" ولكنّه يستدرك ويعتبر أنّ هذا لا يعني أنّ الوقائع غير مترابطة، ولتوضيح كيفية الرّابط بينها يلجأ فان دايك إلى وضع مفاهيم مفسّرة لهذا الرّابط، ويجعل الرّابط في المثال الأوّل يكمنفي "النشاط المتماثل" أي يوجد نشاط السّباحة في كلتا الجملتين "الذهاب إلى الشّاطئ" و"الذهاب إلى المسبح"².

1 - منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرضه المسائل التّحوّية، دراسة تحليلية، أحمد عاطف محمد كلان، بحث قدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في النحو العربي من كلية الآداب في الجامعة الإسلاميّة بغزة، كليّة الآداب قسم اللغة العربيّة، عمادة الدّراسات، الجامعة الإسلاميّة، غزة، 1434هـ، 2013م، ص93.

2- لسانيات النصّ، خطابي، محمد، ص33.

أمّا في المثال الثّاني فلا يوجد مجال للمقارنة بين ذهابنا إلى الشّاطئ وبين كون بيتز مولودًا في مانشستر، لأنّ الوقائع الواردة في الجملتين متباعدة، لهذا يستبعد هذا النوع من الجمل وذلك لغياب التّرابط بينها.

ويشير هاليداي ورقية حسن من خلال مجموعة من الأمثلة إلى تأكيد ما جاء به فان دايك ولكن هذه المرّة بإشراك التّابع الزّمني، ولكن يوجد اختلاف في أشكال التّعبير عن هذا التّابع من مثال إلى آخر¹:

-A/A snowstorm followed the battle العاصفة الثلجية لحقت المعركة

-B/After the battle, there was a snowstorm بعد المعركة كانت عاصفة ثلجية

-C/After they had a battle, it snowed بعد تقاتلهم في المعركة، أثلجت

-D/They fought a battle afterwards, it snowed قاتلوا في المعركة، بعد ذلك أثلجت

هناك تتابع للأحداث تزامنيًا بحدوث وقائع مترابطة زمنيًا هي الأخرى ولكن التّركيب يختلف من جملة لأخرى على الرّغم من عدم وجود وحدات واصلة كما يطلق عليها هاليداي وحسن and التي تقابل "واو العطف في العربية" فالمثالان الأوّلان يتمّ التّعبير فيهما عن التّابع داخل الجملة أمّا الثالث فرغم أنّه يتكوّن من جزأين وفي كلّ جزء فعل فإنّ هناك تعلق الجزء الأول بالثّاني تركيبياً، ولم يبق إلاّ المثال الأخير الذي يُجسّد فعلاً العلاقة الاتّساقية كما طرحها الباحثان.

نستشف من خلال هذه الأمثلة أن هاليداي ورقية حسن قد اعتبرا التّابع الزّمني المجسّد لتتابع الأحداث وصلاً رغم عدم وجود الأداة الجامعة ولكن يتجاوز ذلك مفهوم الانحصار بين جملتين ولأنّ دراستنا تبحث في اتّساق النّص وتماسكه ومعرفة أدوات هذا التّماسك فإنّنا لا نلتفت إلى العلاقة الدّلالية بين الجمل أو حتّى إلى عطف المفردات وغيرها على الرّغم من الأهميّة لكليهما ولكننا نقف عند عطف الجمل كما جاء عند المتقدّمين، وكيفية معالجة المحدّثين لها، وهذا العمل الذي قدّمه هاليداي وحسن يستند إلى مفهوم الاتّساق من حيث إنّهُ علاقة بين الجمل في التّابع

1 - الاتساق في القرآن، بن عروس، مفتاح، ص 253.

ولهذا يحصران مفهوم الوصل في هذا الحد، ولذلك لا يمكن الكلام عن الوصل إلا في المثال الأخير رغم أنّ العلاقة الدلالية بين الأمثلة الأربعة ثابتة (في كلّ الأمثلة هناك ربط بين حدثين المعركة وسقوط الثلج)¹.

إنّه بإمعان النّظر عند الجرجاني وعلماء محدثون، نجد أنّهم أولوا أهميّة لقضية أداة الرّبط "الواو" دون غيرها سواء حضرت أو غابت، كأصل في عطف الجملة على الجملة خاصّة التي لها محل من الإعراب، ويوضّح الجرجاني هذا بقوله: « وجملة حالها التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقّها العطف»².

وهذه أمثلة توضيحية لكلّ موقع من هذه المواقع:

- العطف على جملة واقعة فاعلاً: نحو قولنا: (تبيّن لهم كم أهلكنا الأعداء وكيف فعلنا بهم) فجملة (كم أهلكنا الأعداء) واقعة فاعلاً للفعل (تبيّن) وقد أشركت الواو الجملة الثانية (كيف فعلنا بهم) في حكم الأولى، وذلك الحكم كونها في محل رفع بأتمّ فاعل للفعل (تبيّن).
- العطف على جملة واقعة مفعولاً: نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة البقرة، الآية، 284)؛ فجملة (سمعنا) محكيّة بالقول في محل نصب مفعول به، وقد أشركت الواو - مرة أخرى هنا - الجملة الثانية (أطعنا) في ذلك الحكم.
- العطف على جملة واقعة مضافاً إليه: نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (سورة الفارعة، الآية 3، 4)؛ فجملة (يكون الناس كالفرش المبتوث) واقعة في محل جرّ مضافاً إلى ظرف الزّمان (يوم) وجاءت الجملة الثانية (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) معطوفة عليها بحرف الواو تابعة لها في الحكم، فكان حقّها العطف.
- العطف على جملة واقعة خبراً: نحو قول الشّاعر العلاء بن حذيفة الغنوي: (بحر الطويل)

1 - الاتساق في القرآن، بن عروس، مفتاح، ص 254.

2 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص 213.

غَرِيبٌ دَعَاهُ الشُّوقُ، واقتَادَهُ الهَوَى كَمَا قِيدَ عَوْدٌ بِالزَّمَامِ أَدِيبٌ¹

فالجملة (دعاه الشُّوق) واقعة في محل رفع خبر المبتدأ (غريب) والجملة (اقتاده الهوى) معطوفة على الجملة السابقة عليها (دعاه الشُّوق) بحرف العطف الواو الذي أشرك الجملتين في نفس الحكم².

تبدو أنّ الرؤية التي ذهب إليها الجرجاني حول عطف الجمل بالواو تأخذنا للكلام عن قوّة تآلف الجمل وتناسج الألفاظ وترابطها بوسائل لغويّة تعمل فيها الأداة دور الرّبط، ويعمل فيها التّحوّل دور التّركيب لتأدية القصد المراد تحقيقه فيقول: «واعلم أنّه إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحد كقولنا هو يقول ويفعل، ويضُرُّ وينفَعُ، ويُسِيءُ ويُحَسِّنُ ويأمرُ وينهَى، ويحلُّ ويعقد... وأشبه ذلك، ازداد معنى الجمع في "الواو" قوّة وظهوراً وكان الأمر حينئذ تصرّيحاً»³.

وبهذا يكون الجرجاني قد وجّه عنايته في قضيّة تحديد استعمال أدوات الرّبط بين الجمل خاصة "الواو" لتكون هذه الأخيرة محلّ ربط بين منطلق الكلام ومرجعيتها، لذلك نلاحظ أنّه أنشأ علاقة وطيدة بين ناطق اللّغة والمنطوق ذاته هذا يرجع إلى نظرة ديوسوسيروتقاطعه مع ما يخصّ ثنائيّة اللّغة والكلام التي تحدث عنها الجرجاني، والتي دارت حولها الدّراسات اللّسانية الوصفية الحديثة التي حملت في رحمها لسانيات النّص أو ما يطلق عليها نحو النّص.

وكما نعلم أنّ التّحوّل التّقليدي لم يدع صغيرة، ولا كبيرة في الجملة إلّا وتناولها سواء من حيث التّصنيف إلى اسمية وفعليّة، وظرفيّة وشرطيّة أو جملة مركّبة أو بسيطة، أو جملة أساسيّة أو أخرى تحويليّة أو تامّة أو ناقصة... وظلّ عاجزاً عن البحث فيما يتخطّى هذه الوحدة من الكلام، فجاء

1 - الأمالي، أبو إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، ج، 1، دار الكتب المصريّة، ص 28.

2 - إعراب الجمل وأشبه الجمل، ينظر: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط، 3، بيروت، 1981م، ص 48.

3 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص 226.

علم قواعد النَّص ليرصد العلاقات المختلفة التي تضمّ الجمل بعضها إلى بعض من روابط زمنية ومكانية، وتركيبية وما يتصل منها بالمضمون خاصة¹.

وهذا مثال آخر أورده فان دايك (جون أعزب فهو إذن غير متزوج) ومثال صاحب الدلائل (مررت برجلٍ خلّقه حسنٌ وخلقهُ قبيحٌ) في الجدول الآتي:

الشرح	الأمثلة	
<p>*نلاحظ في المثال الأول أنّ الصّفتين بأداة وصل "الواو" هذا ما جعلهما يتعلّقان بشيء واحد، وهو الرّجل، إذن في هذه الحالة "الواو" أفادت الاشتراك.</p> <p>*أما "الواو" في المثال الثاني، لم يعد الاشتراك لأننا لا نستطيع الجمع بين صفتين في حديث واحد، أي نجمع القيام والعود في شخص واحد.</p> <p>*نفس الشّأن فيما يخصّ المثال الثالث فمن المؤكّد أنّ حسن العلم لا يلتقي مع الجهل، لذلك ترك العطف في المثالين أو الاتيان به أمر واحد، لعدم ثبوت الاشتراك كما في المثال الأول</p>	<p>1-مررت برجل خلّقه حسنٌ وخلقهُ قبيحٌ.</p> <p>2-زيد قائم وعمرو قاعد.</p> <p>3-العلمحسن والجهل قبيح.</p>	<p>عند العرب (عبدالقاهرالجرجاني)</p>
<p>*المحال إليه في المثال الأوّل هو نفسه "جون"، كما أنّ مفهوم غير متزوج لذلك ارتبطتا الحالتين (أعزب ومتزوج) بالشّخص نفسه "جون".</p> <p>*نجد أنّ دافع العزوبية جعل "جون" يشتري الأسطوانات، فهذا من ناحية المنطقية وارد، وهذا ما يُطلق عليه فان دايك ب: تعالق الواقع التي تشير إليها القضايا المحتملة في الواقع. كما أنّ التّرابط عند فان دايك تتحكّم فيه شروط منها: التّرتيب الزمني للأحداث (وذكرناه في مثال هاليداي وحسن) علاقة السّبب والنتيجة، بمعنى كلّما كان الجزء الأوّل شرطاً كافياً للنتائج كانت الوقائع متعلقة.</p>	<p>1-جون أعزب، فهو غير متزوج</p> <p>2-جون أعزب، إذن فقد اشترى كثيرا من الأسطوانات</p>	<p>عند الغرب (فان دايك) Vac Dyk</p>

الجدول رقم 04: علاقات استعمال أدوات الربط

1 - في نظرية الأدب وعلم النَّص بحوث وقراءات، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1 2010م، ص216.

من خلال الأمثلة يتّضح لنا جليًا أن:

- فان دايك قد استعمل الترابط للإشارة إلى العلاقة الخاصة التي تحكم الجمل في إطارها الدلالي والعام.

- الجرجاني لم يهمل أداة الوصل واستعملها لمعنى "الإشراك" - كما سبق وذكرنا- في الأمثلة للإشارة إلى تلك العلاقة الضرورية التي تتنامى قدرات تواصلها تحت ما تخلفه أداة الوصل من أثر فعّال في تعليق الكلم بعضه ببعض¹.

- إذا تغيّرت الأداة في الجملة وتنقلت عبر عدّة محطات فهذا يجعل الجملة تحت تقلّبات طارئة وهذا ما حدث في أمثلة الجرجاني، فإذا جعلنا معنى الجملتين المؤلّفتين في سياق واحد بفاعلين ظاهرين ولكنهما متباعدان في المضمون، وتحتويان على صفتين أو حالتين مختلفتين تصبح المشاركة التي تفيدها "الواو" في هذه الحالة زائفة، أي الإتيان بها أو عدمه أمر واحد.

- فان دايك تحدّث عن قضيّة التعالق الذي ذكره الجرجاني، ولكنّه أهمل جزءا مهمًا وهو الأداة التي تُعدّ هي الجوهر في قضيّة التعالق عند صاحب الدلائل.

- من حلية البلاغة أيضا معرفة مواطن الفصل، يقول المأمون: «إنّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بالفصل والوصل كانت كالآلئ بلا نظام»²؛ فكانت ثنائيّة الفصل والوصل من أهمّ مباحث علم المعاني التي ساهمت في اتّساق النّص والتحام أجزائه، وبحكم مرونة هذه الثنائية قد تجاوزت حدود الجملة الواحدة، لتصبح من أهم الآليات الإجرائية التي استعانت بها لسانيات النّص.

ولكنّ مبحث الفصل لم تكن له العناية نفسها التي حظي بها مبحث الوصل من طرف الدّارسين والباحثين الغربيين رغم الدور الذي يقوم به اتّساق النّص وترابطه، وربّما لطبيعة علاقته

1 - لسانيات النّص، خطابي، محمد، ص31،32.

2 - الصناعتين، العسكري، أبو هلال، مطبعة محمود علي صبيح، القاهرة، ط، 2، 1960م، ص497.

التي تجعل من التركيبين كالثني الواحد، ولا يجوز عطف الثني على نفسه¹؛ على عكس الوصل الذي الوصل «يعني في بعض ما يعنيه أن لكل من المتعاطفين كيانا قائما بذاته»². وإذا كانت نظرة الغربيين قد حصرت عند تحديد الروابط الشكلية وتوقفت عند الرباط "أو" فإن الجرجاني قد تحطى هذه النظرة إلى ما هو أوسع وأشمل في تحديد العلاقة المعنوية القائمة على غياب تلك الروابط، وقد حصرها في التراكيب التي لها محل والتراكيب التي لا محل لها من الإعراب³.

وذلك يكون في مواضع مردها إلى ما يلي:

1.2.4.1.3.الاتصال إلى الغاية

وذلك يتم بين الجملتين التي تتصل ببعضها اتصالاً كاملاً، ومتحدتين اتحاداً تاماً، فتأتي الجملة الثانية إما مؤكدة للتي قبلها، أو مبنية لها أو بدلاً منها، ويقيس عبد القاهر الاتصال إلى الغاية في هذه الجمل الاتصال في المفردات كاتصال الصفة بالموصوف، واتصال التأكيد بالمؤكد يقول: «واعلم أنه كما كان من الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله، فيستغني بصلة له عن واصل يصله ورباط يربطه وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها. وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبنية لها وكانت إذا حُصّلت لم تكن شيئاً سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد. فإذا قلت: «جاءني زيد الظريف»، و«جاءني القوم كلهم»، لم يكن «الظريف» و «كلهم» غير زيد وغير القوم⁴.

1 - أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، الشاوش، محمد، ج1، ص597.

2 - الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني - دراسة دلالية-، دلخوش، جارالله حسين دزهيبي، دار دجلة، عمان، 1429هـ، 2008م، ص233.

3 - المرجع نفسه، ص223.

4 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص227.

ومن خلال هذا النص يركّز الجرجاني على ظواهر تساهم في اتساق النص وتماسكه هي التأكيد البيان والبدل.

أ- التأكيد

يكون في الجمل التي تتصل بالتي قبلها من ذات نفسها، ولا تعتمد على رابط شكلي ظاهر سطحياً، وإنما تستغني بربط معناها لها عن حرف يربطها وهذا يكون في الجملة المؤكدة للتي قبلها - كما سبق وأشرنا - ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 1)؛ فقوله: «لَا رَيْبَ فِيهِ» بيان وتوكيد وتحقيق لقوله تعالى: «ذَلِكَ الْكِتَابُ»¹. فالتوكيد هنا قد أضفى تلك القوّة في الترابط بين الآيتين لما بين عنصري التوكيد (لا ريب فيه) والمؤكد ذلك الكتاب من «تمام التآلف وكمال الاتحاد»².

وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية 6، 5). فقولته تعالى: (لَا يُؤْمِنُونَ) تأكيد لقوله: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) وقوله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (سورة البقرة، الآية 6، 5).

فقولته تعالى: (لَا يُؤْمِنُونَ) تأكيد لقوله: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) وقوله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ) تأكيد ثانٍ أبلغ من الأوّل، لأنّ من كان حاله إذا أنذر مثل حالة إذا لم ينذر، كان في غاية الجهل، وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة³.

ومن التأكيد أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 177)؛ فقولته تعالى: (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) تأكيد لقوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) وقوله تعالى: (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) تأكيد ثانٍ أبلغ من الأوّل، لأنّ من كان حاله إذا أنذر مثل حالة إذا لم ينذر، كان في غاية الجهل، وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة³.

1 - المصدر السابق، ص 237.

2 - علم المعاني، عتيق، عبد العزيز، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974م، ص 126.

3 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص 228.

(يخادعون الله) جاءت مؤكدة للجملة التي قبلها (آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) لأنّ مخادعة الله ليست شيئاً غير قولهم "آمنا" من غير أن يكونوا مؤمنين¹.

ولما كان معنى الجملة الثانية هو نفس معنى الجملة الأولى، استغنت بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها زيادة في الإثبات والتأكيد.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَبِئْسَ كُفْرًا كَانُوا يَسْمَعُونَ﴾ (سورة لقمان، الآية 7)؛ فالتشبيه الثاني لم يعطف على الأول نحو: (كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) لأنّ المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر، هو بعينه المقصود من التشبيه لمن لم يسمع إلّا الثاني أبلغ وأكد².

ونستشف من ذلك أنّ تأكيد جملة لأخرى يُعدّ تماسكاً في النصّ على الرغم من أنّه لم يعتمد على رابط شكلي، ولكنّ التماسك الذي حدث هنا هو نتاج الربط المعنوي.

والمتمامل لما سبق يجد أنّ التوكيد كان فعّالاً في تحقيق الاستمرارية الدلالية، وحتّى الترابط والتماسك الذي حدث داخل النصّ وذكرناه بوجود العلاقة التي كان التوكيد والصفة وسيلتان لها وقد عرفت هذه العلاقة عند المحدثين المعنوية الرابطة بين الجمل بـ "كمال الاتصال"، وهو نفس المصطلح الذي عرف عند الجرجاني وعبر عنه "بالاتصال للغاية" فالفصل عن طريق التتابع يؤدي إلى قوّة الترابط والتماسك بين أجزاء النصّ.

ب-البيان

قد جاء البيان والتوكيد بنفس المعنى عند الجرجاني: « وهي كلّ جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبيّنة لها»³، وقوله في نفس موضع الآية السابقة: (لا ريب فيه) بيان وتوكيد وتحقيق لقوله: «ذلك الكتاب»، ولكن هذا يطلب منا شرح وتفصيل، وتمييز أيضاً، حيث أنّ التأكيد يقتضي أن تحقّق بالجملة الثانية معنى قد فهم من الجملة الأولى، فتأتي الجملة المؤكدة أكد وأبلغ - كما سبق

1 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص 228، 229.

3 - المصدر نفسه، ص 227.

وأشرنا- في المعنى، أما البيان فيحتم أن تكون الجملة الأولى على شيء من الغموض والإبهام، لتأتي الجملة الثانية لتبيّن غموضها وتوضح إبهامها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (سورة طه، الآية، 117).

فإذا لاحظنا الجملة الأولى (فوسوس إليه الشيطان نجدها غامضة مبهمّة لعدم معرفتنا بما وسوس إليه الشيطان، ولكن لما جاءت الجملة الثانية (قال هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) تبيّن فحوى تلك الوسوسة، وزال الغموض.

نستشفّ من خلال ما طرحنا أنّه صعب التفصيل والتّمييز بين البيان والتّأكيد وذلك لتشابه المواضع التي يحملها كلّ منهما.

وربما هذا ما جعل عبد القاهري تحدّث عنهما ضمن قسم واحد دون فصل أو تمييز ويبقى السرّ في فصل هذه الجمل بعضها عن بعض الاتّحاد التّام بين البيان والمبيّن أو بين التّأكيد والمؤكّد بحيث لا يحتاجان إلى وسيط بينهما.

ج-البدل

الجرجاني لم يذكر هذا النوع من الجمل ضمن الضرب الذي خصّصه في الفصل للاتّصال إلى الغاية، إنّما اكتفى بالإشارة إلى التّأكيد والبيان، وأورد شواهد قرآنية بيّن فيها أن الجمل الثانية تأكيد للأولى واعتبر الجمل المؤكدة أبلغ وأكد في المعنى.

ولكن من أتى بعده من البلاغيين أمثال السّكاكي قد تحدّث عن الإبدال وجعل لإبدال الجملة الثانية من الأولى مناسبات منها:

- مناسبة الجزئية.
- مناسبة الكلية.
- مناسبة الاشتمال.
- مناسبة المطابقة.

حتى أنّ الجرجاني قد أشار إلى شدة خفاء هذا الباب وحده غموضه إلى درجة أنّه أقنع من حوله من الناس بأن حملوه على القطع والاستئناف فقال: « وأعلم أنّ ما من علمٍ من علوم البلاغة أنت تقول فيه: "إنّه خفيّ غامضٌ، ودقيق صعب إلاّ وعلمُ هذا البابِ أغمضُ وأخفى وأدقُّ وأصعبُ، وقد فنعَ النَّاسُ فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد تُرك فيها العطف: (إنّ الكلام قد استؤنف وقُطِعَ عمّا قبله)، لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك ولقد غفلوا غفلةً شديدةً»¹.

4.1.4.2.2.4.1 الانفصال للغاية

يقول عبد القاهر الجرجاني: «ومّا هو أصل في هذا الباب أنّك قد ترى الجملة وحالها التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله، ثمّ تراها قد وجب فيها ترك العطف، لأمر عرّضَ فيها صارت به أجنبيّة عمّا قبلها»²؛ ومن المواضع التي يأتي فيها الانفصال نذكر:

أ- اختلاف صيغة المخاطب

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَفُوا الصَّالِينَ صَفَا لُبُّهُمْ فَآمَنُوا فَأَلْوُاْ أَلْمَانًا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٤١﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية 14، 13).
الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف جملة (الله يستهزئ بهم) على ما قبلها (إنما نحن مستهزؤون) وذلك أنّه ليس بأجنبي منه بل هو نظير ما جاء معطوفا من قوله تعالى: (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)، ثم إن ترك العطف فيه لعارض أوجب وذلك في قوله تعالى: ﴿لِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالِي يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة النساء، الآية، 141).

فالسّياق الذي يكون في الآية حتما ذهن المتلقّي سيفهمه إثر سماعه حكاية اليهود ومعرفة بأحوالهم فتوقظ نفسه للاستفسار عن مصيرهم، وعمّا إذا كانوا يهلكون عاجلا، أو يمهلون ليعاقبوا

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 231.

2 - المصدر نفسه، ص 231، 232.

آجلا¹؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لو افترضنا أن الآية "الله يستهزئ بهم" وردت مورد الفصل فهذا يمكن أن يحدث خللا دلاليًا في تعلق الحكم بالفعل².

وبسبب اختلاف أصل "مصدر القولين إذا صدر التعبير الأول: الله يستهزئ بهم من طرف الله سبحانه والتعبير الثاني: إنما نحن مستهزؤون من طرف اليهود ثم حكى عنهم القرآن، فالوصل يقتضي إدخال مقولة الله سبحانه وتعالى في مقولة اليهود لعنهم الله³.

فالفصل منع هذا الخلل الدلالي، وحقّق للنص دقته الدلالية⁴، هذه الدقة التي ضمنت في تحقيق الاستمرارية الدلالية والتداولية (إثارة حالة المستمعين)، ليمضي الجرجاني في تحليلاته للنصوص الكريمة، ويقف كلّ مرة عند استعمال النص القرآني للفعل "قال" الذي عبّر عنه باسم الحكاية «لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى، معطوفا على ما هو حكاية عنهم لإيجاب ذلك أن يخرج عن كونه خبراً من الله تعالى إلى كونه حكاية عنهم⁵، حيث من شأنه أن يُشرك السامع أو المتلقي في النص وذلك عن طريق إثارة فضوله لمواصلة تطوّر الأحداث. وتأسيساً على ما قاله الجرجاني يضع تعليلاً آخر للفصل عن طريق ما سمّاه بالحكاية فيقول «إنّ الحكاية عنهم بأنهم قالوا: كيت وكيت تحرك السامعين، لأن يعلموا مصير أمرهم وما يُصنع بهم، وأتنزل بهم النّعمة عاجلاً أم تنزل ويمهلون وتوقع في أنفسهم التّمني، لأن يتبيّن لهم ذلك، وإذا كان كذلك كان هذا الكلام الذي هو قوله: «الله يستهزئ بهم» في معنى ما صدر جواباً عن هذا المقدّر وقوعه في أنفس السامعين⁶.

1 - الثنائيات المتغيرة في كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، عبد القاهر - دراسة دلالية - دخلوش، جار الله حسن دزهيبي ص242.

2 - مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، أبو زيد، ناصر حامد، مؤمنون بلا حدود، للتشر، المركز الثقافي العربي، 1990م ص212.

3 - لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص108.

4 - مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، أبو زيد، ناصر حامد، ص112، 113.

5 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص232.

6 - المصدر نفسه، ص236.

وتحليله هذا قاده إلى إيجاد السرّ الذي من خلاله يصحّ الفصل والوصل، أو كما اصطاح عليه الخطابي بمصطلح "صيغة الخطاب"¹.

لعلّ فيما تقدّم من حديث تأكيد على أنّ الجرجاني قد جعل الفرق بين الخبر والحكاية في موضع الفصل في الخطاب القرآني، واتّفاق في الخبر أو الحكاية هي موضع الوصل في الخطاب وقد تجده يعزّز دلالة الفصل في ترابط أجزاء النصّ من خلال تحليله لشواهد من القرآن الكريم أو شعر العرب والتي تحمل تراكيب واقعة عقب سؤال مقدّر، والذي يدعوا إلى "تقدير هذا السؤال هو بناء الخطاب على شكل زوج مكوّن من سؤال مقدّر/جواب ظاهر"².
ولا شكّ أنّ الجواب أشدّ الارتباط والاتّصال بالسؤال³.

ب- اختلاف الجملتين إنشَاءً وخبراً

ومن الانفصال إلى الغاية فصل الكلام عن كلام آخر، وفي هذا تختلف الجملتان إنشَاءً وخبراً أو العكس، في اللفظ والمعنى.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (سورة الفاتحة الآية 4، 5)؛ فالجملة الأولى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) جملة خبرية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) إنشائيّة لفظاً ومعنى، ومن هنا وجب الفصل بينهما، وهذا ما قال به الجرجاني: « لا يعطف الخبر على الاستفهام»⁴.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول اليزيدي: (بحر السريع)

ملّكته حبلي ولكنّه ألقاه من زهدٍ على غاري

1- لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص 108.

2 - المصدر نفسه، ص 109.

3 - علم المعاني، ينظر: عتيق عبد العزيز، ص 127.

4 - الدلائل، الجرجاني، عبد القاهر، ص 33.

وقال إني في الهوى كاذبٌ انتقم الله من الكاذب¹

فقد فصل جملة (انتقم الله من الكاذب) عن سابقتها (وقال إني في الهوى كاذبٌ) لأنّ الجملة الثانية خبرية لفظاً إنشائية معنى لتضمّنها معنى الدّعاء، فدخلت بذلك في الأسلوب الإنشائي وقد جعل عبد القاهر الجرجاني الفصل في هذا البيت من قبيل الاستئناف على معنى جعل الكلام جواباً في التقدير يقول: «استأنف قوله "انتقم الله من الكاذب" لأنّه جعل نفسه كأنه يجب سائلاً قائلاً له: فما تقول فيما اتّهمك به من أنّك كاذب؟ فقال أقول: انتقم الله من الكاذب»²، وهذا يدخل أيضاً فمن وجود الاستفهام المقدّر الذي سيأتي الحديث عنه:

ج- وجود استفهام مقدر (السؤال والجواب)

من مواضع فصل الجمل عن سابقتها وجود سؤال مقدر، والذي يدعو إلى تقديره هو بناء الكلام على هيئة سؤال مقدر، يقدره المتلقي أو جواب ظاهر في سطح الخطاب، ومن لطيف ذلك قول الشاعر: (بحر الكامل)

رَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا وَلَكِنَّ غَمْرِي لَا تَنْحَلِي³

فقد فصلت الجملة الثانية (صدقوا) عن الجملة الأولى (زعم العواذل)، والسرّ في هذا الفصل أنّ الجملة الثانية جاءت مقتضية لسؤال بعد أن أثارت الأولى السامع لأن يسأل فيقول: فما قولك في ذلك؟ وما جوابك؟ فنزلت منزلة التصريح بذلك السؤال وصار الكلام كأنّه قال: "أقول: صدقوا ولكن لا مطمع لهم في فلاح" ولما وضع الشاعر نفسه موضع مسؤول وجعل كلامه كلام مجيب

1- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت ص151. وهما لليزدي أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي. استشهد بهما الأصفهاني في كتابه الأغاني ولكنه تركهما من غير نسبة.

2- دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص239.

3 - شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب التحوّية، محمد حسن شرّاب، المكتبة الشاملة الحديثة، ص302. لم يذكر قائل البيت الشعري.

ترك العطف ولو أنه عطف انتفى ذلك، والجملة المستأنفة قد وقعت جواباً للسؤال من غير سبب كأنه قيل: صدقوا أم لا، ولو أنه عطف وقال: (وصدقوا)، لم يكن كلامه كلاماً مجيباً¹.

وتأكيداً على ما قال به الجرجاني نورد ما جاء في التنزيل على هذا النحو، ما جاء في قصة فرعون عليه اللعنة، وفي ردّ موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَالَ يَزْعَوْنَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ ﴿فَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿فَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ أَنْذَرْتُمْ وَإِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿فَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَالَ لَيْسَ لِتُخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (سورة الشعراء، الآية، 22، 28).

جاء ذلك كله والله أعلم على تقدير السؤال والجواب كالذي جرت به العادة بين المخلوقين². غني عن البيان أنّ النص القرآني جاء متماسكاً، على الرغم من عدم وجود رابط شكلي يظهر في سطح الخطاب، وكان للاستفهام المقدّر الدور الأساس في هذا التماسك، حيث أنّ المتلقي هو من يجده ويتبعه بالجواب، ثم يستمر الأمر كذلك إلى أن ينتهي الحوار.

ولعلنا بهذا نكون قد توصلنا إلى ما جاء به هاليداي ورقية حسن حول حديثهما عن الفصل «...» ويتقاطع مفهوم الوصل مع مفهوم Conjunction في نقطة هامة هي محاولة تحديد ما يربط الجمل في الحدود، ولكنّ مفهوم الوصل يختلف من وجهة أخرى من حيث إنّه علاقة شكلية (Relation formelle) تحصر عادة في العطف ويقابل غياب هذه العلاقة الشكلية علاقة دلالية تعوّض هذا الغياب وهي التي يُجسدها مفهوم الفصل³.

وما يمكن قوله في الأخير أنّ عبد القاهر الجرجاني قد خلّص في كلامه عن الفصل والوصل إلى أنّ الجمل على ثلاثة أضرب⁴:

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 236

2 - المصدر نفسه، ص 240، 241.

3 - الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، بن عروس، مفتاح، ص 185.

4 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 243.

- جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة، لشبهه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه، وهذا ما سعت إليه لسانيات النص حيث جعلت الوصل هو العلاقة التي تتم في الحدود بين الجمل بمستويات عدة.

- وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه، فيكون حقها العطف وهذا إن دل يدل على جعل المستوى النحوي بارز في تماسك النص واتساق أجزائه وتلاحمها.

- وجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه ولا مشاركا له في معنى، ويكون ذكر الذي قبله، وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً وحق هذا ترك العطف البتة.

« فترك العطف يكون : أما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين الحالين »¹.

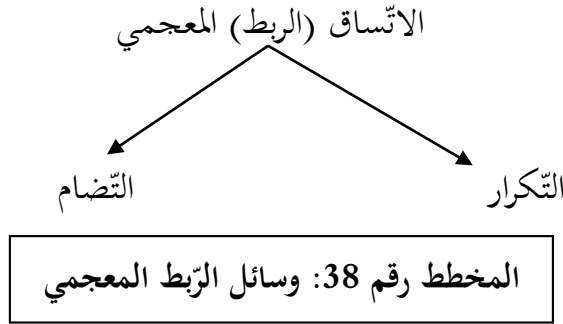
والمُتأمل لما سبق ذكره يجد أنّ عبد القاهر الجرجاني رغم بعد زمنه عن زماننا إلا أنه كان دقيقاً في التحليل والدراسة خاصة فيما يتعلّق بالقرآن الكريم -سورة البقرة- التي يقارب عددها أربعة عشرة آية حلّلها ودقّقها وألح على صور الاعجاز فيها، فكان إلحاحه على المزيّة محور عملية النظم أفرزت هذه الأخيرة مباحث مهمّة بمبادئها وأصولها تلتقي في كثير منها مع ما جاءت به لسانيات النص بالدراسة والتحليل أيضاً من طرف علماء لسانيات النص.

2.5. الاتساق بالوسائل المعجمية (السبك المعجمي)

أدرك القدماء من النحويين والبلاغيين جانبا آخر مهمّا من طبيعة العلاقات الدلالية بين الكلمات في بعض الظواهر الدلالية التي درسوها مثل الترادف والتضاد والمشارك اللفظي وغيرها.

1 المصدر السابق، الصفحة نفسها.

وستنقف على ظاهرتين منهذه الظواهر الدلالية والتي تسهم بدور واضح في اتساق النص وتماسكه على مستويين: المعجم والدلالة من خلال وسيلتين هما: التكرار والتضام¹، يمكن التمثيل لذلك بالمخطط الآتي:



1.2.4. التكرار (التكرير)

التكرار عند الجرجاني من معاني النحو التي تثبت في النظم (الكلم)، والذي يُعطي للجملة فوائد جمالية وأخرى دلالية تسهم في رفع كفاءة التركيب، لتُغطّي أكبر قدر ممكن من المعاني²، وهو من الوسائل التي تجعل أجزاء النص متماسكة، وأسماء القدماء بالتكرير.

إلا أنّ عبد القاهر الجرجاني لم يخصّص له بابا كما فعل مع مختلف الظواهر اللغوية الأخرى وإنما حديثه كان مجرد إشارات في ثنايا الأبواب التي تناولها في كتابه «دلائل الإعجاز»، فنجدده يقول «وجملة الأمر أنّه ليس إعلامك الشّيء بَعْتَةً عُفْلاً، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتّقدمة له لأنّ ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التّأكيد والإحكام»³.

المتمّثل لهذا القول يفهم أنّ الجرجاني كان واعيا بمصطلح التكرار، مصطلحا ومفهوما حتّى وإن لم يطل الحديث فيه لكنّه تناوله بالدرس وأشار إلى فائدته الرّابطية.

1- علم لغة النص، عزة شبل محمد، ص105.

2 - من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف)، مراد حميد عبد الله، مقال منشور بمجلة ذي قار، العدد الخاص مج5، جوان 2010، جامعة البصرة، كلية الآداب -قسم اللغة العربية-، ص53.

3 - دلائل الاعجاز، الجرجاني، ص123.

وقد جعل عبد القاهر للتكرار أنواع منها : تكرر الصّوت أو تكرر الكلمة، أو تكرر الجملة ومثّل لكلّ نوع، فمن أمثلة تكرر الصّوت يذكر: قول البحري(ت 284هـ): (بحر المتقارب)

بَلُونَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لَ "فَتَحِ" ضَرِيبَا
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا تْ عَزَمًا وَشِيكًا وَرَأْيَا صَلِيبَا
تَنْقَلُ فِي خُلُقِي سُؤْدُدٍ : سَمَاحًا مَرْجِي، وَبَأْسًا مَهِيْبَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِحًا، وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَيْبَا¹

علق قائلاً: "إذا رأيتها قد راقتك (الآبيات الشعرية) وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازاً في نفسك، فعد فانظر في السبب واستقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم وأخر وعرف ونكر، وحذف وأضمر، وأعاد، وكّرر... أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها في قوله "كالسيف" ثم تكريره الكاف في قوله «وكالبحر».

أما فيما يخص النوع الثاني من التكرار وهو تكرر الجملة (إن جئته صارحاً) و(إن جئته مستتياً) فهذا قد ربط بالعطف (الفاء) وكّرر الكاف مع حذفه للمبتدأ، لأنّ المعنلا محالة هو كالسيف.

ثم كّرر الكاف في قوله "كالبحر" - سبق وأشرنا لها - جعله سبباً واضحاً لمحاسن النظم فيه فهذا تكرر يختلف في اللفظ لكن يتشابه في المعنى، فكلمتا الجملتان - إن جئته صارحاً - وإن جئته مستتياً - معناهما إن جئته طالبا المساعدة.

وقد يكون التكرار تكرر محضاً ككلمة العواذل في أبيات جندب بن عمار (بحر الكامل):²

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدُبٍ بِجُنُوبِ خَبْتِ عُرَيْتٍ وَأُجْمَتِ
كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخَنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ بَجٍّ وَجُنْتِ³

1 - ديوان البحري، البحري، ص 151.

2 - جندب بن عمار بن نعيم بن شهاب بن أم بن عمرو بن طريف الطائي، ثم اللامي، كان شاعرًا شهد القادسية، وذكره المزياني في معجم الشعراء وقال: إنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم شهد القادسية.

3 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 236.

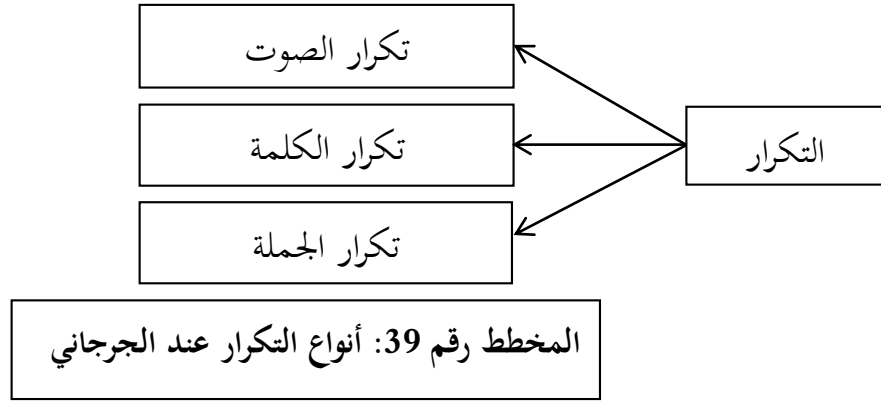
ونجد هذه الأبيات في رواية أخرى وردت هكذا: (بجر الكامل)

رَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدُبٍ بِلَوَى الْقُرَيْبَةِ عُرَيْبَتْ وَأَجَمَّتِ

كَذَبَ الْعَوَاذِلُ لَوْ رَأَيْنَ مَنَاخَنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وَذَلَّتِ

فلو قال القائل كاذب مكان كذب العواذل لكان من النَّاحِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ الخالصة مصيبا غير مخطئ ولكنّه في قوله هذا تعمد أن يكرّر كلمة العواذل فقالوذلك أنّه لما أعاد ذكر العواذل طاهرًا كان ذلك أبين وأقوى.

وهذا ما يأخذنا إلى أنّ عبد القاهر قد تفتّن إلى أهميّة التكرار على أنّه آية من آيات تماسك النصوص واتساقها بالشرح والتحصيل وجعله بيان لإفهام المخاطب.



ويأتي عبد القاهر الجرجاني مرّة أخرى ليؤكد ما قاله من خلال الشواهد التي يضعها ويشرح محتواها ثم يستنتج مبتغاه ومن ذلك قول المتنبي:¹ (بجر الطويل)

بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْثَالَ أَمْ مِنْ أَقْسَمِهِ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالِدَّهْرِ

وهنا بيّن عبد القاهر في تحليل دقيق كيف أنّ هذا الذكر أبلغ بكثير من الإضمار فلو قيل وضيف

عمرو وهو يسهران معاً في قول دعبل: (بجر البسيط)

1 - ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ج3، دار الكتاب العربي، ناشرون، بيروت، لبنان، 1407هـ، 1986، ص64.

أَضْيَافٌ سَالِمٌ فِي خَفْضٍ وَفِي دَعَاةٍ وَفِي شَرَابٍ وَلَحْمٍ غَيْرِ مَمْنُوعٍ
وَضَيْفٌ عَمْرٍ وَعَمْرُو يَسْهَرَانِ مَعًا عَمْرُو لِبَطْنَتِهِ وَالضَّيْفُ لِلْجُوعِ¹

أو: وأهل الدهر دونك، وهو "لعدم حسن ومزينة لإخفاء بأمرهما، ليس لأنّ الشّعر ينكسر، ولكن تنكره النفس"².

ثمّ أورد بعد شرحه هذا وكان لإعادة اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ﴾ (سورة الإسراء، الآية 105).

وقوله تعالى أيضا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (الإخلاص، الآية 1، 2)، عمل لولاها لم يكن وإذا كان هذا ثابتا معلوما وهو تكرار اللفظ فيعمل عمل الافصاح والكشف في العقول. وإذا رجعنا إلى علماء لسانيات النّص، نجد أنّ التكرار قد شكّل دورا مهما على مستوى النّص ومثال ذلك ما ذكره كل من هاليداي ورقية حسن: «اغسلي وانزعي نوى ست تفاحات، للطبخ ضعي التفاحات في صحن يقاوم التّار»، حيث أن تكرار كلمة "التفاحات" ساعد على عمليّة ربط الجملة بتلك التي سبقتها، وقد علّقت على ذلك بالقول: "تكرار كلمة معيّنة، أو استخدام مرادف معين، ينشأ عنه تماسك معجمي Lexical أو صوتي Phonological وكلّ تكرار في الوزن Metre والقافية يعمل على تحقيق التماسك النّصي ويعضده"³.

وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بتكرار مرادف للكلمة فيكون ذلك باستخدام: كلمة عامّة General Word أو ترادف Synonymy أو شبه ترادف Near-Synonymy أو عنصر مطلق Superordinate.⁴

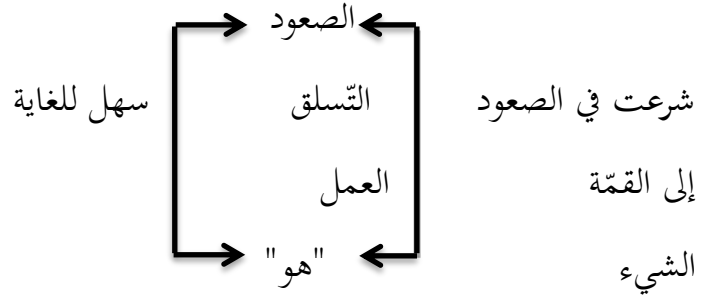
1 - ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمعه وحققه، عبد الصاحب الرحبلي الخزرجي، مطبعة الآداب، النجف، 1382 هـ 1962م، ص170.

2 - دلائل الاعجاز، الجرجاني، ص427.

3 - لسانيات النّص، خطابي، محمد، ص24.

4 - علم اللغة النّصي، النظرية والتطبيق، مصطفى صلاح قطب، ص191.

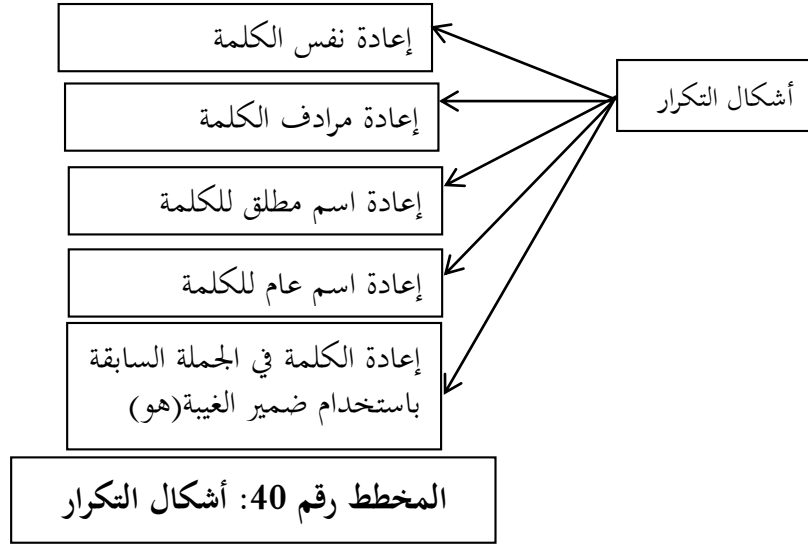
ويمكن توضيح ذلك بالمثال الآتي:



فالتكرار يمكن أن يكون بأشكال مختلفة ففي المثال السابق تمّ ذلك عن طريق :

- إعادة نفس الكلمة في الجملة السابقة (الصعود).
 - إعادة مرادف للكلمة في الجملة السابقة (التسلق).
 - إعادة اسم مطلق للكلمة في الجملة السابقة (العمل).
 - إعادة اسم عام للكلمة في الجملة السابقة (الشيء).
 - إعادة الكلمة في الجملة السابقة باستخدام ضمير الغيبة (هو).
- وفي هذا استطاع صبحي الفقي أن يصيغ تعريفا جامعا لأشكال التكرار وغرضه جاء فيه «ونستطيع أن نذكر تعريفا للتكرار يضمن وظيفته النصية، بالقول بأنّ التكرار : هو إعادة لفظ أو عبارة، أو جملة، أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه، أو بالتّرادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة، أهمّها تحقيق التماسك النصّي بين عناصر النصّ المتباعدة»¹.

1- علم اللغة النصّي، النظرية والتطبيق، مصطفى صلاح قطب، ص20.



ومّا سبق ذكره من تحليل عبد القاهر الجرجاني وما عرضه لسانيات النص نجد أنّ كليهما قد اعتبر التكرار بمستوياته وأنواعه نقطة ارتكاز في اتساق النص، حيث أنّ النصّين درسوه باعتباره أداة لتحقيق التماسك الشكلي والدلالي بين أجزاء النص، وعاملاً من عوامل استمراريته وامتداده عن طريق إعادة عنصر ما من بداية النص إلى نهايته.

في حين علماء اللغة القدماء تناولوه في سياق بلاغي عام، وهذا ما جسّدته إشارات عبد القاهر الجرجاني، حيث اقتصر على ذكر فوائده ووظائفه التي تأتي لأغراض مختلفة هدفها وضوح الدلالة وإيصال المعنى للمتلقّي، وهي تخدّم غرض الدراسات النصّية بصفة غير مباشرة.

والجدول التالي يوضّح فيه جميل عبد المجيد العلاقة بين أنماط التكرار في البلاغة العربية وما يعادلها من أنماط في اللسانيات النصّية¹.

1- المعايير النصّية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، يسرى نوفل، ص 101.

الكلمات العامة	الاسم الشامل	التّرادف وشبه التّرادف	تكرار العنصر نفسه	
			تكرار محض	تكرار جزئي
	التكرار المعنوي (أحيانا)	تكرار المعنودون اللفظ (التكرار المعنوي) (أحيانا)	1- تكرار اللفظ والمعنى معا 2- ردّ العجز على الصدر (أحيانا)	1- الاشتقاق 2- ردّ العجز على الصدر (أحيانا)

الجدول رقم 05: أنماط التكرار في البلاغة العربية وما يعادلها في اللسانيات النصية

على الرّغم من أنّنا لم نذكر كلّ البلاغيين الذين اهتموا بظاهرة التّكرار لأنّ بحثنا ينصب في تجسيد التّكرار عند عبد القاهر الجرجاني كآلية من آليات الاتّساق في ضوء لسانيات النّص إلّا أنّه يعتبر عند جلّ البلاغيين المتقدّمين ظاهرة تساهم في تلاحم أجزاء النّص، كما يسهم أيضا في تجسيد الاستمرارية في تتبع النّص - كما سبق وأشرنا - من خلال التّركيز والإصرار على إعادة الفكرة ذاتها في الفقرة نفسها أو فقرة أخرى من العمل فتشكل بناءً على هذا ما يُعرف بالوحدة العضوية.

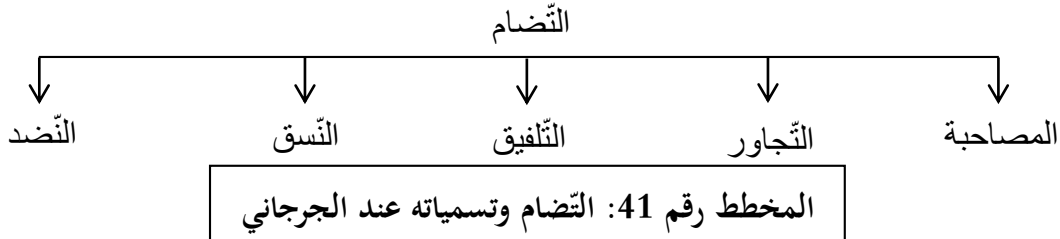
2.2.4. المصاحبة المعجمية (التضام)

إنّ مسألة اتّساق النّص وتماسكه لا تقتصر فقط على مبحث الفصل والوصل أو مبحث الحذف والاستبدال، وإنّما تحذو إلى مباحث أخرى تساعد هي أيضا في سبك هذا النّص سواء كان نصا قرآنيا، أو النّص بمفهومه الحديث عند علماء النّص.

إذ نرى أنّ عبد القاهر الجرجاني قد أورد مبدأ آخر من مبادئ النّصية وأطلق عليه مصطلح المصاحبة المعجمية والتّجاور، والتّلفيق، والتّسق والتّضاد¹؛ وكلّها تشترك في مصطلح واحد وهو "التّضام" الذي يُعتبر عنصر من عناصر ربط واتّساق وتماسك النّص وانسجامه ولئن كان السّبك يرتبط بالبنية السّطحية، كان التّضام يكوّن أجزاء هذه البنية ويجعل من الألفاظ تتشابك وتترابط مع بعضها البعض ليس بحروف العطف فقط ولكن من خلال البنية المعجمية، بمعنى أن نجتمع في

1 - دلائل الاعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 252.

النص ألفاظاً متنسقة متناسبة صلبة مع بعضها البعض، وهذا يؤدي إلى الإحكام والحبس والشدة والسبك في الألفاظ.



وفي هذا السياق نجد عبد القاهر الجرجاني يقول: «الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدداً كيف جاء وافق وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بُني وفيه أفرغ المعنى وأجرى وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاده وكذلك نجد أنّ من المصطلحات البلاغية التي تعني التضام بين الكلمات والجمل مادة لفق في نحو هذا النص، وأنّ الأولى لم تلق الثانية في معناها وأنّ السابقة لم تصلح أن تكون لفيقا للثانية في مؤداها»¹.

فجعل الجرجاني معنى لفق من خلال قولك: لفتت الثوب ألق لفقاً بمعنى أن تضمّ شقه إلى أخرى فتخيطها، ولفق الشقين ضم إحداهما إلى الأخرى فحاطهما... وكلاهما لفقان ما دما مضمومتين²؛ فالمتأمل للمعاني اللغوية التي تحملها هذه المادة، واستعمال الجرجاني لها في جانب البلاغة يدلّ على أن معنى لفق -مرادف- إن جاز ذلك لمعنى التضام والجمع والنظم والتأليف. ونجد أنّ الجرجاني قد أورد مصطلح التضام عندما ذكر أنّ الكلمة لا تكون ذات فائدة إلاّ بضمّ كلمة إلى أخرى، ورضّ لفظة بجوار لفظة³؛ كما جعل الجرجاني الضمّ بمعنى المجاورة والتأليف

1- المصدر نفسه، ص 51.

2 - لسان العرب، ابن منظور، ص 397.

3 - لسانيات النصّ النظرية والتطبيق، مقامات الهمداني أمودجا، قياس، ليندة، الناشر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط، 1، 2009م، ص 59.

والرّصف عندما علّق على أبيات شاعر¹: (بحر الطويل)

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنِيِّ كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشُدَّتْ عَلَيَّ حُدُبُ الْمَهَارِيِّ رِحَالُنَا وَلَا يَعْلَمُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمِطِيِّ الْأَبَاطِحُ

ويعلّق على هذا بقوله: «حَتَّى إِنَّ فَضْلَ تِلْكَ الْحَسَنَةِ يَبْقَى لَتِلْكَ اللَّفْظَةِ لَوْ ذُكِرَتْ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَ أزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه، وتأليفه وترصيفه، وحتّ تكون في ذلك كالجوهرة التي هي وإن ازدادت حسناً بمصاحبة أخواتها، واكتست رونقا بمضامّة أترابها فإنّ إذا جُلِيَتْ للعين فَرْدَةً، وتزكت في الخيط فِدَّةً، لم تعدم الفضيلة الذاتية والبهجة التي في ذاتها مطوية والشّدرة من الذهب تراها بضخبة الجواهر لها في القلادة واكتنافها لها في عنق العادة ووصلتها بريق جمرتها، والتهاب جواهرها بأنوار تلك الدرر التي تجاورها، ولألاء اللآلئ التي تُناظرها، تزداد جمالاً في العين ولطف موقع من حقيقة الزّين...، وازدياد الحسن منها بأن يجامع شكلها منها شكلاً وأن يصل الذّكر بين متدانيات في ولادة العقول إيّاها ومتجاورات في تنزيل الأفهام لها»².

فالتّضام حسب الجرجاني يزيد الألفاظ رونقا وحسنا وبهاء، حتّى إنّ شبه الألفاظ المتضامّة مع مثيلاتها كالشّدرة من الذهب التي تكون مجاورة للجواهر في القلادة فتبهر العين بجمالها. ومن أمثلة الجرجاني قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَضْوَائِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْجَارِهَا أَثْنَا وَمَتَلَعًا إِلَى حَيْثُ﴾ (سورة النحل، الآية 80)، تأمل ما أحدثه النّظم القرآني من تماسك عندما وردت كلمات معجمية ذات دلالات متناسبة "الصوف، والوبر، والشعر"، ولكن لو كانت الألفاظ الواردة لا علاقة لها بهذه الأمور ولم توضع موضعها المناسب، فلا يكون الاتساق النّصي وارد، ولهذا عاب الجرجاني أيضا الشاعر في البيت الذي ذكر سابقا، في قوله: (بحر الكامل)

1 - ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه، إحسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1391هـ، 1971م ص، 525، وينظر المعجم المفصّل في شواهد العربية إميل بديع يعقوب، ج2، دارالكتب العلميّة، بيروت، 1417هـ، 1996م ط، 1، ص97.

2- المرجع السابق، ص18.

لا والذي عالمٌ أنَّ النَّوى صَبْرٌ وأنَّ أبا الحُسَيْنِ كَرِيمٌ

فانظر ما العلاقة بين كرم أبي الحسين بالنوى، وما علاقة هذا بذلك، ومثال آخر يمكن الاستشهاد به، خرجت من البيت، البرتقال فاكهة شتوية، ما علاقة البرتقال كفاكهة شتوية بالخروج من المنزل فكان من المستحسن أن يأتي بـ: خرجت من البيت، كان الجو ممطر، لكنّه أتى بكلمة لا علاقة لها بالمقدمة.

وهذا ما يسميه هاليداي ورقية حسن انتماء الوحدات المعجمية إلى حقول دلالية أو فضاءات دلالية مشتركة فتكون بهذا ذات طابع تألفي، يأخذنا إلى ما يُسمى بالتلازم. حيث جعلنا كلمة التلازم تعني حرفيا وجود توجه بعض الكلمات نحو التجاور مع كلمات أخرى في النصوص، وهذا مثل ما جاء في (الصوف، الوبر، والشعر سابقا) ويتم ترابط هذه الوحدات بعلاقات دلالية مختلفة¹، أشار إليها الباحثان وهي:

-التضاد: Deserted (فارغ)، Crouded (ممتلئ)، Dry (جاف)، Wet (مبلل).

-التكامل: Sit down (اجلس)، Stand up (قم)، Girl (بنت)، Boy (ولد).

-العلاقات الاتفاقيّة: Obey (طاعة)، Order (أمر)، Sell (بييع)، Buy (يشترى).

-الانتماء إلى المجموعة نفسها: Saturday (السبت)، Thursday (الخميس)، Tuesday (الثلاثاء)
North (الشمال)، South (الجنوب).

-الانتماء إلى نفس القسم (الأدوات مثلا): Table (طاولة)، Chair (كرسي).

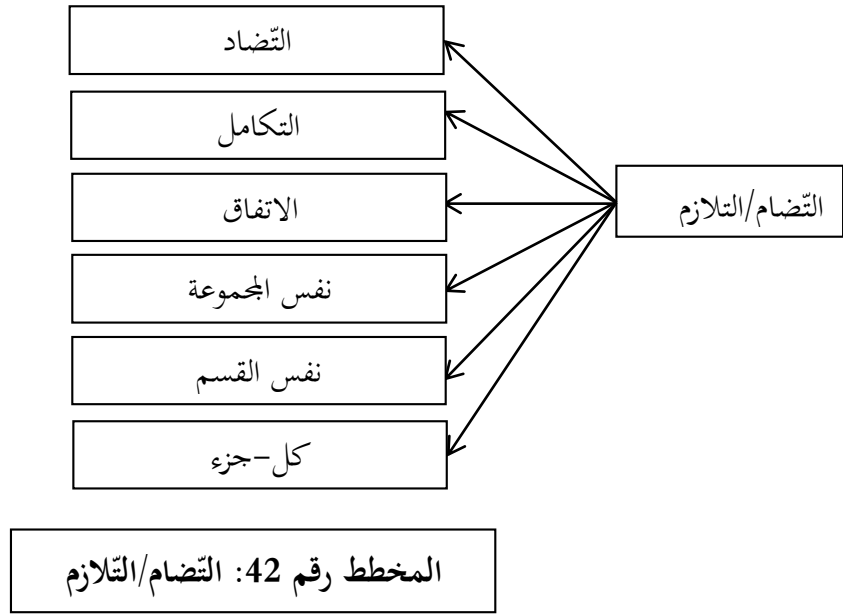
-العلاقة كل - جزء: Break (مكبح)، Car (سيارة)، Nose (أنف)، Chin (ذقن)، Mouth (فم).

التلازم مؤسس فقط على علاقات معجمية. ولذلك يمكن أن نتحقق: بين فعل واسم أو بين

فعلين أو بين اسمين²، وهذا المخطط يبيّن ما سبق ذكره:

1- الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، بن عروس، مفتاح، ص264.

2 - البعد النصي التداولي في النصوص الأدبية في مرحلة التعليم الثانوي (مقرر السنة الثالثة ثانوي آداب وفلسفة -أنموذجا- براهيم براهيم، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، تخصص: تعليمية اللغة العربية، قسم علوم اللسان، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، 2019م، 2020م، ص69.



ولم يربط هاليداي ورقية حسن مسألة الاتساق هنا بالطبيعة الدّقيقة الّتي تربط العلاقات بين هذه الوحدات، لكن بمسألة انتماء هذه الوحدات المعجميّة إلى الفضاء الخطابي نفسه، لتكون هذه المجاورة بين الوحدات أو الكلمات مجاورة يفرضها السّياق اللّغوي وهي ما يمكن تسميته بالنّظام أو توارد العناصر المعجميّة أو استلزام الكلمات بعضها لبعض، لأنّ اللّغة ليس لها أهميّة إلّا في سياقها الموقفى¹.

ولأنّ معنى الكلمة في حدّ ذاته هو مجمل السّياقات الّتي يمكن أن تنتمي إليها وإن رجعنا إلى تراثنا البلاغي نجد أنّ ما تحدّث عنه علماء لسانيات النّص كان علماء البلاغة على وعي بلاغي بقيمته؛ فالسّياق والنّظام واللّغة كلّها كانت شعاراً يهتف له القدماء ب: لكلّ مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبها مقام².

وفي هذا عبّر الجرجاني عن ما أتى به المحدثين أو القدماء حول قضيّة المقام والمقال أو السّياق وخاصّة أنّ كلّ هذا يتعلّق بالكلام وموضعه وتعلق الكلمة بجاراتها، فكان للتّضام موضع آخر عنده حيث ربطه بالتّعليق، لما له من الدّور الفعّال في عمليّة تركيب الكلمات وتضامها

1 - المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، العبد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1426هـ، 2006م، ص31.

2 - اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان، ص18.

شكليًا أو دلاليًا فيقول: « ومعلوم أنّ النّظم ليس سوى تعليق بعض الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض والكلم ثلاث: اسم، وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما»¹.

فالتّركيب والسيّاق يتّفقان جنبًا إلى جنب في منح الكلمات جمالا، ولو كانت الكلمة بمفردها موضع التّمايز لما حسنت كلمة (الأخدع) في بيت الحماسة والبُحترى، ونُقلت في بيت أبي تمام بل إن كان يجب إمّا أن تحسن دوماً وإمّا أن تثقل دوماً فلولا هذه العلائق التّركيبية لفقدت الكلمات نظام الارتباط فيما بينها فهي أساس التّرتيب بين ما قُدّم منها وما أخر².

فكلمة الأخدع هذه في بيت الحماسة: (بحر الطويل)

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعًا³

ومّا سبق ذكره حول قضية السيّاق واختلاف الباحثين فيها لكنّ الأهم أنّ فكرهم واحد في أنّ يجعلوا من المفردات التي ترد في نفس السيّاق دور أساسي من حيث دلالتها وجمالها بخلاف ما تراه إذا كانت كلمات مفردة وألفاظ مجردة، فالسيّاق ذاته يسمح بهذا التّضام الذي يضيف على الكلام اتّساقا ولم لا روعة وجمالا، والتّضام نفسه يسمح كذلك بالكلام في سياق مستمر وفقا لمقتضى الحال دون إهماله لجانب الدّلالة.

وكلّ هذا يدّعم ما ذكره هاليداي ورقية حسن في قضية التّلازم والتي تهدف إلى تدعيم تماسك النّص واتّساقه.

وحَتَّى وإنّ كان عبد القاهر لم يفرد بابا لمصطلح التّضام، كما فعل مع المباحث اللّغوية الأخرى والتي عُنت بدراسته النّحوية والبلاغية إلاّ أنه قد أشار إليه في ثنايا هذه الأبواب التي

1 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص4.

2 - مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرماني إلى عبد القاهر الجرجاني، عبد الله بن عيد الرّحمان بانقيب، مخطوطة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1429هـ، 2008، ص471.

3 - شرح ديوان الحماسة، الليث : جانب العنق، الأخدع: عرق في العنق، وهما اثنان نحو يمين وشمال والبيت للوصمة بن عبد الله القشيري من قصيدته الشهيرة، ينظر: أحمد بن محمد المرزوقي، تح: أحمد أمين عبد السلام هارون، ج2، دار الجبل، بيروت 1411هـ، 1991م، ص1218.

تناولها في "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" خاصة عند حديثه عن أنّ «الكلمة لا تكون ذات فائدة إلا بضمّ كلمة إلى كلمة ورضّ لفظة بجوار لفظة»¹، وقوله أيضا: «وهل يقع في وهم، وإن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التّأليف، والنّظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو تكون حروف هذه أخفّ وامتزاجها أحسن ومّا يكد اللسان أبعد؟... وهل تجد أحدا يقول: (هذه اللفظة فصيحة)، إلا وهو يعتبر مكانها من النّظم وحسن ملائمة معناها لمعنى جارئاتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا (لفظة متمكّنة ومقبولة) وفي خلافه (قلقة ونائية ومستكرهة) إلا وغرضهم أن يعبروا بالتّمكن عن حسن الاتّفاق بين هذه وتلك من جهة معناها وبالقلق والتّبؤ عن سوء التّلاؤم، وأنّ الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأنّ السابقة لم تصلح أن تكون لفظًا للتّالية في مؤدّاهما؟»².

إنّ السّمة الجوهرية في نص عبد القاهر الجرجاني أن جعل الموقع والتّجاور أمر مهمّ في الاتّساق المعجمي من خلال جعله للوحدات المعجميّة المتضامة أمر لاحق لنشأة النّص ونتاج عنه، ومن الصّحيح أن يقال اتّساق النّص يحتاج إليها فإنّها كذلك محتاجة إلى النّص ليتحدّد معناها السياقي النّصي فيه³.

فللموقع - كما سبق وأشرنا - دور في الحكم على هذه الألفاظ أو الوحدات بالقبول أو الاستكراه حتّى وإن كانت متجاورة، وهذا قد عالجته في كثير من نصوصه بين دفتي كتابه خاصة ما تعلّق منها بالتّقديم والتّأخير.

وليس الهدف من هذا التّحليل التّسوية بين ما أتى به عبد القاهر الجرجاني و"علم النّص" ولكن أن نبرز الجوانب التي تحمل الكثير من المفاهيم الحديثة في هذا الموضوع سبق إليها المتقدّمون فإن تناولها يُعدّ بمثابة الأضواء الحديثة على المادة القديمة، وهذا يحتم علينا ذكر ما قاله هايد ولف (Heidolph) (1960م) حول مسألة التّضام، حيث يذهب في كلامه إلى الحديث على

1 - لسانيات النّص، النّظرية والتّطبيق، مقامات الهمداني، أمّودجا، قياس، ليندة، ص 59.

2 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، ص 44، 45.

3 - أصول تحليل الخطاب، الشاوش، محمد، ص 143.

ترتيب الوحدات الأساسية في الجملة، أو مجموعة من الجمل ترتيباً يقوم على الإفادة من التناسق الصوتي المرتكز على التنعيم والتبر، وقد وجدت مثل هذه الأفكار صداها في أعمال إيزنبرغ Eisenberg (1968م) الذي اعتنى بالبحث عن العوامل المتحكّمة في اختيار صاحب النص ومن أبرز هاتيك العوامل - في نظره - المجاورة والمجاورة تضمّ مجموعة الأدوات التي تضمّ علاقات الجمل بعضها ببعض وهذا إن دلّ يدل على معنى التضام حتى ولم يصرّح به كالضمائر وحروف التعريف، وحروف التنكير والتعميم بعد التخصيص، والافتتان بعلائق سببية أو غائية أو أي علاقة أخرى¹.

ولعلّ ما قصده الباحثان نفسه ما قصد البلاغيون ونقاد الأدب حيث جعلوا الاتساق أو السبك ظاهرة لا تقل شأنًا في إحكام صياغة الجمل وتضام مكوناتها، والآليات التي يستعملها من أجل ذلك.

وفي هذا السياق نوّكّد ما قاله هاليداي ورقية حسن عن أنّ التضام مصطلح تغطية للاتساق الذي ينتج عن توارد العناصر المعجمية التي يربط أحدهما بالآخر نحو ما تقدّمه هذه الأزواج² (الولد البنت، الطبيب، السيارة، الاسعاف، الطائرة، الرجل، الشارب، والقوس الرمح)، وكما يعلم الباحثون أنّ كلمة "النص" في اللغات الأوروبية تعني « نسيجاً من العلاقات اللغوية المركبة التي تتجاوز الجملة بالمعنى التحويلي للإفادة... وهو سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلامات تنتج معنى كلي يحمل رسالة»³.

وهكذا يتبين لنا ممّا سبق أنّ النصّ منتوج مترابط متماسك تحكّمه علاقات نحوية وتراكيب دلالية، ووسائل لغوية تجعل منه نصّاً متسقاً منسجماً هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنّ

1 - في اللسانيات ونحو النصّ، إبراهيم محمود خليل، ص 187.

2 - لسانيات النصّ، مدخل الى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص 237.

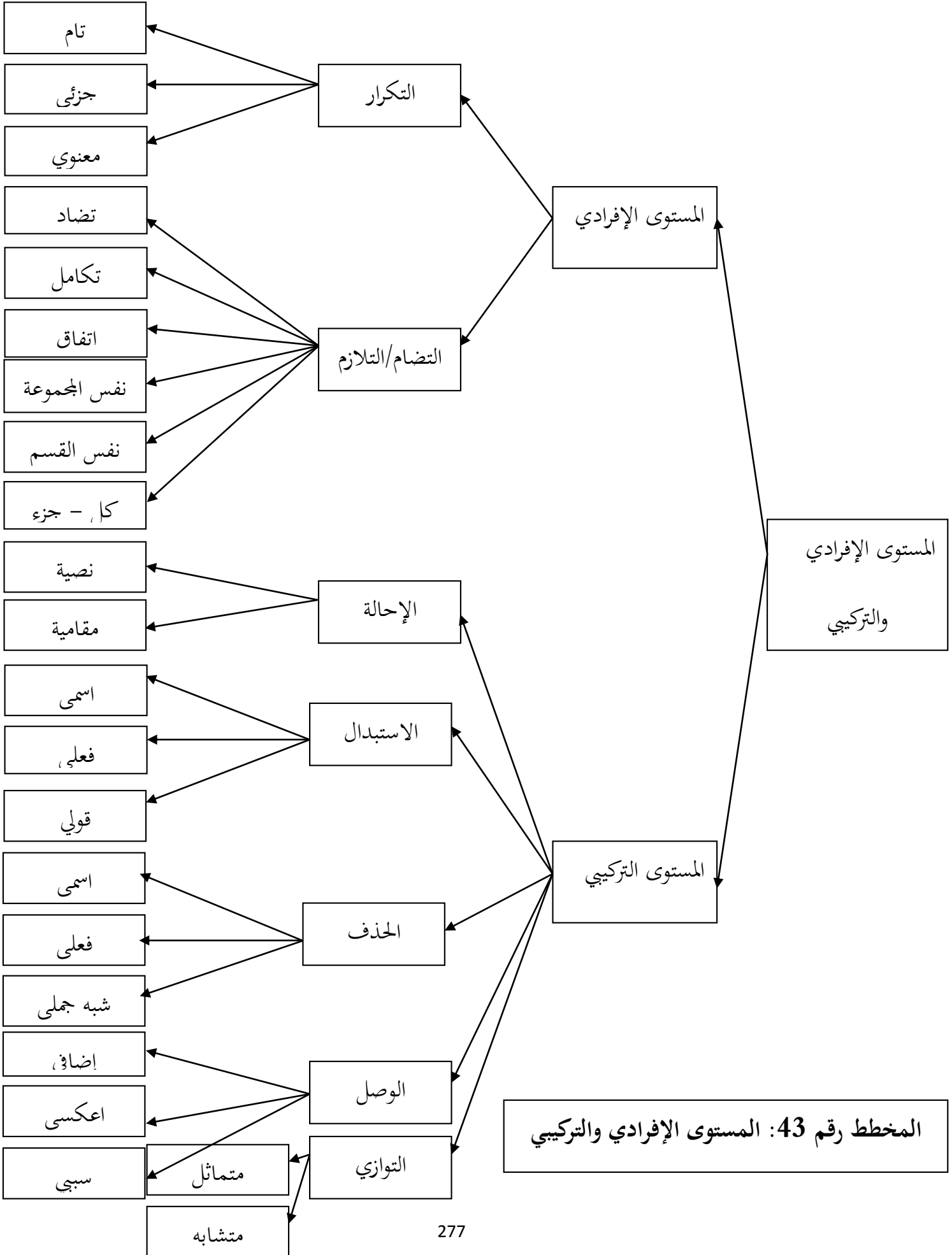
3 - النصّ والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط 5، 2006م، ص 160.

النص باصطلاح عبد القاهر الجرجاني هو (النظم) أو التّضام، وإنّ بناء النص وإنتاجه لا يكون إلا بقوانين وآليات خاصة، وهي قوانين النحو وأصوله¹.

وبهذا القدر نكون قد تتبعنا قضية التّضام في أصولها النظرية المتعلقة بالموروث العربي والوصول بها إلى الدرس اللساني الحديث حيث أنشرف الكلام ما كان متضاماً ومركباً تركيباً حسناً، وذلك في إطار العلاقات اللغوية الجامعة بين تلك الألفاظ.

نستشف مما تمّ تحليله أنّ قضية اتّساق النصّ وتماسكه تُعدّ من أهمّ القضايا التي شغلت الأذهان قديماً وحديثاً خاصّة بما مثّل له عبد القاهر لجعل هذا النصّ متلاحماً ومتربطاً ومتسقاً حيث اشترط مجموعة من العناصر، تضمن له تماسكه وانسجامه فأطال حديثه عن الفصل والوصل والتّقديم والتأخير وحروف العطف والفروق الدلالية بينهما، والحذف والاسناد والحال والخبر وغيرها.

1 - النصّ بين النحويين والقدماء والدراسات اللسانية الحديثة النّصية، شيماء رشيد، مجمع اللغات العربية على الشبكة العالمية تاريخ الدخول، 10 جويلية 2021م، ص25.



ومن خلال ما قُدم نجد أنّ معظم الدراسات أثبتت بأنّ البلاغة العربية وخاصة ما عرضه الجرجاني تلتقي في مفاهيمها ومضامينها مع ما وصلت إليه لسانيات النّص وقد أسفرت هذه الدّراسة على النّتائج التّالية:

- تنوعت آليات الاتّساق النّصي عند عبد القاهر الجرجاني إلى مستوى فاق به عناصر التّماسك النّصي عند المحدثين إلّا أنّه لم ينص عليها صراحة، ولكن كانت إشارات تدلّ على أن ورود مصطلح التّماسك (الاتّساق النّصي) معرفة كان سابقا على وروده علمًا.
- الحذف له أهميّة بالغة في اتّساق النّص وتماسكه وتركه مع وجود الدّلائل يُخلّ بالتّرابط والتّماسك بين أجزاء الكلام، وهذا ما يبين وجه التّشابه ولسانيات النّص.
- الإحالة عمل يقوم به كلّ من المتكلم/الكاتب يقوم على علاقة قائمة بين الأسماء وما تشير إليه في العالم الخارجي (السياق/المقام) مع وجوب تطابق الخصائص الدّلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، ويكون قصد المتكلم/الكاتب هو المعيار الأساس في عملية الإحالة.
- توجد إشارات واضحة من قبل عبد القاهر الجرجاني تتحدّث عن الإحالة الدّاخلية والخارجية والتي لها علاقة بما يتحدّث عنه النّصيون، فالمتكلم/المرسل والمتلقي/المرسل إليه، وسياق المقام كلّها عمليات تساعد على اتّساق النّص وترابطه.
- استعمال الإحالة وأنواعها من أجل تجنّب التّكرار حتّى لا يمجّه السّمع، وليكتسب الكلام حلاوة ممّا يجعل المتلقي مُقبلا عليه متفاعلا معه.
- لقد لقيت الضّمائر اهتماما كبيرا من قبل البلاغيين، وأتّضح ذلك من خلال عنايتهم بالإحالة عند حديثهم عن المواضع التي يعود فيها الضمير إلى ما سبقه وإلى ما يرد بعده وهذا ما نادى به كل من هاليداي ورقية حسن في كتابهما **Cohesion in English**
- الاستبدال يخلّف عن الإحالة وله أثر كبير في إبراز اتّساق النّص وتماسك أجزائه وقد يطلق عليه أيضا النّحو العربي بالتّكرار.

- الاستبدال عملية معجمية نحوية اتساقية تتم داخل النص، على عكس الإحالة فهي عملية دلالية، ولكن كلاهما يساهمان في تماسك النص.
- ظاهرة الفصل والوصل أو كما يطلق عليها الثنائية كانت أهم مباحث الجرجاني دراسة وتحليل حيث تشهد هذه الظاهرة على التكامُل والانسجام بين النحو والبلاغة وبين ما قدمه هؤلاء وما جاء به علماء لسانيات النص.
- عبد القاهر الجرجاني هو من بين علماء البلاغة القدماء الذين بحثوا في الآليات والوسائل التي تجعل النص مترابطا لا يتجزأ، والأسباب التي تمنحه التجانس والاتساق والتضام وحتى وإن لم يتحدث عن التضام ولم يجعل له باب كبقية الآليات إلا أنه أشار إليه من خلال نصوصه وجعله آلية مهمّة هي الأخرى في اتساق النص.
- التعليق هو ربط الكلم بعضه ببعض ممتثلا في تعلق اسم باسم أو اسم بفعل بعلاقات إسنادية وروابط أو أحرف التي تتعلق بهذا الاسم، ويحصر عادة في علاقتي الفصل والوصل، ذلك أنّ الوصل بمعنى العطف بين المفردات والجمل، ويكون بحروف العطف (الواو، الفاء، ثم، حتى) التي تفيد الإشارك الثاني في حكم إعراب الأوّل وإشراكه لمطلق الجمع، وحروف أخرى (لكن بل وغيرها...) التي لها معان خاصة كالترتيب والتعقيب والاستدراك؛ والفصل ترك العطف لشدة الالتحام بين المفردات في الجمل وبين العبارات فهي تفيد الرّبط بعلاقات نحوية دلالية.
- على الرّغم من أنّ أدوات الرّبط اعتمدت على التّخصّص والدّقة والعمق بإدخال أبعاد وظيفية ولسانية نصية وإجرائية، وألزمها قضايا السياق والاستعمال في عالم بناء النص وفهمه وتأويله فاتّخذت أبعادا تداولية، إلا أنّ مفاهيمها وأفكارها لم تكن حكرا على الغرب فقط، وإمّا تجد لها متقابلا واضحا عند علماء البلاغة العرب المتقدّمين وعلى رأسهم الجرجاني، عبد القاهر وهذا ما توصلنا إليه من خلال قضايا بين نظرية النظم واللّسانيات النصية.
- الجرجاني لم يُعنَ بالحديث عن جرس الحروف ودلالاتها وقيمتها التّنغمية والتّعبيرية وهي ما تعرف في اللّسانيات الحديثة ب: البلاغة الصّوتية.

- الجرجاني اعتنى بعلاقة الكلمة وارتباطها مع أخواتها من ناحية واتساقها، وحسن ملاءمتها من ناحية أخرى.
- الفصاحة عند الجرجاني نقطة ارتكاز حول مفهوم "التماسك النصي" أي الاتساق.
- تحدث الفصاحة عنده أيضا بعد التركيب أي الألفاظ من حيث هي حروف و أصوات لا تفاضل بينها حتى يعلق بعضها ببعض.
- معاني النحو عند الجرجاني عند الجرجاني كفكرة ومصطلحا يقتربان من فكرة نحو النص، حيث جعل التماسك والترابط بين الكلام شغل حيزا كبيرا من فكرته، وكان للنحو عنده أهمية كبيرة باعتباره المعول الرئيس في قضية التماسك النصي.
- النحو وسيلة من وسائل التماسك، فكان الجرجاني في تحليله لا يهتم بتحليل الأجزاء منفردة في النص ولا يجعلها هدفا في ذاتها، فيصل بتحليله هذا إلى وصف العلاقات الداخلية للنص والكشف عن أوجه التماسك والترابط، وهذا للوصول إلى النص.
- فكرة الاتساق وبعض المصطلحات تعدّ نقطة التقاء بين نظرية النظم وعلم النص وهذه المصطلحات هي: النظم، التعلق، الفصاحة، معاني النحو (نحو النص)، التسيح والصياغة.
- الجرجاني أطل في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للنص وكشف عن أوجه التفاعل والترابط بين أجزائه، وهو بذلك يتفق مع هدف اللسانيات النصية في العصر الحديث.
- الجرجاني يؤكد على معنى النسج والإحكام والصياغة والتجوير والتعلق، والضم والتأليف ومعرفة الوجوه والفروق بين الكلم.
- النظم عنده لا يقتصر على الترابط الشكلي بين الألفاظ يمتد ليشمل التماسك الدلالي بين معاني تلك الألفاظ فيكون بهذا يتحدث عن الاتساق.
- النظم عند عبد القاهر يعدّ نظيرا للنسج، والتأليف والصياغة والتجوير والبناء والوشي، وغير ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض وهو بذلك يتلاقى معلا أشهر النصيين الذين

يرون النص نسيج من الكلمات يترابط بعضه ببعض، كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلي متماسك.

- التماسك الدلالي جعل منه ترابط دلالات الألفاظ وتفاعل داخليًا بحيث يسلم بعضها إلى بعض ويجعل بعضها بسبب بعض فتصبح متسقة منسجمة.
- قامت اللغة عند الجرجاني على صورتين: اللفظ والمعنى:



المخطط رقم 44: صورة اللفظ والمعنى

- وبهذا يكون هناك تعلق الصورة الأولى بالصورة الثانية على النحو التالي:



- صورة اللفظ تتم بها عمليات التحويل كالتقديم والتأخير (الذكر، الحذف، التعريف، التنكير الاظهار، الاضمار، الفصل والوصل).

- على عكس صورة المعنى فالبنية العميقة مسؤولة عن توليد الجمل بعضها من بعض وهو ما يطلق عليها الجرجاني بالفكر أو العقل، فالتقى بهذا مع تشو مسكي حول أن اللغة عملية مخزنة في ذهن المتكلمين.

- النسخ، الصياغة، التحبير، الوشي، البناء، التفويف، النقش، عبارات ترددت عند عبد القاهر في حديثه عن النظم والتأليف والضم، وكلها مصطلحات تحمل دلالات مهمة في الدراسة النصية وهذا ما أتى به المحدثين فجعلوا النص هو نسيج من الكلمات فالنص يُشبه النسيج.

- الحذف من أهم عناصر الاتساق عند المحدثين، والجرجاني نبّه له ولمواضعه والأسرار الكامنة وراءه: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر....".
 - عناصر الاتساق عند المحدثين أمثال فان دايك ورقية حسن، وهاليداي، هي ما أطلق عليها الجرجاني أدوات الربط: الربط بأدوات العطف (الوصل وهو عطف بعض الجمل على بعض والفصل ترك ذلك العطف)، الحذف، الشرط، الضمير، التعريف، التقديم و التأخير، التكرار.
 - عبد القاهر يرفض مسلك سابقه؛ إذ لا قيمة لوصف الظاهرة فحسب، بل تكمن القيمة الفعلية في إطار رؤيته الخاصة للنظم في التفاضل من التأليف أو الصياغة إلى معرفة علة أو سبب اختيار الحذف وترك الذكر.
 - نظرية النظم تقف جنباً إلى جنب مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب، بل تفوقها في مجال التراكيب اللغوية، وكانّ هذه الدراسات الحديثة بُنيت أساساً على نظرية النظم، لأنّ هذا التقاطع والتشابه الكبير بين نظرية النظم (السابقة)، ولسانيات النص (اللاحقة)، لا يمكن أن تكون محض الصدفة، إذ تعتبر تطوّر لنظرية النظم العربية كما وضّحها واحتجّ لها العالم اللغوي العربي الجرجاني عبد القاهر.
- المتأمل لما تقدم يسجّل أن ما جاء به عبد القاهر الجرجاني مفهوماً واصطلاحاً يتطابق ويتقاطع في تصوّراته ومفاهيمه مع كثير من ملامح النظريات التي ينهض عليها الدرس اللساني النصي.

الخاتمة

الخاتمة:

- ما يُمكن أن نقف عليه ختاماً، في هذه الدّراسة النّظريّة وما تبعها من الدّراسة التّطبيقية لمعيار الاتّساق عند الجرجاني، عبد القاهر في ضوء لسانيات النّص. ندرجه في الآتي:
- ارتبطت بالنّص العديد من المفاهيم والمفارقات في الدّراسات الألسنيّة الجديدة (نحو النّص/لسانيات النّص)، ممّا أدى إلى ظهور أفكار ومفاهيم تخصّ "النّص" وتتناول قضاياها من دراسة مستوياته ووظائفه وبنياته وكيفية اشتغالها؛ فانطلق بعض الباحثين من مكّوناته الجُمليّة وتتابعها، وأضاف بعضهم ترابط هذه الجمل ووحدها، واعتمد آخرون على التّواصل اللّغوي كتابياً كان أم شفويّاً وأثر السّياق في كل الملفوظات اللّغويّة، وآخرون اعتمدوا جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل من هذه الملفوظات نصّاً.
 - لم يؤسّس علماء اللّغة العرب القُدّامي نظريّة عربيّة في مجال لسانيات النّص تقوم على مُصطلحات واضحة ومحدّدة، إلّا أنّ جهودهم لا تخلو من أسس التّماسك النّصي واتّساقه التي تقوم عليها النّظريّة النّصيّة.
 - مُصطلح النّص إشكاليّة واجهت لسانيات النّص في الدّراسات العربيّة، وذلك لعدم وروده في النّصوص التّراثيّة العربيّة والبعد الدّلالي بين الاستعمال اليوم وما تكتنزه المدوّنة العربيّة التّراثيّة مُعجماً ونحواً وأصول فقه ونقدا أدبيّاً، وبلاغة. وحتى وإن كانت هناك إشارات لهذا المصطلح يكون من الصّعب أن تُحدّد ما كان يُقصد به في الثّقافة العربيّة وما تدلّ عليه الكلمة الآن.
 - من خلال الدّراسة تبين لنا مدى صعوبة تحديد مفاهيم المصطلحات النّصيّة في مجال التّرجمة؛ ممّا أدى إلى تدخّل الرّؤى والتّصوّرات حولها نظراً لهذا الاضطراب الاصطلاحي وهو اضطراب امتدّ ليشمل المصطلحات الأساسيّة في هذا المجال بين: (النّص/الخطاب)، (التّماسك/ الانسجام) (الحبك/السّبك)، (الاتّساق/ التّضام)، وهذا ما جعل من اللّسانيات العربيّة تفتقر إلى معجم نصّي يوحد هذه المصطلحات ويضبطها، فحتى أنّك تجد باحثين عرب يختلفون في ترجمة مصطلح واحد بعدّة ترجمات، تجعل القارئ يقع في اللّبس والغموض.

- المعايير النصّية تُعتبر أسسا لقيام النصّ بها يستقيم ليُكوّن وحدة لغويّة مُهيكلّة (Structurée) بحيث تجمع بين مكوناتها علاقات وروابط معيّنة، تجتمع كلّها لتشكّل كلاً مترابطاً في نظام منسجم وحصيف.

- خصّصت الدّراسة مساحة واسعة-نسبيّاً- للوقوف على مصطلح "الاتّساق" أحد أهمّ المقوّمات النصّية، ودلالته في التّراث العربيّ بحثاً عن جذوره عند الجرجاني، عبد القاهر ومدى توافره، أو وجوده في نصوصه بمفاهيمه ومصطلحاته المختلفة، وارتباطه بما قدّمته اللّسانيات النصّية لنقف على ما يُعرف ب (إشكاليّة التّراث والمعاصرة)، وتبيان الفرضيّة التي يضعها أغلبيّة الباحثين العرب أنّ العلماء القدامى هم الأسبق في وضع بعض المعارف اللّغويّة، ولكن هذه الدّراسة لم تأتي اتّسلطّ الضوء على من السّابق ومن اللاحق في هذا، لأنّها مُغالطة معرفيّة تُسيء لتراثنا بقدر ما تُسيء لما هو وافد علينا بل نحن نحاول أن نضع ما قدّمه علماء العربيّة قديماً، وما أتى به علماء لسانيات النصّ حديثاً وضع المقارنة والاستفادة من كلّ الأطر المعرفيّة والمنهجية لكليهما، وهذا ما بيّنه أيضاً محمّد الأخضر الصبيحي في أنّ اعتماد المفاهيم الغريّة " لا نرى فيما يخصّنا في هذا الإجراء استيلاً أو تبعيّة أو اتّكالا، كما لا نرى في ذلك أيّ ضرر؛ فمثلاً استعار الدّارسون العرب مصطلحات ومفاهيم غريّة عديدة من شتى العلوم والمعارف، وأفادوا منها في مُختلف تحاليلهم وتطبيقاتهم، فلا نعتقد أنّ المفهوم الغربيّ يطرح إشكالا فهو في نهاية المطاف مفهوم لغوي إنساني.

- قضية الاتّساق النصّي، لها جذور في التّراث العربيّ عند النّحويين والبلاغيين حتّى ولو استخدموا هذا المصطلح بألفاظ أخرى مثل: التّماسك، التّلاحم، التّعالق، التّآخذ، وغيرها من الألفاظ. وهذا يعني أنّه ليس وليد الدّراسات اللّسانية الحديثة وإتّما الجديد فيه هو تلك المقاربة التي تعتمد على صياغة بنيّة نموذج للاتّساق وطريقة توظيف مصطلحاته وتطبيقها في نصوص القدامى خاصّة نصوص عبد القاهر الجرجاني.

- عرضت الدراسة أيضا لقضية مهمة طرحها الجرجاني، عبد القاهر والذي كان سباقا إلى خصوصية اتساق النص وتماسكه وترابطه من خلال فكرة "النظم" التي شغلت حيزا كبيرا من أبحاثه وكتابه، فقد ركزت على أهمية تعلق الأجزاء ببعضها ببعض وكان مُنطلقه في هذا القرآن الكريم وإعجازه، وحتى وإن كانت تطبيقاته مسّت مستوى الجملة فقط إلى أنّها بداية لما أتى بعد الجرجاني، فاعتُبرت مبادئ أرساها لقيام نظرية علمية.

- أثبتت الدراسة أنّ وسائل الاتساق النصي عند علماء لسانيات النص وخاصة ما جاء في كتاب هاليداي ورقية حسن (Cohesion in English) قد شملت المستوى النحوي:

-الإحالةReference بأنواعها.

-الوصلConjunction بأنواعه.

-الاستبدالSubstitution بأنواعه.

-الحذفEllipsis بأنواعه.

وشملت المستوى المعجمي: -التكريرRéitération

-المصاحبة المعجمية/التضام Collocation

وشملت أيضا المستوى الدلالي والتداولي اللذان أشرنا إليهما بين ثنايا بحثنا.

- لا بدّ من القول أنّ الكثير من هذه الوسائل صالحة لأن تكون وسائل محققة للاتساق النصي عند الجرجاني، عبد القاهر، فقد جعل لبعضها أبواب تنفرد بالدراسة والتحليل كالفصل والوصل والحذف وغيرها من الآليات التي ساعدت على قيام نظريته كنظرية علمية مستقلة ذات قواعد ووسائل وأهداف درست آنذاك ولا زالت تُدرس إلى اليوم.

كما أنّ الدراسة شملت على دراسة صور وآليات الاتساق في لغة عبد القاهر الجرجاني وذلك في ضوء القسم النظري من هذه الدراسة وقد أثمر الآتي:

- يتحقّق الاتّساق عند القاهر عند الجرجاني بوسائل وأدوات مُختلفة، وتُؤدّي هذه الأخيرة إلى الكشف عن التّرابطات والعلاقات الدّاخلية التي تبني النّص وتعلّق بعضه إلى بعض عن طريق الرّبط بين حلقاته للوصول إلى كلّ مُوحّد ومتّسق.

- أدّى المستوى النّحوي عند عبد القاهر الجرجاني والمتمثّل في (الإحالة، الحذف الاستبدال الوصل) إلى تحقيق التّماسك بين الأجزاء المكوّنة للجملة، وقد يتجاوز ذلك إلى رحاب أوسع من هذا، لنرى كيف تتماسك الجمل والوحدات الدّلالية الصغرى والكبرى المكوّنة لها وصولاً إلى "النّص".

- الإحالة بنوعها عنصر مهمّ في نصوص عبد القاهر الجرجاني كإحالة عنصر على عنصر آخر (الضمير مثلاً)، وعلاقتها بعنصر الحذف الذي يمثّل هو الآخر مرجعية لما سبق قد سمّاه القدّامي - لكلّ مقام مقال - فيرتبط هنا السياق كذلك ليكون له دور أساسي في فهم النّص من قبل المتلقّي وكلّ هذا يُسهّم في اتّساق النّص وتلاحمه.

- إذا كانت الإحالة والحذف علاقة تُساهم في تلاحم النّص، فإنّ الاستبدال هو الآخر عنصر له علاقة بما سبقه عند عبد القاهر الجرجاني على اختلاف مُسمّياتها فقد جعل الحذف عملية استبدال بالصّفر، واستدلّ عليه بالمعطى البنائي، بينما الحذف عنده إمّا سبق الكلام أو مقتضى الحال والقرائن.

- الفصل والوصل أو العطف علاقات اتّساقية حظيت بعناية القدّام خاصة البلاغيين منهم والجرجاني، عبد القاهر أكّد أنّ الفصل والوصل ليسر مجرّد ظاهرة لغوية تقترن بالعطف أو ترك العطف، وإمّا ظاهرة يجب توافرها حتّى تتبّى القدرة على ربط عناصر الكلام بعضها ببعض ذكرت الواو أم لم تُذكر في سلسلة متوالية من الجمل لتصل إلى النّص بأكمله.

- أدّى المستوى المعجمي الذي يتمثّل في التّكرار و المصاحبة اللفظية إلى ربط العناصر المعجمية ببعضها البعض والتي سمحت بخلق لحمة بين مختلف متواليات الجمل المكوّنة للنّص فتحقّقت وحدته المعنوية.

-التوصيات

بناء على أهم ما قدمته الدراسة يمكن تقديم جملة من التوصيات والرؤى ندرجها باختصار في

الآتي:

- حبذا لو تُعنى الدراسات التراثية بالاهتمام من خلال ربطها بالدراسات الحديثة لبعث الجهود العربية القديمة، لأن القدماء طبّقوا ولم يُنظروا على عكس المحدثين فقد وضعوا نظريات لكلّ علم ولكلّ قضية تناولوها بالدراسة والتحليل.

- ومنه تشجيع الدراسات التراثية، وإعادة الاعتبار للجهود اللسانية القديمة، فمثل هكذا دراسات تحفل بها المؤلفات القديمة لتكون آليّة من آليات البحث في الدرس اللساني القديم والدرس اللساني الحديث من حيث المصطلحات والمفاهيم، وحتىّ مناهج البحث؛ فتكون هناك مقارنة بين ما هو قديم تراثي وبين ما توصّلت إليه اللسانيات النصّية بجميع فروعها.

- توفير المصادر والكتب الأجنبية المترجمة ليتسنى للباحث التّقصي والتعمق في البحث والاطلاع على علم اللسانيات من مصدرها.

- اعتماد المصطلحات التراثية للتعبير على المفاهيم الحديثة في مجال لسانيات النصّ؛ واستثمارها في البحث تجنّباً للترجمة والاقتراض من جهة، وكثرة المصطلحات من جهة أخرى تجنّباً لتداخلها، وهذا الاختلاف يعود لتعدد الترجمات من قبل الباحثين لذلك فتناول المصطلحات يقتضي التّدقيق من طرف الباحث وما يربط بدراسته؛ فمصطلح الاتّساق مثلاً (Cohesion) يُترجم تارة إلى التّماسك والسّبك والرّصف... الخ؛ وتارة أخرى يستعمله المتقدّمون من العرب بألفاظ أخرى مثل: التّلاحم التّأخذ، التّعلق، وغيرها من الألفاظ.

- ندعو الباحثين في مجال لسانيات النصّ إلى ضرورة عقد مؤتمر شامل جامع للبحث في مشكلات المصطلح العربي وتوحيده في هذا المجال.

- واعتبارا لما سبق؛ يكون الاتساق ضروري في تحقيق لحمة النص وهذا يفرض على الباحث التركيز على البلاغة والنحو وذلك بضرورة استقراء التراث العربي والاعتماد على أمهات الكتب.

مصادر و مراجع البحث

-المصادر و المراجع:

* القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع بالرسم العثماني).

1. الإبداع الموازي، حماسة، محمد عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر، (ط1)، 2001.
2. أبعاد النصّ النقدي عند الثعالبي، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، الأحمد، حسن إبراهيم منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2007.
3. الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، علي جمال الدين عزّت عثمان شركة أبو الهول للنشر، (ط1)، 1997.
4. الاتساق النصي (Cohésion) مفهومه وآلياته، فاتح، بوزي، مقال، مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، المجلد 12، العدد 2، 2012.
5. الاتساق النصي في التراث العربي، سعدية، نعيمة، مقال، قسم الأدب العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الخامس، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر) جوان 2009.
6. الاتساق والانسجام في القرآن، بن عروس، مفتاح، دار نور حوران، دمشق، سورية (ط01)، 2018.
7. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1988.
8. أثر الاتساق في تماسك النصّ دراسة نصّية من خلال سورة يوسف، هواوشة، محمود سليمان حسين، (رسالة مقدّمة إلى عمادة الدّراسات العليا استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في النّحو والصرف)، قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة مؤتة، 2008.

9. أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، (مقال) الحلوة، نوال بنت ابراهيم ، مجلّة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها الرياض العدد الثامن، مايو، 2012.
10. أثر النحاة في البحث البلاغي، حسين، عبد القادر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع مصر (ط1)، 1998.
11. الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (ط1) 1977.
12. أساس البلاغة، الزمخشري، تح: عبد الرحيم محمود، مادة (نصص)، دار المعارف، بيروت 1982.
13. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، (ط1)، 2004.
14. الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردى، السّد، نور الدّين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997.
15. الإسهامات النصية في التراث العربي، بن الدّين، حولة، (أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في اللّسانيات النصية)، جامعة وهران أحمد بن بلة، كلية الآداب واللغات
16. الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، تح: عبد العال، سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت (ط1)، 1985.
17. إشكالات النص، المداخلة أنموذجا دراسة لسانية نصية، جمعان، بن عبد الكريم، النادي الأدبي بالرياض، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (ط1)، 2009.
18. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، الشاوش، محمد المؤسسة العربية للتوزيع، منوبة، تونس، (ط1)، 2001.

19. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد، يوسف الهنداوي، المكتبة
العصرية صيدا، بيروت، 2002.
20. إعجاز القرآن الكريم، عباس، فاضل (بالاشتراك): دار الفرقان، عمان، (ط4)،
2001.
21. إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، سلطان، منير، منشأ المعارف الإسكندرية،
(ط3) 1986.
22. إعراب الجمل وأشباه الجمل، ينظر: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، (ط3)
بيروت 1981.
23. الأغاني، الأصفهاني، ح: علي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
24. آليات اشتغال السرد في الخطاب الروائي الحدائي عند عبد الرحمان منيف، بن
الشيخ عبد الغني، دار خيال للنشر والترجمة، 2019.
25. الأمالي، أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب
1976.
26. الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، وضم حواشيه
إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (ط1)، 2003.
27. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، عبد المجيد، جميل، الهيئة المصرية
للكتاب 1998.
28. البعد النصي التداولي في النصوص الأدبية في مرحلة التعليم الثانوي (مقرر السنة
الثالثة ثانوي آداب وفلسفة - نموذجاً-)، براهيم براهيم، (أطروحة مقدمة لنيل شهادة
دكتوراه العلوم)، تخصص: تعليمية اللغة العربية، قسم علوم اللسان، كلية اللغة العربية وآدابها
واللغات الشرقية، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، 2019، 2020.

29. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العلمية للنشر، لوبحمان، القاهرة، (ط1) ، 1996.
30. البلاغة العربية في دور نشأتها، سيد، نوفل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948.
31. بلاغة الكلمة والجملة والجمل، سلطان، منير، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر الإسكندرية، 1993.
32. البلاغة بين عهدين في ظلال الذوق الأدبي وتحت سلطان العلم النظري، أحمد محمد نايل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994.
33. البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني -، عباس فاضل، دار الفرقان، عمان، (ط4) 1999.
34. بناء الجملة العربيّة، حماسة، محمد عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة مصر، 2003.
35. -بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، الجابري، محمد عابد، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، (ط5) ، 1996.
36. البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (ط7) 1998.
37. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد، بن عبد الرزاق، المطبعة الخيرية مصر، 1888.
38. تاج العروس من جواهر القاموس، السيد، محمد مرتضى الحسيني، الواسطي الزبيدي الحنفي تح: عبد الكريم العزباوي مادة(نصص)، مطبعة حكومة الكويت، 1979.
39. تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، شرشار، عبد القادر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006 .

40. تحليل الخطاب الرّوائي (الزمن، السرد، التّبئير)، يقطين، سعيد، المركز الثقافي العربي 1977.
41. تحليل الخطاب الشعري، مفتاح، محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، (ط3) 1992.
42. تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، ناعوس، بن يحي (بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في لسانيات النّص)، كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2012، 2013.
43. تحليل الخطاب، ترجمة براون ويول، الزليطي منير، والتريكي، منشورات جامعة الملك سعود المملكة العربيّة السعودية، 1994.
44. تدريس الأدب، استراتيجية القراءة والإقراء، حمود، محمد، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1993.
45. الترابط النّصي في ضوء التّحليل اللّساني للخطاب، الباطشي خليل ابن ياسر، دار جريز للنشر والتّوزيع، عمان، 2009.
46. التراكيب النّحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، صالح، بلعيد ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1994.
47. التطور اللغوي عند الأصوليين، السيد، أحمد عبد الغفار، شركة مكينات عكاظ، جدة (ط1)، 1981.
48. التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.
49. التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن 6هـ، حمادي، صمود، منشورات الجامعة التونسية، 1981.
50. التماسك النّصي في النّص القرآني - دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام - هبيرة، عز الدّين، (أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة العربية والدراسات

- القرآنية) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية للعلوم الإسلامية، قسم اللغة العربية قسنطينة 2015،2016.
51. التماسك النصي في قصتي يوسف وموسى-عليهما السلام-من القرآن الكريم-زاوي ليندة، (بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية) - كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية، جامعة الإخوة متنوري قسنطينة، 2017،2018.
52. التماسك النصي، الاتساق شكليا والانسجام تداوليا، علي الطاهر، عبد السلام مفتاح مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1).
53. الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني -دراسة دلالية- دلخوش، جارالله حسين دزهيبي، دار دجلة، عمان، 2008.
54. حجج النبوة، نظم القرآن ضمن رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة لسان العرب، الناشر: مكتبة الخانجي، مصر، 1964.
55. حضريات المعرفة، فوكو، ميشال، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، المغرب، (ط2) 1987.
56. خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، محمد، مكتبة وهبة، للنشر، القاهرة، (ط4)، 1977.
57. الخصائص، ابن جني، تح: الشيخ محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987.
58. الخطاب الأدبي من النشأة إلى التلقي، نواري سعودي، أبو زيد، مكتبة الآداب، (ط1) 2005.
59. دراسات اللسانيات التطبيقية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعي، مصر، (ط1) ، 2000.

60. دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدلالة، بحيري، سعيد حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط1)، 2004.
61. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، درويش، أحمد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.
62. ديوان أبي الطيّب المتنبّي، أبو الطيب المتنبّي أحمد بن الحسين الكوفي، تص: عبد الوهاب عزام لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، (ط1).
63. ديوان أبي تمام، أبي تمام الطائي حبيب بن أوس، شر: الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزام دار المعارف، 1119، كورنيش النيل، القاهرة، (ط4).
64. ديوان البحترى، البحترى، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، (ط3)، 2009.
65. ديوان المتنبّي، شر: عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، 1986.
66. ديوان امرؤ القيس، شر: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ط2)، 2004.
67. ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمعه وحققه، عبد الصاحب الرحبلي الخزرجي، مطبعة الآداب، النحف، 1962.
68. ديوان ذي الرّمة، شر: أبي نصر الباهلي، تح: صالح عبد القدوس، مؤسسة الإيمان للنشر جدّة، (ط1)، 1982.
69. ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه، إحسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان بيروت، 1971.
70. ديوان، طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تح: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، (ط1) 1997.
71. ديوان، عمرو بن معد يكرب الزبيدي، مكتبة العبيكان، ردمك، (ط1)، 1994.

72. الرسالة، الشافعي، محمد بن إدريس، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
73. رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فراج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، الناشر مكتبة الآداب القاهرة، 2007.
74. السبك النصي في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في سورة الأنعام، أحمد حسين حيال الجامعة المستنصرية للنشر، العراق، 2001 .
75. شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، محمد محمد، حسن شُرّاب، المكتبة الشاملة الحديثة، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط1)، 2007.
76. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تح: علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1992.
77. شعر أبي يعقوب الخريمي، عبد الغني، حسن اسماعيل، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، 2001.
78. شعرية دوستوفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، باختين، مخائيل، دار توبقال، الدار البيضاء، (ط1)، 1986.
79. الصمة بن عبد الله القشيري، حياته وشعره، جمعه وحققه وشرحه وصنع فهارسه، خالد عبد الرؤوف الجبر، دار المناهج، للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003.
80. الصناعتين (الكتابة والشعر)، العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه (ط1)، 1952.
81. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر الإسكندرية، 1998.

82. عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، مطلوب، أحمد، وكالة المطبوعات، بيروت، (ط1) 1973.
83. العدول بالجملة عن الأصل وعلاقته باستيعاب النحو للمعنى، عبد الفتاح الجرجاوي، دار سحر للنشر، تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (ط1)، 2007.
84. العلامة وعلم النص، عياشي، منذر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط1) 2004.
85. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، (الخطابة النبوية نموذجاً)، النجار، رمضان نادية (مقال) مجلة علوم اللغة، دار غريب، مج، 9، ع، 2، 2006.
86. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، الفقي صبحي إبراهيم دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط1)، 2000.
87. علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، مصطفى صلاح قطب، عالم الكتب، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ردمك، (ط1)، 2014 .
88. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، السعران، محمود، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، (ط1).
89. علم المعاني، عتيق، عبد العزيز، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974.
90. علم النص، كريستيفا، جوليا، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، (ط2) 1991.
91. علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، بحيري، سعيد حسن، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لوئجمان، مصر، (ط1)، 1997.
92. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط5)، 1981.

93. عناصر التماسك النصي بين نظرية النظم وعلم النص، صالح أحمد عبد الوهاب،
(مقال) مجلة كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان، مصر، 2016، مج، 1، ع، 1.
94. عناصر لتحليل الخطاب **Eléments d'analyse du discours**، جورج
إليا صرفاتي Georges-Elia Sarfati، Editions Armand Colin- Paris، 2009،
تر: وتقديم محمد ساري، دار التنوير، الجزائر، (ط1)، 2014.
95. عيار الشعر، شر: العلوي، محمد أحمد ابن طباطبا، تح: عباس عبد الستار، مراجعة
نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1982.
96. العين، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم
السامرائي مؤسسة الأعملي للمطبوعات، بيروت، لبنان، (ط1)، 1988.
97. فن القول، الخولي، أمين، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1996.
98. فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاعر الكتي، تح: إحسان عباس، دار صادر،
بيروت 1973.
99. الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية من المسائل والضوابط والقواعد الكلية
السيد علوي، بن أحمد السقاف، مصطفى اليابي الحلبي، مصر، 1993.
100. في البلاغة العربية الأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، مصلوح، سعد، (ط1)،
الكويت مجلس النشر العلمي، 2003.
101. في اللسانيات ونحو النص، خليل، محمود إبراهيم، كلية الآداب، الجامعة الأردنية،
دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، (ط1)، 2007.
102. في الميزان الجديد، مندور، محمد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (ط1)
2004.
103. في مفهوم النص، الفلاح، نور الدين، وقائع الملتقى القومي المنظم بصفاقس، أفريل
1988.

104. في نظرية الأدب وعلم النصّ بحوث وقرائات، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، (ط1)، 2010.
105. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، تحقيق، محمد نعيم العرسوقي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، (ط8)، 2005.
106. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوز والند، ديكرو، تر: منذر عياشي المركز الثقافي العربي، المغرب، (ط2)، 2007.
107. قراءة في نظرية النظم، بحث مقدم من التدريس، بيان شاكر جمعة، ومهند حمد شبيب، كلية التربية بجامعة الأنبار، قسم اللغة العربية، 2009.
108. قضية الإعجاز القرآني وآثارها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز، عبد المعطي عرفة (ط1)، 1985.
109. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، حميد البياني، سناء، دار وائل للنشر، الأردن (ط1)، 2003.
110. كتاب المعونة في الجدل، الشيرازي، أبو إسحاق، تح: عبد الحميد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط1)، 2001.
111. الكتاب، سيويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت (ط1)، 1991.
112. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حبيب الله، هاشم محمد الشاذلي، مادة (نصص)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
113. لسانيات النصّ النظرية والتطبيق، مقامات الهمداني أنموذجا، قياس، ليندة، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، (ط1)، 2009.
114. لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط2)، 2006.

115. اللّسانيات وتحليل التّصوُّص، بوحوش، رابح، عالم الكتب الحديث، (ط1)،
2007.
116. اللّسانيات ونحو النص، إبراهيم محمود خليل، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، دار
المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 2007.
117. اللّغة والإبداع الأدبي، العبد محمد، دار الفكر للدراسات والتّشّير والتّوزيع، 1989.
118. اللّغة والمعنى والسّياق، لاينز، جون، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشّؤون الثّقافيّة
العامة، بغداد، (ط1)، 1987.
119. الماركسية والتاريخ الأدبي، جون فراو JoneFrow، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي
العربي المغرب، 1968.
120. محاضرات في لسانيات النّص، حمداوي، جميل، شبكة الألوكة للنّشر، (ط1)،
2015.
121. مختصر المعاني، سعد الدين، التفتازاني، منشورات دار الفكر، قم، شارع ارم، (ط1)
1991.
122. المدارس اللّسانيّة المعاصرة، بوقرة، نعمان، مكتبة الآداب للنّشر، القاهرة، (ط1)
123. المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، ساسي عمار، دار المعارف
بوفاريك 2005.
124. مدخل إلى علم اللّغة النّصي، فولفجانج هانيه منه، وديتر فيهيفجر، تر: فالح بن شيب
العجمي جامعة الملك سعود، الرّياض 1999.
125. مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، الصبيحي، محمد الأخضر، منشورات
الاختلاف ردمك، بيروت، لبنان، 2008.
126. مدخل إلى علم النّص، مشكلات بناء النّص، زتسيسلاف وأوزنيك، ترجمة سعيد
حسن بحيري (ط1)، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2003.

127. مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبيرت دي بو جراند ولفجانج دريسلر، أبو غزالة، إلهام، خليل، علي أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط2)، 1999.
128. مدخل متداخل الاختصاصات، تون فان دايك، علم النص، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، مصر، 2001.
129. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو، ترجمة، محمد يحياتن، (ط1) الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، لبنان، 2008 .
130. المعايير النصية بين السور المكية والمدنية، دراسة تطبيقية، (الأعراف والنساء نموذجاً) يسرى السيد إبراهيم نوفل، كلية الآداب قسم اللغة العربية، جامعة طنطا، مصر (ط1) ، دار النابعة للنشر والتوزيع، 2014 .
131. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، وآخرون، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة (ط4)، 2004 .
132. معجم ضمن اللغة، أحمد رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960.
133. معجم عربي حديث، الباشا، الكافي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992.
134. مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تقديم أصيل بديع يعقوب، حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1998.
135. المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، العبد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط2) 2006.
136. مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، جمعان، عبد الكريم، مج، 16، (مجلة علامات)، ماي 2007.
137. مفهوم الجرجاني للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، (مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، يونيو 1977.

138. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، الزواوي، بغورة، مكتبة الاسكندرية، (ط1) 2000.
139. مفهوم العدول في البلاغة العربية في ضوء الدراسات اللغوية، السعيد الباز، (مقال)، مجلة كلية دار العلوم، مصر، مج/ع، 39، 2006.
140. مفهوم النص عند المنظرين القدماء، بناني، محمد الصغير، (مقال)، مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر، العدد، 12، ديسمبر، 1997.
141. مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، أبو زيد، ناصر حامد، مؤمنون بلا حدود، للنشر المركز الثقافي العربي، 1990.
142. المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، فوزي السيد عبد ربه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005 .
143. مقدمة في نظريات الخطاب، ديان، مكدولين، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية شركة مساهمة مصرية، 2017.
144. من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي، يقطين، سعيد المركز الثقافي العربي، 2014.
145. من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف)، مراد حميد عبد الله، (مقال) منشور بمجلة ذي قار، جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2010.
146. من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن كتاب: الأستاذ عبد السلام هارون في ذكراه الثانية تح: وديعة طه النجم وعبد بدوي، جامعة الكويت- كلية الآداب، 1990.
147. مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرماني إلى عبد القاهر الجرجاني، عبد الله بن عيد الرّحمان بانقيب، (مخطوطة دكتوراه)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 2008.
148. مناهج النقد المعاصر، فضل، صلاح، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2002.

149. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحين حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط2)، 1981.
150. المنهاج في ترتيب الحجاج، الباجي، أبو الوليد، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001.
151. منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرضه المسائل التحوّية، دراسة تحليلية، أحمد عاطف محمد كلان، بحث قدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة (الماجستير) في النحو العربي من كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، عمادة الدراسات، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013 .
152. مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة العربية، ربما سعد، سعادة الجرف كلية اللغات والترجمة، الرياض، السعودية، (ط1).
153. الموجز في شرح الدلائل في علم المعاني، نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث، دك الباب، جعفر دمشق، مطبعة الجليل، (ط1)، 1980.
154. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي، أحمد، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق 2001 .
155. نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، النحاس، مصطفى، ذات السلاسل الكويت، 2001 .
156. نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، أبو خرمة، عمر، عالم الكتب الحديث للنشر، اربد الأردن، 2004.
157. نسيج النص «بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً»، الزناد الأزهر، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، (ط1)، 1993.
158. النص الغائب وتجليات التناص في الشعر العربي، عزام، محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

159. النص بين النحويين والقدماء والدراسات اللسانية الحديثة النصية، شيماء رشيد، مجمع اللغات العربية على الشبكة العالمية تاريخ الدخول، 10 جويلية 2021.
160. النص والخطاب والاتصال، العبد محمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة (ط1) 2005.
161. النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، روبرت، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة (ط1)، 1998.
162. النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، (ط5) 2006.
163. النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق للنشر، 2000.
164. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، (ط1)، 1997.
165. نظرية النص بين التنظير والتطبيق، خالد محمود جمعة، مقال، مجلة علامات، م13، 2003،
166. نظرية النص، من بنى المعنى إلى سيميائية الدال، حمري، حسين، منشورات الاختلاف الجزائر، (ط1)، 2007.
167. نظرية النظم عند الجرجاني، عبد القاهر وصلتها بقضية اللفظ والمعنى، عبد الفتاح سيد حجاب، مقال، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد أبو السعود الإسلامية 1979.
168. نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مقدماتها، أركانها، قيمتها، الشافعي، خالد ربيع مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، مصر يوليو 2006 مج/ع، 37 .

169. نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية، وليد، محمد مراد، دار الفكر، دمشق (ط1)، 1983.
170. نظرية عبد القاهر في النظم، درويش الجندي، مكتبة نهضة، مصر، القاهرة، 1960.
171. النظم بين القرآن والشعر في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، بن ضالة، فطنة، دار العنقاء للنشر والتوزيع والدعاية المغرب، 2013.
172. النظم عند عبد القاهر الجرجاني في كتابات المحدثين، واكي راضية، (مقال)، مجلة التنوير جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، دار المنظومة، جميع الحقوق محفوظة مج/ع14 2016.
173. النقد المنهجي عند العرب، مندور، محمد، دار النهضة، مصدر للطباعة والنشر، القاهرة 1996.
174. النقد والإعجاز، تحريشي، محمد، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

المراجع الأجنبية:

1. Cohesion in English language. Halliday, M. A.K and R. Hassan ,London Longman,1976.
2. Demonstratives in use and grammar, Holger Diessel , Maxplanek, institute for evolutionary anthropology.
3. Grammatical cohesion in spoken and written English, Hassan Ruquaia, London, Longman ,1sted, 1968.
4. Le problème de l'anaphore sans antécédent , Dairine O'Kelly, Cynos Vol.s

مسرد المصطلحات

المصطلح بالعربية	المصطلح بالإنجليزية	المصطلح بالفرنسية
A		
نص	Text	texte
جملة	Sentence/phrase	Phrase
مستوى النص	The text level	Le niveau de texte
فضاء	Space	Espace
حصافة	Sagacity	Sagacité
اتصال	Contact	Rapport/contact
لغة	Language	Langage
مستوى الجملة	The sentence level	Le niveau de la phrase
خطاب	Discourse	Discours
مخاطب	Locutter	Allocutaire
سياق	Context	Contexte
نحو النص	The text grammar	La grammaire du texte
نحو الجملة	The sentence grammar	La grammaire de la phrase
حدث تواصلية	Communication event	Un événement de communication
بنية سطحية	Surface structure	Structure de face
سياق الموقف	Situational context	Contexte de situation
سياق مقامي	Residual context	Contexte résiduel
ملقي	speaker	Parlant
الدال	The signifier	Le signifiant
مدلول	The signified	Le signifié
رسالة	message	Le message
تسيج	Texture	Texture
وحدة لغوية	Linguistic unit	Unité linguistique

Cohésion	Cohesion	تماسك
Connectivité	connectivity	ترابط
Cohérence	Coherence	تلاحم
Relativité	relativeness	تعالق
Parole	Parole	كلام
Situation communicative	Communicative situation	وضعية تواصلية
Les actes du parole	Speech acts	أفعال الكلام
Acte verbale	Verbal act	فعل كلامي
Un système non linguistique	A sysrtem non linguistic	جهاز عبر لساني
Opération de communication	Communicative process	عملية تواصلية
Rédaction	Redaction	تأليف
Coordination	Coordination	تنسيق
Cohésion	Cohesion	انسجام
Cohérence	Coherence	اتساق
Développement sémantique	Semantic development	تطور دلالي
Séquences de phrases	Sequences of sentences	متواليات من الجمل
Structure complète	Complete structure	بنية شاملة
Un tout structurel	structural Whole	كلّ بنيوي
Structuralisme	Structuralism	البنوية
Étude linguistique	Linguistic study	دراسة لسانية
Relais aléatoire	Random relay	تتابع عشوائي
Cohérence du texte	Text coherence	اتساق النص
Cohérence lexicale	Lexical coherence	اتساق معجمي
Critères textuels	Textual criteria	المعايير النصية

Endophore	Endophore	ترابط رصفي
Connecteurs	Connectors	الروابط
Relativité	Relativity	العلائق
Lien verbal	Verbal linkage	الربط اللفظي
Composition	Composition	النّظم
Formation	Formation	الصّياعة
Champs sémantique	Semantic field	حقول دلالية
Fusion de texte	Text-fusion	التحام النص
Éléments référentiels	Referential elements	العناصر الإحالية
Situation	situation	مقام
Référence textuel	Textual reference	إحالة نصية
Référence situationnelle	Situation reference	إحالة مقامية
L'analyse de discours	Discourse analysis	تحليل الخطاب
Référence anaphore	Anaphore reference	إحالة على سابق
Référence cataphore	Cataphore reference	إحالة على لاحق
Élément diectique	Diectic element	عنصر إشاري
Substitution verbale	Verbal substitution	استبدال قولي
Lien de causalité	Causal link	وصل سببي
Lien temporel	Temporal link	وصل زمني
Connectivité référentielle	Referential connectivity	الرّبط الإحالي
Homonymie	homonymy	المصاحبة اللفظية
Collocation	collocation	التلازم
Totologie	Totology	الإطناب
Colexicographie	colexicography	الزيادة اللفظية
Augmentation	Verbal increase	المصاحبة المعجمية
Conformité	conformity	المطابقة
Terme	Term	اللفظ

Le sens	Meaning	المعنى
Composition coranique	Composition of Quran	النّظم القرآني
L'inimitabilité coranique	Quranic inimitability	الإعجاز القرآني
Collage organique	Organic bonding	الترايط العضوي
La rhétorie	Rhetoric	البلاغة
Eloquence	Eloquence	الفصاحة
Parole cohérente	Coherent speech	الكلام المنظوم
Optant pour sens grammatical	Searching grammatical meanings	توخي معاني النّحو
Structure mental	Mental structure	البنية الذهنية
Tisser la parole	Tissing speech	نظم الكلام
L'engagement	commitment	الالتزام
Corps interne	Interior layout	نسق داخلي
L'économie linguistique	Linguistic economy	الاقتصاد اللغوي
Connecteurs de sens	Meaning connectors	قرائن معنوية
Selon le cas	According to the case	مقتضى الحال
Relations cohérente	Coherent relations	علاقات اتساقية
Déviation	Deviation	انزياح
Renoncement	recantation	عدول
Cachetage	Hiding	إضمار
Post de parole	Speech position	مقام الخطاب
Textuel	Textual	نصي
Vue globale	Global side	جهة جامعة
Les principes de la pragmatique	Pragmatics principles	مبادئ التداولية
Connecteurs formelles	Formal connectors	روابط شكلية
Eléments lexicales	Lexical elements	عناصر معجمية

Etude non-linguistique	Non-linguistic study	دراسة غير لسانية
Linguistique de parole	Speech linguistics	لسانيات الكلام
Énoncé	Anouncement	ملفوظ
Énonciation	Enonciation	التلفظ
Un dire	Saying	قول
Réussite linguistique	Linguistic success	إنجاز لغوي
Le non-texte	The no-text	اللانص
La rhétorique	Rhetorics	البلاغة
L'analyse textuelle	Textual analysis	التحليل النصي
L'abondance des mots	The abundance of words	جزالة الألفاظ
Cohésion	Cohesion	السبك
Cohérence	Coherence	الحبك
Le thème du discours	The discourse theme	موضوع الخطاب
Linguistique textuelle	Textual linguistics	علم اللّغة النصي
La cohérence textuelle grammaticale	Textual grammatical coherence	التماسك النحوي النصي
Vision pragmatique	Pragmatic vision	منظور تداولي
Référence communicative	Communicative reference	مرجعية تواصلية
Le contenu communicative du texte	Communicative content of text	المحتوى الإبلاغي للنص
La cohérence du texte	Text coherence	تماسك النص
Situation	situation	المقام
L'intentionnalité	intentionality	القصد
L'acceptabilité	acceptability	القبول
L'intertextualité	intertextuality	التنّاص
Produit	Product	المنتج

Informativité	informativity	الإعلامية
Petite micro structure	micro Structure	البنية الصغرى
La grande macro structure	Macro structure	البنية الكبرى
La linguistique de phrase	The sentence linguistics	لسانيات الجملة
Les composants du texte	The text components	مقومات النص
Unité sémantique	Semantic unit	وحدة دلالية
Référence	Reference	إحالة
Pré-référence/ anaphore	Pre-reference/anaphora	إحالة قبلية
Post référence/ cataphore	Post-reference/cataphora	إحالة بعدية
Addition	Addition	العطف
Substitution	Substitution	الاستبدال
Substitution nominale	Nominal substitution	استبدال اسمي
Substitution verbale	Verbal substitution	استبدال فعلي
Ellipsis	Ellipsis	الحذف
Comparaison	Comparison	المقارنة
Rattrapage	A catching-up	الاستدراك
Collocation	Collocation	تضام
Répétition	Reccurence	تكرير
Relation	Link	الوصل
Rupture	Rupture	الفصل
Connectivité formelle	Formal connectivity	ترابط شكلي
Syllabe grammaticale	Grammatical syllable	مقطع لغوي
Phrases non connectés	Non connected phrases	جمل غير مترابطة
Un tout unis	A United Whole	كلّ موحد

فهرس المخططات و الجداول

فهرس المخططات

ر. الصفحة	العنوان	ر. المخطط
23	علاقات الجمل داخل النص	01
23	صور ترابط النص	02
24	مجالات فهم النص	03
25	النص عند فان دايك ولاندكسيت	04
30	البنية النصية الكبرى وأقسامها	05
42	محددات النص	06
42	محددات الخطاب	07
48	مراحل نشأة لسانيات النص	08
58	آليات تماسك النص ومحتواه البلاغي	09
59	المعايير النصية حسب دي بوجراند	10
71	مستويات الاتساق عند محمد خطابي	11
72	أدوات الاتساق	12
74	خصائص مميزة للاتساق	13
78	علاقتي الاتساق	14
95	آليات الاتساق عند هاليداي ورقية حسن	15
98	أقسام الإحالة عند هاليداي ورقية حسن	16
108	أنواع الاستبدال	17
115	أنواع الحذف	18
116	مكونات الجملة الاسمية	19
116	مكونات الجملة الفعلية	20

118	علاقة الوصل بالاتساق	21
119	أنواع الوصل	22
123	أنواع التكرار	23
132	علاقة الاشتمال (نوع من أنواع التضام)	24
132	نظام علاقة التضام	25
134	محورية الوصل في أدوات الاتساق	26
176	عناصر نظرية النّظم	27
184	أركان نظرية النّظم	28
201	أسس نظرية النّظم	29
216	أنواع الإحالة عند الجرجاني	30
231	أنواع الحذف عند الجرجاني	31
232	خاصية الاتساق النصي	32
233	بمجال علاقة الحذف والإحالة	33
235	تسميات الاستبدال عن القدماء	34
236	أقسام الاستبدال	35
239	قواعد التأليف عند الجرجاني	36
242	أقسام الوصل عند الجرجاني	37
262	وسائل الربط المعجمي	38
264	أنواع التكرار عند الجرجاني	39
267	أشكال التكرار	40
269	التضام وتسمياته عند الجرجاني	41
272	التضام/التلازم	42
277	المستوى الإفرادي والتركيبى	43
281	صورة اللفظ والمعنى	44

فهرس الجداول

ر. الصفحة	العنوان	ر. الجدول
62	ترجمة مصطلح لسانيات النص عند الباحثين والدارسين الغرب والعرب	01
62	ترجمة مصطلح لسانيات النص عند الباحثين والدارسين العرب	02
105	التعابير الإشارية في الانجليزية	03
250	علاقات استعمال أدوات الربط	04
268	أنماط التكرار في البلاغة العربية وما يعادلها في اللسانيات النصية	05

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان	الترتيب
	الإهداء	
	إسداء الشكر	
01	مقدمة	
10	المدخل مسوَّغات الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى النص	
13	مفهوم النص	1.1
14	مفهوم النص لغة	1.1.1
17	مفهوم النص اصطلاحا	2.1.1
18	النص عند علماء النحو والبلاغة	1.2.1.1
20	النص عند علماء الأصول	2.2.1.1
21	النص عند علماء اللغة والنقاد المحدثين	3.2.1.1
21	النص عند علماء اللغة الغرب المحدثين	1.3.2.1.1
26	النص عند علماء اللغة العرب المحدثين	2.3.2.1.1
31	مفهوم الخطاب	2.1
32	مفهوم الخطاب لغة	1.2.1
33	مفهوم الخطاب اصطلاحا	2.2.1
34	مفهوم الخطاب في الدراسات الغربية	1.2.2.1
38	مفهوم الخطاب في الدراسات العربية	2.2.2.1
39	محدّدات النص ومحدّدات الخطاب	3.1
42	مفهوم لسانيات النص	4.1
43	لسانيات النصّ النشأة والتطور	1.4.1
48	مفهوم لسانيات النص	2.4.1
48	مفهوم لسانيات النص عند العرب المحدثين	1.2.4.1
52	مفهوم لسانيات النص عند العرب القدامى	2.2.4.1

55	مفهوم لسانيات النص عند الغرب المحدثين	3.2.4.1
66	الفصل الأول الاتساق مفهومه وآلياته في ضوء لسانيات النص	
68	مفهوم الاتساق لغة	1.2
70	مفهوم الاتساق اصطلاحا	2.2
77	مفهوم الاتساق عند المحدثين	2.2.1
77	الاتساق عند الغرب	1.1.2.1
80	الاتساق عند العرب	2.1.2.1
85	الاتساق عند القدامى	2.2.3
91	وسائل الاتساق	3.3
96	الإحالة La référence	1.3.3
96	مفهوم الإحالة	1.1.3.3
98	أنواع الإحالة	2.1.3.3
99	الإحالة المفاهيمية Référence exotheorique	1.2.1.3.3
101	الإحالة النصية Endophora	2.2.1.3.3
106	الإحالة بالمقارنة	3.2.1.3.3
107	الاستبدال Substitution	2.3.3
108	الاستبدال الاسمي Substitution Nominale	1.2.3.3
110	الاستبدال الفعلي Substitution Verbale	2.2.3.3
111	الاستبدال القولي Substitution Clausal	3.2.3.3
112	الحذف Ellipse	3.3.3
115	الحذف الاسمي (Ellipse nominale)	1.3.3.3
116	الحذف الفعلي Ellipse Verbale	2.3.3.3
117	الحذف داخل شبه الجملة (الجملي) Ellipse Clausal	3.3.3.3
118	الوصل La conjonction	4.3.3

119	Relation Additive الوصل الإضائي	1.4.3.3
120	Relation Adversative الوصل العكسي	2.4.3.3
120	Relation causale الوصل السببي	3.4.3.3
121	Relation temporelle الوصل الزمني	4.4.3.3
122	Cohésion Lexical الاتساق المعجمي	5.3.1
123	Réiteration/Réurrence التكرار	1.5.3.3
123	مفهوم التكرار	1.5.3.1
126	أنواع التكرار	2.1.5.3.3
129	La collation التضام/التلازم	2.5.3.3
129	مفهوم التضام	1.1.5.3.1
131	أنواع التضام	2.2.5.3.3
136	الفصل الثاني نظرية التظم التّشأة والمفهوم	
138	التعريف بالمصطلحات	1.3
139	مفهوم النظم	1.1.3
141	لغة	1.1.1.3
193	اصطلاحا	2.1.1.3
144	مفهوم اللفظ والمعنى	2.1.3
145	مفهوم اللفظ	1.2.1.3
145	لغة	1.1.2.1.3
145	اصطلاحا	2.1.2.1.3
146	مفهوم المعنى	2.2.1.3
146	لغة	1.2.2.1.3
147	اصطلاحا	2.2.2.1.3
147	نشأة نظرية وتطورها	2.3

148	النّظم قبل الجرجاني	1.2.3
149	سيبويه (ت180هـ)	1.1.2.3
152	الجاحظ (ت255هـ)	2.1.2.3
157	الباقلاني (ت403هـ)	3.1.2.3
162	نظرية النّظم عند الجرجاني	2.2.3
162	الإمام عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم	1.2.2.3
163	مفهوم النّظم عند عبد القاهر الجرجاني	1.1.2.2.3
163	أساتذته وثقافته	2.1.2.2.3
164	منزلته العلمية	3.1.2.2.3
165	اللفظ والمعنى ودورهما في النّظم	2.2.2.3
168	النّظم عند الجرجاني	3.2.2.3
170	مفاهيم متعلقة بفكرة النّظم	3.3
170	اللّغة والفكر	1.3.3
172	الكلام	2.3.3
172	الفصاحة والبلاغة	3.3.3
174	النّحو	4.3.3
175	البيان	5.3.3
177	أركان نظرية النّظم	4.3
177	التّقديم والتّأخير	1.4.3
179	تقديم اسم على آخر أو تأخيره عنه	1.1.4.3
179	تقديم الفعل أو تأخيره	2.1.4.3
180	بحسب أنواع الاسم	1.2.1.4.3
180	بحسب أنواع الفعل	2.2.1.4.3
180	الحرف وتعلقه بالاسم والحرف	3.2.1.4.3
180	الحذف	2.4.3

181	حذف الاسم وذكره	1.2.4.3
182	حذف الفعل	2.2.4.3
182	حذف الحرف	3.2.4.3
183	الفروق في الخبر	3.4.3
184	الفصل والوصل	4.4.3
185	أسس النظرية الجرجانية	5.3
185	نظم الكلم	1.5.3
187	ترتيب المعاني في النفس أولاً ثم حذف الألفاظ وترتيبها في النطق	1.1.5.3
188	معاني التحو	2.1.5.3
190	الإسناد	1.2.1.5.3
191	التخصيص	2.2.1.5.3
192	الإضافة	3.2.1.5.3
193	الإتباع	42.1.5.3
197	قيمة الكلمة داخل الترتيب	2.5.3
198	اختلاف المعاني باختلاف الناظمين	3.5.3
199	ربط الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى الحال	4.5.3
205	الفصل التطبيقي آليات الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني	
210	الاتساق الوسائل النحوية (السبك النحوي)	1.4
211	الإحالة	1.1.4
213	الإحالة بالضمير	1.1.1.4
214	الإحالة بالموصول	2.1.1.4
215	الإحالة بأداة التعريف (ال)	3.1.1.4
215	الإحالة القائمة على المقارنة	4.1.1.4

217	الحذف	2.1.4
218	حذف المبتدأ	1.2.1.4
220	حذف الفعل	2.2.1.4
221	حذف المفعول به	3.2.1.4
233	الاستبدال	3.1.4
236	الاستبدال الفعلي	1.3.1.4
237	الفصل والوصل	4.1.4
240	عطف المفرد على المفرد	1.4.1.4
240	الوصل	1.1.4.1.4
241	عطف الجملة على الجملة	2.4.1.4
252	الاتصال إلى الغاية	1.2.4.1.4
256	الانفصال للغاية	2.2.4.1.4
262	الاتساق بالوسائل المعجمية (السبك المعجمي)	2.4
262	التكرار	1.2.4
268	المصاحبة المعجمية (التضافر)	2.2.4
284	الخاتمة	
291	المصادر والمراجع	
309	مسرد المصطلحات	
316	فهرس المخططات	
320	فهرس الموضوعات	
	الملخص	

الملخص

ملخص البحث

يعتبر الاتساق أو ما يعرف بالسبب، أحد أهم المعايير النصية التي لاقَت اهتمام علماء اللسانيات النصية الحديثة، لأنه ينظر إلى النص على أنه عبارة عن علاقات ظاهرية متداخلة تساهم معا في تشكيل بنية النص، فإذا حدث خلل في تركيب هاته العلاقات والعناصر التي تكونه وتميزه، أصبح المقطع اللغوي جملا غير مترابطة، وبالتالي يفقد مقومات وجوده كنصّ متسق متماسك ذو وحدة كلية شاملة. لذا لا تخلو دراسة حديثة للنص من حضور مصطلح الاتساق، إلى درجة اعتباره من قبل العديد من اللغويين أهم المعايير التي يستند إليها في تحليل النص.

والبحث الذي نسعى إليه، يحاول الإجابة عن كنه، وماهية هذا المصطلح، في آثار المتقدمين من البلاغيين والمفسرين، وعلماء اللغة والنحو والنقاد، ولكي تكتمل الصورة من جهة أخرى نسعى إلى عرض مفهوم هذا المصطلح لدى المحدثين، وسنحاول مقارنة المصطلحين، وتفصيل مدى اهتمام الأوائل بأدوات النص

لذلك كان عنوان البحث موسوما:

(الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء لسانيات النص)

وعليه يطرح البحث ويناقش مجموعة من التساؤلات، أهمها:

هل عُرض هذا المفهوم اللساني من حيث هو مبدأ تتحقق به وحدة وبنية النص؟

وهل مصطلح الاتساق مفهوم لغوي مستحدث، أم سبق إليه الأوائل من قدماء اللغويين العرب؟

وما العلاقة الموجودة بين مصطلح الاتساق في الدراسات الغربية والعربية الحديثة، من خلال كتابات بعض اللسانيين العرب المحدثين؟

ينطلق البحث من رسم أهدافه العملية الآتية:

- محاولة توثيق أسس اتّساق النّص بين القدماء والمحدثين.
 - إثبات دور أدوات الاتّساق في تحقيق التّماسك بين النصّي.
 - إبراز كيفية ارتباط هذا المصطلح بترائنا العربي، وميادينه من بلاغة ونقد ولغة ونحو.
- تكمن أهميّة مثل هذه الدراسة اللّسانيّة في تقديري:
- تجاوز الجملة في دراستها وتحليلها كبنية كبرى، إلى دراسة النّص باعتباره بؤرة اهتمام اللّسانيات النصّيّة.
 - التّأكيد على أنّ الاتّساق لم يكن مصطلحا نظريًا بعيدا عن روح النّص العربي، بل "القرآن الكريم" - كنموذج - توافرت فيه جميع شروط وآليات هذا المصطلح.
- وانطلاقا مما سبق، يحاول البحث الإجابة عن إشكالية وتساؤلات هذا المصطلح اللغوي المهم (الاتساق)، بكثير من الحرص العلمي والدقة الموضوعية، بغية الوصول إلى نتائج عملية.
- الكلمات المفتاحيّة للبحث: النّص - الاتّساق - النّظم - لسانيات النص - عبد القاهر الجرجاني.

Résumé:

La cohésion est l'une des normes textuelles les plus importantes qui ont attiré l'attention des linguistes.

Si la structure de ces relations et les éléments qui les composent et les distinguent sont déformées, le texte devient une phrase déconnectée et il perd ses constituants en tant que texte cohérent avec une unité complète et universelle. Les études récentes du texte sont basées sur le terme "cohérence", dans la mesure où de nombreux linguistes le considèrent comme le critère le plus important pour l'analyse du texte.

La recherche tente de déterminer ce qu'elle est et ce qu'elle est appelée dans les effets de la rhétorique et des interprètes, des linguistes, de la grammaire et de la critique.

Nous cherchons à clarifier le concept de ce terme à travers les perceptions des modernistes, et nous essayerons de comparer les deux termes et de détailler l'intérêt des chercheurs anciens avec les outils du texte

En conséquence, la recherche présente et aborde un certain nombre de questions, dont les plus importantes sont :

- Ce concept linguistique a-t-il été présenté en fonction du principe de l'unité et de la structure du texte ?*
- Le terme cohérence est-il un nouveau concept linguistique ou a-t-il été utilisé par les anciens linguistes arabes ?*

- *Quelle est la relation entre la cohérence dans les études occidentales et arabes modernes, à travers les écrits de certains linguistes arabes modernes ?*

La recherche part des objectifs pratiques suivants :

- *Essayez de documenter les fondements de la cohérence du texte entre l'ancien et le moderne.*
- *Démontrer le rôle des outils de cohérence dans la réalisation de la cohérence textuelle.*
- *Soulignez le rapport entre ce terme et notre héritage arabe et ses domaines tels que la rhétorique, la critique, la langue et la grammaire.*

L'importance d'une telle étude linguistique réside dans mon évaluation :

- *Passant de la phrase dans son étude et son analyse en tant que structure principale à l'étude du texte en tant que centre de la linguistique textuelle.*
- *Insister sur le fait que cette cohérence n'était pas un terme théorique éloigné de l'esprit du texte arabe, mais plutôt le "Coran" - en tant que modèle - dans lequel toutes les conditions et mécanismes de ce terme étaient remplis.*

Sur la base de ce qui précède, la recherche tente de répondre au problème et aux questions de cet important terme linguistique (cohérence), avec beaucoup de soin et

de précision scientifique, afin d'obtenir des résultats concrets.

- Mots-clés de recherche: texte - cohérence - analyse de discours - linguistique textuelle

Summary:

Cohesion is one of the most important textual norms that has attracted the attention of linguists.

If the structure of these relationships and the elements that compose and distinguish them are distorted, the text becomes a disconnected sentence and loses its constituents as coherent text with a complete and universal unity. Recent studies of the text are based on the term "coherence", since many linguists consider it to be the most important criterion for text analysis.

The research tries to determine what it is and what it is called in the effects of rhetoric and interpreters, linguists, grammar and criticism. We seek to clarify the concept of this term through the perceptions of modernists, and we will try to compare the two terms and detail the interest of ancient researchers with the tools of the text

As a result, research presents and addresses a number of issues, the most important of which are:

- Has this linguistic concept been presented in terms of the principle of unity and structure of the text?*
- Is the term coherence a new linguistic concept or has it been used by former Arab linguists?*
- What is the relationship between coherence in Western and modern Arabic studies, through the writings of some modern Arab linguists?*

The research has the following practical objectives:

- *Try to document the foundations of text coherence between old and new.*
- *Demonstrate the role of consistency tools in achieving textual consistency.*
- *Highlight the relationship between this term and our Arab heritage and its areas such as rhetoric, criticism, language and grammar.*

The importance of such a language study lies in my

- *Moving from the sentence in its study and analysis as the main structure to the study of text as the centre of textual linguistics.*
- *Emphasize that this coherence was not a theoretical term far removed from the spirit of the Arabic text, but rather the "Quran" - as a model - in which all the conditions and mechanisms of this term were fulfilled.*

On the basis of the above, the research attempts to answer the problem and the questions of this important linguistic term (coherence), with great care and scientific precision, in order to obtain concrete results.

- ***Research keywords: text - coherence - discourse analysis - textual linguistics.***

ملخص البحث:

يعتبر الاتساق أو ما يعرف بالسبك، أحد أهم المعايير النصية التي لاقى اهتمام علماء اللسانيات النصية الحديثة، لأنه ينظر إلى النص على أنه عبارة عن علاقات ظاهرية متداخلة تساهم معا في تشكيل بنية النص، فإذا حدث خلل في تركيب هاته العلاقات والعناصر التي تكونه وتمييزه، أصبح المقطع اللغوي جملا غير مترابطة، وبالتالي يفقد مقومات وجوده كنص متسق متماسك ذو وحدة كلية شاملة. لذا لا تخلو دراسة حديثة للنص من حضور مصطلح الاتساق، إلى درجة اعتباره من قبل العديد من اللغويين أهم المعايير التي يستند إليها في تحليل النص.

والبحث الذي نسعى إليه، يحاول الإجابة عن كنه، وماهية هذا المصطلح، في آثار المتقدمين من البلاغيين والمفسرين، وعلماء اللغة والنحو والتفاد، ولكي تكتمل الصورة من جهة أخرى نسعى إلى عرض مفهوم هذا المصطلح لدى المحدثين، وسنحاول مقارنة المصطلحين، وتفصيل مدى اهتمام الأوائل بأدوات النص

لذلك كان عنوان البحث موسوما بـ: (الاتساق عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء لسانيات النص)

وعليه يطرح البحث ويناقش مجموعة من التساؤلات، أهمها:

هل غرض هذا المفهوم اللساني من حيث هو مبدأ تتحقق به وحدة وبنية النص؟

وهل مصطلح الاتساق مفهوم لغوي مستحدث، أم سبق إليه الأوائل من قدماء اللغويين العرب؟

وما العلاقة الموجودة بين مصطلح الاتساق في الدراسات الغربية والعربية الحديثة، من خلال كتابات بعض اللسانين العرب المحدثين؟

ينطلق البحث من رسم أهدافه العملية الآتية:

- محاولة توثيق أسس اتساق النص بين القدماء والمحدثين.

- إثبات دور أدوات الاتساق في تحقيق التماسك بين النصي.

- إبراز كيفية ارتباط هذا المصطلح بتراثنا العربي، وميادينه من بلاغة ونقد ولغة ونحو.

تكمّن أهمية مثل هذه الدراسة اللسانية في تقديري:

- تجاوز الجملة في دراستها وتحليلها كبنية كبرى، إلى دراسة النص باعتباره بؤرة اهتمام اللسانيات النصية.

- التأكيد على أنّ الاتساق لم يكن مصطلحا نظريا بعيدا عن روح النص العربي، بل "القرآن الكريم" - كنموذج - توافرت فيه جميع شروط وآليات هذا المصطلح.

وانطلاقا مما سبق، يحاول البحث الإجابة عن إشكالية وتساؤلات هذا المصطلح اللغوي المهم (الاتساق)، بكثير من الحرص العلمي والدقة الموضوعية، بغية الوصول إلى نتائج عملية.

- الكلمات المفتاحية للبحث: النص - الاتساق - التّظّم - لسانيات النص - عبد القاهر الجرجاني.

Summary:

Cohesion is one of the most important textual norms that has attracted the attention of linguists. If the structure of these relationships and the elements that compose and distinguish them are distorted, the text becomes a disconnected sentence and loses its constituents as coherent text with a complete and universal unity. Recent studies of the text are based on the term "coherence", since many linguists consider it to be the most important criterion for text analysis.

The research tries to determine what it is and what it is called in the effects of rhetoric and interpreters, linguists, grammar and criticism. We seek to clarify the concept of this term through the perceptions of modernists, and we will try to compare the two terms and detail the interest of ancient researchers with the tools of the text

As a result, research presents and addresses a number of issues, the most important of which are:

- *Has this linguistic concept been presented in terms of the principle of unity and structure of the text?*

- *Is the term coherence a new linguistic concept or has it been used by former Arab linguists?*

- *What is the relationship between coherence in Western and modern Arabic studies, through the writings of some modern Arab linguists?*

The research has the following practical objectives:

- *Try to document the foundations of text coherence between old and new.*

- *Demonstrate the role of consistency tools in achieving textual consistency.*

- *Highlight the relationship between this term and our Arab heritage and its areas such as rhetoric, criticism, language and grammar.*

The importance of such a language study lies in my

- *Moving from the sentence in its study and analysis as the main structure to the study of text as the centre of textual linguistics.*

- *Emphasize that this coherence was not a theoretical term far removed from the spirit of the Arabic text, but rather the "Quran" - as a model - in which all the conditions and mechanisms of this term were fulfilled.*

On the basis of the above, the research attempts to answer the problem and the questions of this important linguistic term (coherence), with great care and scientific precision, in order to obtain concrete results.

- **Research keywords: text - coherence - discourse analysis - textual linguistics.**